

الجمل

في أمثال العالم العربي قديماً وحديثاً

تأليف

الدكتور إبراهيم أحمد شعلان



مركز زايد للتراث والتاريخ

١٤٢١ هـ ـــ ٢٠٠١م

الطبعة الأولى

تم قيد الكتاب في سجل الايداع النوعي
بقسم الملكية الفكرية وحقوق المؤلف بوزارة الاعلام والثقافة
تحت رقم أ م ف ٤/ ١٨٤ ـ ٢٠٠٠ ـ تاريخ ١٢/ ديسمبر/ ٢٠٠٠م

تصنيف ديوي 398.9
الجمل في أمثال العالم العربي قديماً وحديثاً
إبراهيم أحمد شعلان
إصدار مركز زايد للتراث والتاريخ
دولة الإمارات العربية المتحدة ـ العين
مقاس ١٧ × ٢٤ ص ٣٥٦
١ ـ أدب ٢ ـ تراث شعبي



مركز زايد للتراث والتاريخ
ZAYED CENTER FOR HERITAGE AND HISTORY
ص. ب. ٢٣٨٨٨ العين ـ الامارات العربية المتحدة ـ هاتف ـ: ٧٦١٥١٦٦ ـ ٣ ـ ٩٧١
P.O. BOX 23888 AL AIN - U. A. E. - TEL: 971 - 3 - 7615166, FAX: 971-3-7615177
E-mail: zc4HH@zayedcentre.org.AE

الجمل

في أمثال العالم العربي

قديماً وحديثاً

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

كلمة المركز

لعله من أكثر كتب الأمثال شهرة وشيوعاً، بل وأكثرها انتشاراً كتاب مجمع الأمثال للميداني، إلا أن كتب الأمثال التي صنفت وتزخر بها المكتبة العربية تعد بالعشرات، والذي طبع وبرز منها ما يربو على الثلاثين كتاباً بعضها في الأمثال الشعبية الحديثة والعامية. وبعضها الآخر لا يزال في خزائن الكتب والمخطوطات تنتظر من ينفض عنها غبار الماضي والنسيان. خاصة أن منها ما يعد من النوادر ولمؤلفين أعلام أمثال: ابن الأنباري، وأبي عبيدة، وثعلب، وابن الأعرابي، وابن حبيب، وابن طولون، والشعراني، والوطواط، والأصمعي، والفراء والعكبري.

وبعض كتب الأمثال صنفت في موضوع واحد كأمثال القرآن الكريم الذي عده السيوطي في الإتقان في معرفة علوم القرآن العلم السادس والستين، وقال: من أعظم علوم القرآن علم أمثاله، وعده الإمام الشافعي مما يجب على المجتهد معرفته من علوم القرآن، وقد ضرب الله الأمثال في القرآن تذكيراً ووعظاً.

وكتاب الجمل في أمثال العالم العربي قديماً وحديثاً، كتاب مميز لم يسبق إليه في اختصاصه عن الجمل، اللهم كتاب وحيد في أمثال الحيوان اسمه: عقد اللآل فيما ضرب بالحيوان من الأمثال للسكوري ولعله كتاب يتيم ووحيد لم نقف على غيره في موضوعه.

ومؤلف كتابنا هذا الدكتور إبراهيم أحمد شعلان، باحث متخصص في الأدب الشعبي وله إصدارات عديدة اجتهد في تبويب كتابه، ولم يقتصر على الأمثال فقط، بل استطرد إلى أمور أخرى لها علاقة بالجمل ووصفه، وشكله وطباعه، وأنواعه ورحلاته،

وسلوكه وغير ذلك، إلى جانب أصل موضوع الكتاب: الأمثال في القديم والحديث، وأمثال الجمل في الدول العربية، والمشرق والمغرب، وأمثال الجمل في الألسن العامية واليدوية، وأمثال الجمل على تصنيف البلدان.

إنه كتاب مميز وطريف في نوعه وأسلوبه وحسن نسقه. آثر مركز زايد للتراث والتاريخ على نشره لما فيه من فوائد علمية ولغوية، خاصة المهتمين في الدراسات الأدبية واللغوية المقارنة للألسن واللغات.

والله من وراء القصد

د. حسن محمد النابودة

مدير المركز

المقدمة

يوم السبت ١٦/١١/١٩٩٦ كنت أجلس مع الأخ الأستاذ الدكتور أحمد مرسي في مكتب مجلة الفنون الشعبية التي تصدرها هيئة الكتاب، وعندما هممت بالانصراف لحقني الأستاذ الدكتور أحمد مرسي وأخبرني ـ على انفراد ـ أنه مدعو للاشتراك في مؤتمر سيعقد في العريش في ٢١/١١/١٩٩٦ بمناسبة سباق الهجن الدولي، وبما أن ظروفه لا تسمح له بالاشتراك فقد طلب مني أن أشترك في هذا المؤتمر. وأسقط في يدي، ولم يترك لي فرصة للتراجع، حيث إنه سوف يبلغ المسؤول عن المؤتمر باشتراكي، ولم يترك لي فرصة للسؤال عن كيفية الاشتراك وليست لدي خلفية، فبادرني باقتراح أن أجمع كل نصوص الأمثال التي تتحدث عن الجمل وأعلّق عليها، خاصة أن موضوع الأمثال الشعبية يشغل اهتماماتي منذ ستينيات القرن العشرين، وكان موضوع دراسة الماجستير، وما زلت أواصل الجمع والتنقيب في هذا الموضوع حتى كتابة هذه السطور. وقد شدّ انتباهي موضوع الجمل في الأمثال وفي غيرها وإن كنت قد اكتفيت بالأمثال، وقد واصلت الليل بالنهار في هذه الفترة المحدودة واشتركت ببحث بعنوان «الجمل في الأمثال الشعبية المصرية». وما إن انتهى المؤتمر حتى وجدتني مشدوداً إلى هذا الموضوع، وكانت النتيجة هذا الكتاب الذي بين يدي القارىء العزيز، والذي أرجو أن أكون قد وفقت في إلقاء الضوء على صورة هذا الحيوان لدى المجتمع العربي في القديم والحديث..

* * *

ومما لا شك فيه أن هذا الموضوع ضيق بالتوليدات

والمعاني، ذلك أن هذا الحيوان الذي كان من أهم وسائل المواصلات في العالم العربي قبيل اختراع وسائل المواصلات الحديثة في القرن العشرين قد أصبح نادر الوجود، وضاقت وظيفته حتى اقتصر دوره على جيوب محدودة في الصحراء، بل إن هذا الدور في هذه الجيوب مهدد بوسائل المواصلات الحديثة، حيث الطرق المعبدة، والسيارات التي تطوي المسافات في ساعات، والطائرات التي فاقت السيارات في سرعتها حتى أصبحت تطوي في ساعات معدودة المسافات التي كان يقطعها الجمل في شهور.

ولذلك، نحاول في هذا الكتاب أن نجد في نصوص الأمثال قديماً وحديثاً ما يمكن أن يشفي غليل الباحث أو القارىء الذي يحن إلى الماضي، فما الصورة التي رسمها الناس قديماً وحديثاً لهذا الحيوان في نصوص الأمثال؟ ولماذا تشيع مجموعة من النصوص المثلية حتى هذه الأيام؟ وأين تشيع هذه النصوص؟ وما الدلالات الموضوعية أو الاجتماعية التي تظهر في هذه النصوص؟ وهل هناك حاجة اجتماعية لشيوع هذه النصوص؟ وإلى أي مدى سوف تتواصل وتستمر هذه النصوص؟ وفي هذا المجال فإن ما نقوم به في هذا الكتاب هو ضرب من التسجيل التاريخي عن طريق المشاهد الاجتماعية التي تفصح عن نفسها في النصوص الشعبية.

وعندنا في مصر ـ في هذه السنوات ـ تتحرك البلاد بخطى سريعة إلى الانتشار البشري في الصحارى المصرية شرقاً وغرباً، تلك الصحارى التي تمثل ٩٥٪ من المساحة الجغرافية لمصر عن طريق المشاريع القومية الكبرى لاستزراع سيناء لتحويلها خلال سنوات عدة إلى مزرعة للنباتات ولتوطين البشر. وفي عام ١٩٩٧ ظهر إلى الوجود مشروع قومي كبير وهو مشروع قناة توشكي جنوب

غربي مصر لتحويل جنوب الوادي شرقاً وغرباً إلى مشاريع زراعية صناعية، وفي منطقة شمال غرب خليج السويس يقوم مشروع عملاق. كل هذه المشاريع وغيرها سوف تمتد لسنوات طويلة في القرن الحادي والعشرين لتحويل ـ كما هو مخطط ـ ٢٥٪ من هذه الصحارى ـ المناخ الطبيعي الموجود فيه الجمل ـ إلى مجتمعات حضرية.

إن هذه الخطى المتسارعة للانتشار في الصحارى المصرية سوف تحدّ كثيراً من الدور الذي كان يقوم به الجمل، وإذا كنا في هذه الأيام (من عام ٢٠٠٠) لا نرى وجوداً لهذا الحيوان فكيف يكون الحال بعد عشرات السنين؟ وكيف يكون حال تلك النصوص التي يرددها الناس في هذه الأيام وشغلتنا في هذا الكتاب؟

نحن نعرف بداهة ـ أن الجمل حيوان صحراوي ـ ولكنه ـ وحتى النصف الأول من القرن العشرين ـ حيوان ريفي أيضاً. وكنت أشاهد قطارات الجمال في الأربعينيات وهي تتهادى حاملة أكياس القطن على جانبيها تبعاً لخطواتها المميزة، وتدخل إلى المحالج المنتشرة في بلدتنا ـ زفتى ـ. وبعد خمسينيات هذا القرن تقلص دور هذا الحيوان، ولذلك فإن هذا الموضوع ليس مما يجذب الجماهير، بل إن هذا الحيوان لم يعد له وجود في الريف. ولقد اعتدت أن أزور بلدتي شهرياً، وسألت عن هذا الحيوان، فقيل لي: إنه لم يعد موجوداً على الإطلاق. وأخبرني أخي أنه سمع عن وجود جمل واحد عند أحد الفلاحين في قرية سند بسط التي تبعد عن زفتى كيلو مترات عدة.

والمعروف أن دور الجمل في الريف كان يتمثل في حمل الأثقال بأكثر من ثلاثة أضعاف ما يحمله الحمار، بينما لا تزيد تكلفته على ما يكلّفه الحمار، فما البديل الذي أنهى دور الجمل

إذن؟ لقد استعاض الفلاحون عن هذا الحيوان بعربة صغيرة لها أربع عجلات يجرها حمار، وتستطيع هذه العربة أن تدخل إلى قلب الحقل، وتحمل أكثر مما يحمله الجمل، كما أنها لا تأخذ حيزاً في المنزل، بل إن الفلاح يضعها خارج المنزل في الشارع أو في الفضاء ولا تحتاج إلى عناية أو رعاية مثل الجمل، فضلاً عن أن هذه العربة تظل عشرات السنين دون تكلفة. بينما نجد أن الجمل حيوان له أجل محدود لا يتعدى ٤٧ عاماً.

وعندما بدأت في هذا الموضوع لم يكن لديّ اعتقاد بأن يتطور إلى هذا القدر من الصفحات، ذلك أن الموضوع ضيق ومحدود، وأردت أن أوسع من معلوماتي عندما زرت أهم وأكبر مكتبة زراعية في الشرق الأوسط، بل أهم مكتبة زراعية في العالم بعد مكتبة الكونجرس - كما قيل لي - وتسمى «المكتبة القومية الزراعية المصرية» بجانب وزارة الزراعة بالدقي. فلم أجد غير مادة جمل في الموسوعة البريطانية vol. 2.P. 764 ومادة جمل في دائرة المعارف الأمريكية vol 5. P 261 ومادة جمل في موسوعة حياة الحيوان P. 130، ولم أجد دراسة واحدة بالعربية عن الجمل يمكن أن تلقي ضوءاً على هذا الحيوان ومنافعه، وسوف نعود إلى ذلك. ومع ذلك فقد حاولت أن أعتمد على النصوص فهي أساس الموضوع، وأن ألقي ضوءاً كاشفاً على الأفكار المبثوثة في هذه الأمثال على المستوى الفردي والمستوى الجماعي، وهي تعكس معاناة الناس اليومية وتكشف أحوالهم الاجتماعية.

ومع أن هذه الأمثال قد تحمل بعض القيم الإنسانية بشكل عام، إلا أننا نؤكد أن هذه الأمثال كلها من إنتاج الريف أو الصحراء، ولا دخل للمجتمع المدني في إبداعها، ذلك أن الجمل ليس له وجود في المجتمع الحضري الحديث، وعلى وجه الخصوص في النصف الثاني

من القرن العشرين. كما أن دور هذا الحيوان قد انتهى بعد انتشار وسائل النقل الحديثة، ومن ثم فإن استخدام هذه النصوص في الحياة المدنية أو الثقافية من قبيل الرمز لا أكثر ولا أقل. والرمز هنا مستمد من المشاهدة والصورة والموروث الشعبي، وليس من العلاقة المباشرة بين الناس والحيوان. فالأمثال الحوارية بين الجمل والناس هل تدل إلا على الرمز وأن أساسها العلاقات بين الناس؟

والسؤال المطروح هو: لماذا يتجه الناس إلى الجمل؟

ونجيب بأن هذا الحيوان في شكله الظاهري وسلوكه الحيواني قد لفت نظر الناس فحاولوا بهذه النصوص أن يربطوا بين الشكل والسلوك والعلاقات البشرية بقصد الإقناع أو تدعيم السلوك أو تبرير الموقف، وهؤلاء الناس هم الذين يتعاملون مع الجمل كالفلاح والبدوي، فهما اللذان يستخدمان هذا الحيوان، ومن ثم يرصدان تفاصيل سلوكه، فالمثل الصحراوي يختلف عن المثل الريفي، والإنسان في هذه النصوص يتوسل بكل ما يحيط به ليساعد نفسه على مواجهة حياته ولتيسير سبل الحياة.

وبالطبع، فإن هذه الظاهرة ليست قاصرة على الجمل، ولكنها تشمل سائر الحيوانات التي تعيش في محيط الإنسان سواء كانت مفيدة وتعود بالنفع على الإنسان كالجمل، أو مضرة وتعود بالإيذاء على الإنسان كالحيوانات البرية أو الحشرات. ويمكن ملاحظة هذه الظاهرة على كافة نصوص الأمثال قديماً أو حديثاً.

ولقد حاولنا في هذا الكتاب أن نغطي كافة الأبعاد شكلاً وموضوعاً باعتبار أنها تتكامل لتعبر عن الظاهرة المثلية في نطاق التفكير العربي القديم والحديث وعلى مستوى العالم العربي، ولقد قمنا بذلك في نطاق ما هو متاح لنا من مصادر ونصوص.

وكنا نود أن تتوفر لدينا مجموعة كافية من المصادر من

الجزيرة العربية شرقها وغربها وشمالها وجنوبها، ذلك أن ساكني الجزيرة العربية هم أقدر على تقييم هذا الحيوان والتفاعل معه، وهم أقدر على تقديم الرؤية المثلية الواضحة، والتي تعبر عن دور هذا الحيوان في بيئته الطبيعية، ولكننا أمام هذا العجز لا نملك إلا أن نعلق أو نفسر ما بين أيدينا، وكما يقال: «ما باليد حيلة» أو كما يقول الجزائريون «الله غالب»، وقد يكون في هذه الصفحات ما يحرض إخوتنا أبناء الجزيرة العربية على التنقيب في الكتب القديمة والحديثة، كذلك في ميدان التفاعل اليومي بين البشر وهذا الحيوان لاستكمال هذا الموضوع أو لتعميق الأفكار المطروحة أو تصويبها، وكلها تخدم العلم والحضارة العربية والإسلامية وكنا نود أن تتوفر لدينا مجموعة أخرى من السودان والصومال، حيث يعيش ثلثا أعداد الجمال على المستوى العالمي.

إن هذا الكتاب عبارة عن قراءة اجتهادية للنصوص نرجو أن نكون قد أحسنا قراءتها.. ذلك أننا نناقش نصوصاً قديمة من القرن الخامس الهجري، ونصوصاً من القرن التاسع الهجري، ونصوصاً قالها الناس بعد قرون عدة، ونصوصاً تدور في القرن العشرين في أنحاء الوطن العربي شرقه وغربه، وهي تدور على قسمين **أحدهما**: مما سجله العلماء والمثقفون في المراحل الزمنية القديمة، وهذه ـ فيما نرى ـ نصوص شعرية في الأصل، وسجلها العلماء في حينها، ولكنها لم تفقد أصولها. **أما النسق الثاني** فهي نصوص حديثة مما يتردد في ميادين الحياة اليومية في أنحاء الوطن العربي. ولذلك فقد حاولنا أن نتعامل مع هذه النصوص من خلال ما يبدو فيها من ظواهر، وحاولنا الربط بينها وبين ما يدور بين الناس قديماً وحديثاً..

الدكتور

إبراهيم أحمد شعلان

لمحة عامة

الجمل

جاء في الوسيط: الجمل: هو الكبير من الإبل، ومنه ما هو ذو سنامين. جمعها جمل، وأجمال وجمال، وأجمل، وجمالة.

والإبل: الجمال والنوق لا واحد له من لفظه (مؤنث) ج آبال. والمأبلة: الموضع تقيم فيه الإبل أو تكثر فيه.

والبعير: ما صلح للركوب والجمل من الإبل، وذلك إذا استكمل أربع سنوات. ويقال للجمل والناقة: بعير ج أباعر وأباعير وبعران.

وجاء في «صفوة التفاسير» سورة التكوير: ﴿وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾ أي: وإذا النوق الحوامل تركت هملاً بلا راع ولا طالب. وخص النوق بالذكر لأنها كرائم أموال العرب، والعشار: جمع عشراء، وهي الناقة التي مر على حملها عشرة أشهر.

وفي صفوة التفاسير أيضاً سورة الغاشية: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾﴾ أي: أفلا ينظر هؤلاء الناس نظر تفكر واعتبار إلى الإبل ـ الجمال ـ كيف خلقها الله خلقاً عجيباً بديعاً يدل على قدرة خالقها؟ ونقل صاحب صفوة التفاسير عن التسهيل ٤/١٩٦ قوله: في الآية حض على النظر إلى خلقتها لما فيها من العجائب في قوتها، وانقيادها مع ذلك لكل ضعيف، وصبرها على العطش وكثرة المنافع التي فيها من الركوب والحمل عليها وأكل لحومها وشرب ألبانها وغير ذلك «كما أنها أفضل دواب العرب وأكثرها نفعاً، ولهذا تسمى «سفينة الصحراء»[١].

---

(١) صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني.

هاتان الآيتان تكشفان عن مكانة هذا الحيوان عند العرب «إذ لولاه ما استطاع العربان سكنى الصحارى، ولذلك يقال في معظم الأحيان: إن الله قد خلقه خصيصاً كي يجعل الصحارى قابلة لسكنى البشر، وعندما يجد العربي نفسه بلا ماء ولا غطاء طريداً في الصحراء وعندما يرى جياده وأبقاره تنفق من التعب والجوع، فسوف تبقى له جماله وسوف تكفيه، فهي تحمله على ظهورها وتطعمه من ألبانها وتتحمل الجوع والعطش وتواجه هذه العزلة الشاسعة لتحميه من شر أعدائه»[1].

ولا شك أن هذا التكوين الجسماني جعلها من أفضل الدواب عند العرب، ويسرت الصحراء المترامية الأطراف لسكنى البشر، وقد ترجمت دائرة المعارف البريطانية للجمل فقالت: «الجمل العربي تصل قامته إلى مترين وعند استخدامه للركوب فإنه يمكن أن يقطع حوالي ١٣ ـ ١٦ كم (٨ ـ ١٠ أميال) في الساعة لمدة ١٨ ساعة. والجمال العربية يمكنها أن تمشي دون ماء لعدة أيام، ويمكنها أن تعيش بدون ماء ١٧ يوماً حيث إنها تفقد الماء من جسمها بما يساوي ٢,٥٪ من وزنها بالبخر ودون أن تحس بالإعياء ويمكنها أن تسترد ما فقدته من وزنها في دقائق قليلة عند شرب ما يساوي ٢٥ جالوناً (١٠٠ لتر) من الماء»[2]. وتضيف دائرة المعارف الأمريكية فتقول «إن الجمل العربي وحيد السنام يستطيع أن يحمل ٦٠٠ رطل (٢٧٠ كلجم) لمسافة ٣٠ ميلاً (٥٠ كيلو متراً) في اليوم. أما الجمل ذو السنامين فيمكنه حمل ١٠٠٠ رطل (٤٥٠ كلجم)»[3].

(١) العربان ودورهم في المجتمع المصري في النصف الأول من القرن التاسع عشر، د. إيمان محمد عبد المنعم ص ٢٤٦ ـ سلسلة تاريخ المصريين رقم ٩٧.

(٢) The new Encyclopedia Britannica. Vol 2. P 76 4.

(٣) Camel Encyclopedia Americana. Vol 5. P 261 - Camel.

بل إن الجمل من أهم العناصر التي ساعدت على نشر الحضارة العربية، كما أن الفتح العربي ساعد في اتساع شهرة الجمل، فقد انتقل الجمل العربي إلى الهند وشمال إفريقيا بقصد الركوب وحمل الأمتعة، كما أن الجمال العربية أحضرت إلى استراليا والولايات المتحدة المكسيكية في مناطق التخوم، بل إن شهرة وسط استراليا تعود إلى استخدام الجمال العربية، وأثناء المعسكر الانجليزي ضد الإيطاليين في أثيوبيا أحضر الجيش البريطاني ٢٠ ألف جمل عربي من السودان، كما أحضر فرديناند دي ميديسي ١٦٢٢ جملاً عربياً إلى إيطاليا وخطط لاستخدامها قرب بيزا Pisa، وظلت هذه الجمال معروفة حتى العصور الحديثة رغم أن العدد قد وصل إلى ٢٠٠ حيوان فقط في القرن التاسع عشر وبقيت أعداد منها حتى الحرب العالمية الثانية[١].

وفي المعنى نفسه أشارت دائرة المعارف الأمريكية إلى أن الجمل قد استخدم في الحروب في القرن التاسع عشر فقد كون غوردون في ١٨٨٤ ـ ١٨٨٥ م سلاح الهاجاناه في السودان، واستخدم الفرنسيون مجمعات من الجمال بشكل واسع في الدفاع عن الجزائر في القرن التاسع عشر، كما تم استخدام حوالي ٣ ملايين جمل في الحرب العالمية الأولى، و٥٠ ألف جمل في الحرب العالمية الثانية[٢].

وفي روايات الأعاجيب والمغامرات ما ذكر من أن هناك

---

(١) Yrzimerk's Animal Life Encyclopedia, Mammals IV. P 139.

(٢) Encyclopedia Americana Vol 5. P 261 - Camal.

وقد كتب هذه المادة ج.ل كلودسلي وطومسون

J. L Cloudsley - Thompson. University of Khartoum-Sudan.

تقارير عن الرحالة الذين كادوا أن يموتوا من العطش في الصحراء، فذبحوا واحداً من هذه الجمال، وشربوا الماء الذي كان الحيوان يختزنه في مكان خاص في معدته، وهو ما يشير إلى السر في كيف أن هذا الحيوان يستطيع أن يعبر الصحراء لعدة أيام وأسابيع دون ماء، بينما نجد أن الرجال والخيول وسائر الدواب لا تستطيع ذلك، كما ذكر أحد الرحالة كيف أنه استطاع أن يقطع ٤٠ كيلو متراً في خمسة أيام وهو راكب على ظهر الجمل، وقد حدث هذا في الشتاء في صحراء شمال إفريقيا حيث توجد الأعشاب التي يتغذى عليها الحيوان بشكل أو بآخر، وقد يبعث إلى الدهشة أن الجمل في شتاء شمال إفريقيا لا يحتاج إلى الماء لعدة شهور كما أن الجمل يتحمل عشرة أضعاف ما يتحمله الإنسان وأربعة أضعاف ما يتحمله الحيوان[1].

وفي مجال المقارنة فإن الحمير أيضاً حيوانات صحراوية وهي أيضاً تفقد ربع جسمها من نقص الماء ومع ذلك فإنها تفقد من الماء ما يساوي ثلاث مرات أكثر من الجمل، بينما الجمل وحتى في تعرضه لشمس الصحراء الحارقة يستطيع أن يبقى بدون ماء ١٧ يوماً والحمير لا بد أن تشرب كل أربعة أيام، ومن ناحية أخرى فإن الحمار يتفوق على الجمل في أن الجمل الهزيل يستطيع أن يشرب ١٣٥ لتراً من الماء في عشر دقائق لتعويض وزنه المفقود، ولكن الحمار يكون قادراً لأن يستعيض ربع وزنه في دقيقتين فقط، والبشر بعد يوم من الحر اللافح في الصحراء يستطيعون استيعاض ما فقدوه فقط بعد عدة ساعات من الشرب، وهم غالباً ما يأكلون فيما بين هذه الساعات، وفي مجال المفاضلة بين الفرس والجمل فإن الفرس

(١) Yrzimerk's Animal Life. P. 140.

غالباً ما يكسب في المسافات القصيرة، بينما يتفوق الجمل في القوافل التي تسير عدة أيام، ومن ناحية أخرى فإن الناقة تتفوق على البقرة كمصدر لتأمين الغذاء في المناطق الجافة، لأن البقرة تتأثر بشدة حين ارتفاع درجة الحرارة وندرة المياه وشح الغذاء[١].

إن هذه القدرة الفائقة للجمال قد جعلت التجارة ممكنة خلال شمال إفريقيا ومساحات كبيرة من آسيا لعدة قرون، وبسبب هذه الجمال ازدهرت الممالك، وأصبحت الأراضي الموحشة والقاحلة تحت سيطرة الإنسان[٢]. ومما يساعد على ذلك طبيعة تركيبه الجسماني فيعتبر الوبر مادة عازلة للحرارة فهي تقي الجمل من البرد الشديد كما أن كثافة هذا الوبر تقلل من البخر خلال فصل الصيف أما الشفاه فهي سميكة والعليا منها مشقوقة، ولذا فإنه يستطيع التغذية على النباتات الصحراوية الجافة[٣].

* * *

والمعروف أن الجمال ذات السنام الواحد توجد في المناطق الصحراوية وشبه الصحراوية في جهات مختلفة من العالم، وفي قول إنه تم استئناسها منذ ٥٠٠٠ عام جنوب الجزيرة العربية للحصول على اللحم واللبن[٤]. وفي قول آخر إنه قد استؤنس أولاً في وسط الجزيرة العربية أو جنوبها ويحتمل أن يكون ذلك منذ ٤٠٠٠ عام قبل الميلاد، وإن أقدم الكتابات المسجلة عن الجمل العربي

(١) الانتاج الحيواني، د. كامل عبد العليم، مكتبة المعارف الحديثة ١٩٩١ طبعة أولى ص ١٨٧.

(٢) Yrzimerk's Animal life P. 140 - 142.

(٣) الثروة الحيوانية وإنتاجها في الدول العربية، د. محمد يحيى حسين درويش، د. صلاح الدين أحمد فيظي، طبعة الاسكندرية ١٩٧٨ ص ١٧٦، ١٧٧.

(٤) الانتاج الحيواني، مصدر سابق.

المستؤنس في الكتاب المقدس (العهدان القديم والجديد) تقول: إن إبراهام أرسل خادمته ومعها عشرة جمال من فلسطين إلى Mesopotamia للبحث عن طير لابنه إسحاق. وطبقاً للمعلومات الحديثة فإن هذا الحيوان ظهر في حوالي ١٨٠٠ قبل الميلاد حيث استؤنس الجمل في فلسطين في تلك الفترة، وفيما بعد انتقل الجمل العربي إلى الهند وشمال إفريقيا بقصد الركوب وحمل الأمتعة[١].
أما فيما يخص بداية نشأة الجمل فيقال: إن الجمل قد نشأ في شمال أمريكا في زمان كانت فيه الأرض قطعة واحدة، وعند ذلك لم يتجاوز الجمل الأرنب البري في الحجم، ثم تطور باستمرار عبر العصور لأزمان تبلغ ٤٠ مليون عام أنتجت الإبل الأمريكية الكبيرة الحجم التي انتشرت في أجزاء أخرى من العالم، ثم اختفت من موطن النشأة الأصلي. ويرجع وجود أنواع مختلفة من العائلة الجملية إلى عوامل التطور من أجل التأقلم في البيئات المختلفة، ونزحت بعض الجمال إلى صحارى شمال إفريقيا والشرق الأوسط..

ويبلغ تعداد الإبل ذات السنام الواحد في العالم ١٥ مليوناً، وذات السنامين مليونين، وتعداد الإبل ذات السنام الواحد في الدول العربية حسب إحصاء ١٩٨٧ نحو ١١,٥ مليون رأس[٢]، وفي قول آخر: يبلغ تعداد الجمال على مستوى العالم الآن نحو ٩,٥ مليون رأس ثلثاها موجود في المناطق الحارة، وبالأخص السودان والصومال وكينيا، والباقي يتوزع على الجزيرة العربية والشرق الأوسط وشمال إفريقيا والهند وباكستان[٣].

(١) Yrzimerk's Animal life P. 139.
(٢) الانتاج الحيواني، د. كامل عبد العليم، مصدر سابق، ص ١٦٤ ـ ١٧٧.
(٣) الثروة الحيوانية وإنتاجها في الدول العربية، مصدر سابق ص ١٧٥.

وهناك نمطان أساسيان عن الجمل العربي نتجا من عدة تلقيحات، **أحدهما**: حيوان التسمين وهو ثقيل، **والآخر** الحيوان البطيء الذي يستخدم لحمل الأثقال، وله أرجل واضحة وسريع الجري، وهناك نوع من الجمال العربية وهو الجمل النبيل الذي نتج عن الجمل العربي المستخدم للركوب، وهو موجود في شمال إفريقيا ويسمى المهاري Mehari.

والجمال العربية التي لها سنام غير طبيعي تشترى غالباً بأثمان خرافية، وعلى سبيل المثال ففي مدينة الحديدة Hodieda في الجزيرة العربية توجد أربعة جمال تم استيرادها بعشرة آلاف دولار[١].

والمعروف أن الإبل منخفضة الخصوبة فتصل إلى مرحلة البلوغ الجنسي في عمر من ٤ ـ ٥ سنوات وتبدو الأنثى حين الشبق في حالة قلق، وتميل إلى الشراسة، ويتطابق النشاط الجنسي عند الذكر مع نظيره عند الأنثى، ويمر الجمل خلال هذه المرحلة بتغيرات تشمل السلوك وهرمونات الجنس، فيصبح شرساً خطيراً صعب القيادة، وفي حالة قلق شديد، وينفخ أحياناً بالوناً يخرج من جانب الفم محدثاً لفلفة بصوت مرتفع، وهناك مثل مشهور يتصل بهذه الظاهرة يقول «الجمل يضرب بالقلة»[٢].

ويستغرق الحمل لدى الأنثى من ٣٠٥ ـ ٤٤٠ يوماً، وتضع الأنثى حملها وهي واقفة، وبعد ساعتين أو ثلاث ساعات يبدأ الوليد في المشي، وترضع الأنثى وليدها أكثر من عام وهي تدر من ٨ ـ ١٠ ليترات في اليوم[٣].

(١) yrzimek's Animal life Encyclopedia P. 139 والحديدة: مدينة في اليمن.

(٢) الانتاج الحيواني، مصدر سابق ص ١٧٨.

(٣) yrzimek's Animal life Encyclopedia P. 144.

أما وزن الجمل فيتراوح بين ٤٥٠ ـ ٦٥٠ كجم وارتفاعه يتراوح بين ١٩٠ ـ ٢٣٠ سم وأسنانه من ٣٢ ـ ٣٨ سنّاً وعادة حوالي ٣٤ سنّاً[١] والجمل العربي حيوان أليف، وله وبر قصير لكنه يطول على الرقبة والسنام والذيل..

أما فيما يخص منتجات هذا الحيوان فإن الإبل توفر حليباً مغذياً صالحاً، ويتغير طعم ورائحة اللبن تبعاً لنباتات المرعى التي يتغذى عليها الحيوان، ويستعمل لبن الإبل في تصنيع الجبن والزبادي وغيره من مشتقات الحليب بشكل عام، كما يستفاد منه في علاج الأمراض، فتستخدمه العرب في علاج السكر والحمى والكساح ومرض الرئة، واستعمله الروس في علاج مرض تليف الكبد.

والإبل مصدر لإنتاج اللحم ويتجاوز وزن الذبيحة عند النضج ٤٠٠ كجم للذكر و٣٠٠ كجم للأنثى، أما المنتجات الأخرى فتتمثل في الوبر والجلد، ويختلف محصول الصوف (الوبر) في الحيوانات البالغة من ١ ـ ٥ كجم، ويتم جز الصوف عادة في نهاية فصل الشتاء، ويستعمل الصوف في صناعة الملابس والأغطية والمراتب والخيام والسجاد، ويتميز الشعر بالطول، ويمكن حلق الشعر والاستفادة منه في صناعة الحبال، ويستعمل جلد الإبل في صناعة الأحذية والصنادل والسروج والأوعية الجلدية لحفظ الماء واللبن[٢].

والآن، ماذا بقي من الجمل في هذه الأيام ٢٠٠٠م؟ فالمعروف أن أهمية الجمل العربي قد ضعفت في النصف الثاني من القرن العشرين منذ أن أصبح في مقدور الناس عبور الصحارى بالوسائل الحضارية الحديثة الأسرع والأكثر أماناً، ومن ناحية أخرى

(١) yrzimek's Animal life Encyclopedia P. 136.

(٢) الانتاج الحيواني، مصدر سابق ص ١٨٦، ١٨٧.

فإن الدور السياحي وعلاقته بالدور الإعلامي والثقافي لا يمكن أن يتواصل ويستمر، ذلك أن الإعلام السياحي متغير دوماً ويخضع لآليات السوق وقضايا العرض والطلب وسرعة التطوير والتغيير والتجديد. وقد أشرت في سطور أخرى إلى أن العربة الصغيرة التي يجرها حمار قد حلت بكفاءة محل الدور الريفي للجمل وأصبحت تحمل ما يساوي حمولة الجمل وأكثر فضلاً عما لديها من مرونة في الحركة وضعف التكلفة اليومية. وهل معنى ذلك أن الجمل قد انتقل إلى حيوان متحفيّ في حديقة الحيوان، أم أنه في طريقه إلى الانقراض أمام تغير الظروف والتطور الحضاري المتسارع؟..

فمن جانبي وحسب رؤيتي الخاصة فإن الدور الوظيفي للجمل في عمليات النقل قد انتهى بالفعل منذ عشرات السنين، ولكن يبقى الجانب الآخر وهو انتاج اللحوم، ونطرح هنا سؤالاً عما إذا كان إنتاج اللحوم عن طريق الجمل يمكن أن ينافس لحوم الحيوانات الأخرى كالجاموس والبقر ذلك أن النظرة المادية البحتة هي التي تحكم في هذه الأمور بجانب قضايا السوق والعرض والطلب.

لقد نشرت جريدة الوفد خبراً يقول: «بدأت المزارع الروسية الكبرى في مناطق الجنوب باستبدال قطعان الماشية والأغنام بالجمال، حيث إن الجمال أسهل في التعامل وأكثر إنتاجاً للصوف الجيد، وبدأت بعض الشركات بطرح عبوات لبن النوق في الأسواق بعد معالجته»[1].

وقد جاء في الأهرام قوله: «إن أهمية حليب الإبل في تغذية الإنسان وتوفير احتياجاته اليومية من الطاقة والبروتين، حيث تتضاعف هذه الأهمية كثيراً بالنسبة لسكان المناطق التي لا تتحمل

(١) جريدة الوفد ١٤/٨/١٩٩٧ وقد نشر هذا الخبر مع صورة لبعض الجمال.

ظروفها سوى الإبل تظهر جلياً في أن متوسط موسم الحلب في الإبل عندما يكون ١٢ شهراً، فإنه في الأبقار ستة شهور وفي الأغنام والماعز ٣ شهور، وبذلك يلزم للفرد الواحد سنوياً ما قيمته ٠,٧٨ وحدة حيوانية من الإبل لسد احتياجاته الغذائية السنوية من الطاقة والبروتين في مقابل ١,٨٢ وحدة من الأبقار، و٥٩ وحدة من الماعز، و٧,٣٢ وحدة من الأغنام. وفضلاً عن ذلك فهو دواء وشفاء لكثير من الأمراض مثل مرض السكر وسرعة التئام الجروح والعمليات الجراحية وعلاج النزلات الشعبية والحماية من نزلات البرد واحتوائه على تركيز عال جداً من فيتامين (جـ) والأملاح المعدنية وانخفاض مستوى الدهون من الأحماض الدهنية التي لا ترفع كولسترول الدم فضلاً عن تصنيع اللبن. أما عن نتاج اللحم فإن سرعة النمو في الصغار تصل إلى أكثر من (١,٥ كجم في اليوم الواحد) تحت الظروف المحسنة من التغذية والرعاية، وعندما كانت نسبة النضج في أبقار المراعي ٤٦,٨٪ وفي الجاموس ٥٠,٥ ٪ وصلت في الإبل إلى ٥٥,٠٪ تحت نفس الظروف. أما الوبر فتصل نسبة النظافة فيه إلى أكثر من ٨٣٪ فضلاً عن متانة أليافه وخفة وزنه وعزله للتوصيل الحراري ولونه الطبيعي المرغوب دون صباغة..

وحينما تم تقييم الإنتاج السنوي من اللحوم والألبان مجتمعة لحيوانات المزارع مقدرة بالوحدة الحيوانية الاستوائية وجد أن الإمكانيات الإنتاجية للإبل تصل إلى (١٣١٠ وحدات حيوانية استوائية) في السنة مقابل (٧٢٠ وحدة) للماعز، (٤٠٠ وحدة) لكل من الأبقار والأغنام تحت نفس الظروف[1].

(١) الأهرام ٢٠/١٢/١٩٩٧ وصاحب هذه المعلومات د. عبد المنعم عمارة سعود أستاذ تغذية الحيوان بمركز بحوث الصحراء وخبير الإبل بالفاو والبنك الدولي..

ومنذ أن بدأ صاحب هذه السطور بالاهتمام بهذا الموضوع أخذ يتردد على محلات الجزارة التي تبيع لحوم الجمل، ويقدم السؤال الذي يشغل البال وهو: من الذي يشتري لحوم الجمل ولماذا؟ فيقال: إن لحوم الجمل أقل في السعر قليلاً عن اللحوم الأخرى. أما لماذا؟ فيقال: إن لحوم الجمل تتميز بأنها تخلو من المواد الدهنية كما أنها خفيفة عند الهضم، وكما قالت لي إحدى النساء وهي تشتري: إن لحم الجمل أخف من اللحم البتلو وهو لحم البقر الصغير، ومن ثم فهي سهلة الهضم..

وطبيعي أن هذه المفردات العلمية، ومن خلال المنظور الزمني تستبعد أن يتحول هذا الحيوان إلى المتاحف أو أنه في سبيله إلى الانقراض، ونحن نجد أن علاقة الإنسان بالجمل أو بالحيوانات عموماً تقوم على المنفعة المباشرة، ولا تقوم على العواطف أو المشاعر، ولكنها تقوم على المنفعة المادية، فالجمل بالنسبة للإنسان لا يشبه العصفور ذا الريش الجميل والذي يبعث على البهجة وراحة النفس، ولكن الجمل إذا كان قد فقد أحد أدواره كوسيلة للنقل، فإنه ما زال يقدم غذاء رخيصاً للإنسان، ومنافع مادية أخرى كالوبر والجلد وغيرهما.

الفصل الأول

- أمثال الجمل في القديم
- طباع الجمل في الأمثال القديمة
- من أمثال الميداني إلى أمثال العقد الفريد
- المعاملات بين الناس
- حمل الأثقال والمنافع
- الشكل والطباع
- أمثال أخرى
- ظواهر في المثل القديم

أمثال الجمل في القديم

حكايات الأمثال:

لعب الجمل دوراً كبيراً في الحياة العربية القديمة في السلم والحرب، وفي كافة الأحوال دخل هذا الحيوان في صميم العلاقة التفاعلية بين الناس، وهو أمر طبيعي في عالم الصحارى الشاسعة والممتدة من الخليج العربي شرقاً إلى المحيط الأطلسي غرباً، وهي أكبر منطقة صحراوية على سطح الكرة الأرضية. والجمل حيوان صحراوي، وهو عنصر أساسي في الحياة الصحراوية، ومواصفاته الجسمانية تتوافق تماماً مع طبيعة الحياة الصحراوية، وهذا الحيوان هو الذي شجع الإنسان على سكنى الصحراء وربطه بحياتها الشاقة..

ولا شك أن المهام المتعددة جعلت الجمل يلعب دوراً واضحاً في الحياة اليومية في الصحراء، وقد انعكس ذلك بالضرورة على الحياة الثقافية العربية منذ بدايتها وتواصلت هذه التأثيرات حتى اليوم وهو ما سوف نشير إليه في سطور تالية...

وفي موضوعنا «الجمل» في الأمثال القديمة ظهرت هذه الانعكاسات في شكل حكايات تنتهي بمثل أو معاملات تنتهي بمثل أو مشاهد يتولد عنها صيغة مثلية أو احتكاكات يومية وصراعات قبلية انتهت بمثل أخذ يتردد فيما بعد لمئات السنين كعنصر مؤثر في السلوك البشري. بمعنى آخر إن الصيغة المثلية تحولت إلى عملية ثقافية متداولة بين الناس وتلعب دوراً في حياتهم رغم انتهاء أسبابها. ونحن نعلم أن الجملة المثلية عبارة عن صيغة فكرية تكثفت في جملة صغيرة حتى يمكن إعادة استخدامها أو هي تحولت

إلى تكوين فكري يقوم بدور فاعل في الأحوال المتشابهة على مدى التاريخ . .

إن من يتابع كتب الأمثال القديمة يجد أنها مليئة بحكايات عن الجمل تنتهي بصياغات مثلية وحسبنا في هذا المجال أن نشير إلى بعض الأمثال التي ذاعت منذ بدايتها ـ أو بداية تسجيلها ـ وما زالت تؤدي دوراً بين المثقفين حتى هذه الأيام.

فقد جاء في كتاب «أمثال العرب»[1] : زعموا أن ضبة بن أدبن طابخة بن الياس بن مضر بن معد وكان له ابنان يقال لأحدهما سعد والآخر سعيد وأن إبل ضبة نفرت تحت الليل وهما معها فخرجا يطلبانها فتفرقا في طلبها فوجدها سعد فجاء بها . وأما سعيد فذهب ولم يرجع، فجعل ضبة يقول بعد ذلك إذا رأى تحت الليل سواداً مقبلاً «أسعد أم سعيد» فذهب قوله مثلاً . ثم أتى على ذلك ما شاء الله أن يأتي لا يجيء سعيد ولا يعلم له خبر، ثم إن ضبة بعد ذلك بينما هو يسير والحارث بن كعب في الأشهر الحرم وهما يتحدثان إذ مرّا على سرحة بمكان فقال له الحارث: أترى هذا المكان؟ فإني لقيت فيه شاباً من هيئته كذا وكذا، فوصف له صفة سعيد، فقتلته وأخذت برداً كان عليه ومن صفة البرد كذا وكذا، فوصف له صفة البرد، وسيفاً كان عليه، فقال ضبة: فما صفة السيف؟ قال: ها هو ذا عليَّ قال: فأرنيه؟ فأراه إياه، فعرفه ضبة ثم قال «إن الحديث لذو شجون» ثم ضربه حتى قتله فذهب قوله هذا أيضاً مثلاً، فلامه الناس وقالوا: قتلت رجلاً في الأشهر الحرم؟ فقال ضبة: «سبق السيف العذل» فأرسلها مثلاً .

أما المثل المشهور «على أهلها تجني براقش» فقد زعموا أن

(١) أمثال العرب، المفضل الضبي ص ٢ طبعة أولى ١٣٢٧ هـ ١٩٠٩ ـ مطبعة التقدم، والعقد الفريد، ابن عبد ربه الأندلسي ج ٢/ ٨٥.

براقش ابنة تقن كانت امرأة لقمان بن عاد وكان بنو تقن من عاد أصحاب إبل وكان لقمان صاحب غنم وكان لا يطعم لحوم الإبل فأطعمته امرأته براقش لحوم الإبل فنحر إبلهم التي يحتملون عليها فأكلها ثم قاتل إخوتها على إبلهم فقيل هذا المثل[١]...

فالحكاية الأولى أنتجت لنا ثلاثة أمثال لها ارتباط وثيق بالحياة العربية وطباع الناس وأسلوب معيشة الحياة البدوية، ولكن هذه الحكاية توقفت عند نهاية أحداثها بينما تركت ثقافة مثلية ممتدة إلى الأجيال التالية..

أما الحكاية الثانية فهي تزكي لحوم الإبل على غيرها وأن لذة هذه اللحوم قد دفعت لقمان بن عاد إلى قتال أصهاره في سبيل الاستيلاء على لحوم إبلهم ونحرها وهي لا شك حكاية أقرب ما تكون إلى الخيال والمبالغة وتتسم بالنزعة التبريرية...

وفي هذا المجال يكفي أن نشير إلى أن كتاب «أمثال العرب» والذي لا يزيد عدد الأمثال فيه على ١٤٩ مثلاً نجد أن من بينها حوالي ٢٧ مثلاً عن الجمال وما يدور حولها من روايات بنسبة ١:٥ وهو ما يعني أن الجمال لعبت دوراً واضحاً في الحياة العربية مادياً وثقافياً واجتماعياً وخلفت لنا هذه النوعية من أمثال الجمال..

أما المثل «جاءوا على بكرة أبيهم» فقد جاء في الكشكول[٢] هذا المثل يضرب للجماعة إذا جاءوا كلهم ولم يتخلف منهم أحد والبكرة: الفتية من الإبل. وأصل هذا المثل أنه كان لرجل من

(١) أمثال العرب، المفضل الضبي، مصدر سابق، ص ٨٧.

(٢) الكشكول، بهاء الدين العاملي، ص ٢٢٤ ولد ٩٥٣ هـ وتوفي ١٠٠٣ هـ، طبعة الحميدية ١٣١٦ هـ.

العرب عشرة بنين فخرجوا إلى الصيد فوقعوا في أرض العدو فقتلوهم ووضعوا رؤوسهم في مخلاة وعلقوا المخلاة في رقبة بكرة كانت لأبي المقتولين، فجاءت البكرة بعد هدوة (هكذا) من الليل فخرج أبوهم وظن أن الرؤوس بيض النعام وقال: اصطادوا نعاماً وأرسلوا البيض، فلما انكشف الأمر قال الناس: «جاء بنو فلان على بكرة أبيهم»..

وهذه الحكاية تعطي صورة أخرى لطبيعة الحياة لدى البدو، فطبيعي أن يخرج البدو للصيد، وطبيعي أيضاً أن يقعوا في قبضة العدو فيقتلهم، وهذه الأمور تدخل ضمن عناصر الحياة البدوية التي تعتمد على الصيد والنزاعات القبلية التي لا تنتهي إلا بالقتال وسقوط الضحايا، وطبيعي أيضاً أن يلجأ العدو القاتل إلى زيادة بأس خصمه دون مراعاة لأي اعتبار، فيرسل برؤوس المقتولين إلى أبيهم على بكرتهم، وقد انتهت الحكاية في وقتها، ولكنها خلفت لنا مثلاً يضرب للجماعة التي جاءت بكاملها ولم يتخلف منها أحد..

أما على مستوى الحروب فقد اشترك في غزوة بدر ٧٠ جملاً وفي حرب البسوس أشهر الحروب العربية أنتجت لنا مثلاً شعبياً ما زال يؤدي دوراً حتى أيامنا هذه، فعلى المستوى الصحفي وغير الصحفي يتردد المثل «**لا ناقة لي في هذا ولا جمل**» فهو عبارة عن صياغة تطورت عن المثل القديم «**لا ناقتي فيها ولا جملي**» ويضرب للذي يريد أن يبتعد عن التورط في مشاكل الغير..

وتروى حول هذا المثل قصة تقول إن كليب وائل سيد قومه في الجاهلية كان متجبراً، وذات يوم نزلت على جساس بن مرة امرأة تسمى البسوس فدخلت ناقتها في إبل كليب فقتلها، وعلم جساس فثار لقتل ناقة البسوس التي نزلت في حماه، وتربص لكليب

وقتله فثارت الحروب الطاحنة بين القبيلتين، وكان من قوم جساس رجل عاقل يسمى الحارث بن عباد عندما دعي إلى تلك الحرب رفض وقال هذا المثل «**لا ناقتي فيها ولا جملي**»[1].

أما على مستوى الطرافة والفكاهة وكما يقولون حسن التخلص من الورطة فيقول المثل «**ما أرخص الجمل لولا الهرة**» وتأتي الحكاية الطريفة التي تقول «ضلّ لرجل من العرب بعير فبحث عنه دون جدوى فأقسم لئن وجده ليبيعنه بدرهم واحد واستمر في البحث حتى وجده، ولكنه وقع في حيرة كيف يتخلص من هذا الوعد المجحف، ثم اهتدى إلى حل يبرّ به قسمه ويحفظ عليه بعيره، فأتى بهرة وربطها مع الجمل وعرضهما للبيع معاً على أن ثمن الجمل درهم واحد وثمن الهرة وحدها ألف درهم، فأخذ الناس ينظرون ويقولون «**ما أرخص الجمل لولا الهرة**»»[2].

والواقع أن هذه الحكايات للشرح والتفسير ـ كما يقول البعض ـ بمعنى أن المثل قد تم ضربه وانتشاره وجاءت بعد ذلك مرحلة البحث عن أسبابه أو جذوره، فجاءت الشروح والتعليلات والمبررات التي قد تكون من إبداعات الخيال أو أنها حقيقة أو تحمل ظلاً من الحقيقة. أما ما جاء بالنسبة لموضوع الجمل ذلك الحيوان الذي لعب أخطر الأدوار في الحياة العربية فإن الخيال هنا قد يلعب دوراً محدداً أو لا يلعب دوراً على الإطلاق، لأن الجمل حيوان يشارك بفاعلية في الحياة اليومية، ومن ثم يصبح مصدراً خصباً لثقافة الأمثال وغيرها، حتى أن القزويني قال عنه: «وإن عجبها ـ الجمال ـ قد سقط من أعين

---

(١) الكشكول، بهاء الدين العاملي، مصدر سابق نقلت بتصرف لطول الحكاية.

(٢) المستطرف في كل فن مستظرف، الأبشيهي ت ٨٥٠ هـ جـ ٢/٩٧ نشر مكتبة الجمهورية وقد آثرنا ذكر بعض الحكايات بنصها لعدم طولها ولأنها أبلغ في الدلالة والتوثيق.

الناس لكثرة رؤيتهم إياها»[1]. .

ومن جانبنا قد نقبل الخيال في المثل «ما أرخص الجمل لولا الهرة» ولكننا لا نقبله في المثل «لا ناقتي فيها ولا جملي».

وقد يكون من المناسب أن نتوقف قليلاً عند بعض الآراء ومنها ما يقال من أن قصص الأمثال بشكل عام مخترعة نسجت خيوطها على ضوء هذه الأمثال تماماً كما ترتبط القصص التبريرية ببعض أبيات الشعر العربي. . لأن ما نعرفه عن الجزيرة العربية قبل الإسلام ومن تاريخ القبائل هناك قليلة جداً. . ولأن لهذه القصص في الغالب طابع الحكاية المسلية، فضلاً عن أن بعض الأخبار قام بوضعها اللغويون ليعللوا بها مثلاً من الأمثال أو أنها ارتبطت في فترة الفتوحات الإسلامية برجال احترفوا المسامرة وقص القصص أمثال غسان بن ذهيل السليطي، وعبيد بن شريه الجرهمي الذي يقال إن معاوية بن أبي سفيان أحضره من الرقة إلى دمشق ليقص عليه قصص الأولين، وصحار بن عياش الذي اشتهر بالبراعة في حفظ الأنساب وأيام العرب[2].

في هذا الجو من الممكن أن تنتشر حكايات الأمثال خاصة أن الأمثال كانت من المصادر الرئيسية في الأدب العربي منذ العصر الجاهلي، حيث ذكر النقاد والمؤرخون أن مصادر الأدب الجاهلي ثلاثة هي: الشعر والنثر والأمثال، ولما كان الجمل له دور فاعل في الحياة العربية فكان من الطبيعي أن تنتشر الأمثال وحكاياتها

(١) عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، زكريا محمد القزويني، ص ٢٦٨ طبعة دار التحرير.

(٢) الأمثال العربية القديمة، رودلف زلهايم، ترجمة د. رمضان عبد التواب ص ٥٠، ٥١، ٥٢ باختصار، طبعة بيروت ١٩٨٢.

وتصبح تلك الحكايات مصدراً للتسلية والترفيه من ناحية وأيضاً للتوثيق التاريخي لبعض أيام العرب مثل حرب البسوس، وبالتالي تصبح الأمثال من المصادر الهامة في تاريخ العلاقات الاجتماعية والتاريخية والسياسية في العالم العربي في القديم. أما عن أمثال الجمال فهي موضوع الصفحات التالية وهي عنصر أساسي في تزويد الفكر العربي بالثقافة الاجتماعية وعنصر أساسي في إلقاء الضوء على جانب من هذه الحياة بقصد الدفاع والهجوم أو التسلية، وظهر مصاحباً لذلك مجموعة من الرواة المحترفين[1]، ومن ناحية أخرى فقد ارتبط أدب حكايات المسامرة بإيقاع الحياة في ذلك الوقت..

هذه الظواهر الواضحة على أمثال الجمال عند القدماء من آثار التفاعل بين الصحراء والبشر والجمل...

وهي ذات دلالات عامة من حيث المنافع أو الشكل، ونقصد به شكل الجسم وتركيبه الجسماني والطباع التي يلاحظها الناس على الحيوان وأيضاً المعاملات..

المنافع: في التناسل: وهنا يهتم القدماء بالناقة الولود، ويضجرون من الناقة العجوز، ويهتمون أيضاً بنوعية النتاج فيقول المثل: «**أحلبت ناقتك أم أجلبت**»[2] للتعبير عن القلق أو شدة الاهتمام بنوعية المولود فإذا أنتجت الإبل إناثاً فيحلب ألبانها وإذا أنتجت الإبل ذكوراً فيعرض أولادها للبيع، والعرب تقول في الدعاء على الإنسان: «لا أحلبت ولا أجلبت».

---

(١) انظر ذلك بالتفصيل في كتاب، الأمثال العربية القديمة، رودلف زلهايم، ترجمة د. رمضان عبد التواب، طبعة بيروت ١٩٨٢ ص ٥٠ وما بعدها.

(٢) مجمع الأمثال، الميداني.

ويقول المثل: «**المحق الخفي إذكار الإبل**»[1] بمعنى أن الإبل إذا أنتجت ذكوراً محق مال الرجل. والناقة أو الجمل هنا رأسمال كبير لدى البدو وأهل الصحراء..

الشكل: يقول القدماء: «**ما استتر من قاد الجمل**»[2] «أخلف من بول الجمل» بمعنى أن بول الجمل يتجه إلى الخلف..

الطباع: نحن نعرف أن كل حيوان من الحيوانات الأليفة له سلوك خاص مع الإنسان سواء كان سلبياً أو إيجابياً، وبالتالي فإن الإنسان من خلال التعامل مع الحيوان يرصد طباعه وسلوكه ويعبر في ذات الوقت عن رأيه في هذه الطباع، وفي بعض الأحيان تكون طباع الحيوان سواء كانت سلبية أو إيجابية نموذجاً يتمثله الإنسان إما بالكراهية أو الضيق وإما بالإعجاب واستحسان الاقتداء به..

والجمل من الحيوانات التي تركت انطباعاً سلبياً وإيجابياً لدى الناس.

فعندما يقول الناس عن الشخص الحقود: «**أحقد من جمل**»[3] وهو على وزن أفعل التفضيل، إنما يقصد الناس أن حقد الجمل يمثل القمة فإذا زاد طبع الإنسان على ذلك فإنما يعبر عن شدة المبالغة التي يتميز بها أسلوب البلاغة العربية، وعندما يقول الناس: «**أحنّ من ناب**» فإنما يضربون المثل بشدة حنين الناقة المسنة إلى ولدها، وعندما يقول الناس: «**أغير من الإبل**» فإنما يرصدون سلوكاً للجمل كجزء من طباعه..

(١) مجمع الأمثال، الميداني.

(٢) مجمع الأمثال، الميداني.

(٣) العقد الفريد، ابن عبد ربه الأندلسي ت ٣٢٧ هـ، طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٦٥.

أما على مستوى المعاملات: فقد أشرنا عند الحديث عن المنافع إلى التوالد وإنتاج الألبان وهو جزء من عملية الإنتاج في الحياة الصحراوية. ونضيف إلى هذا أن الجمل يدخل ضمن المعاملات أو العلاقات اليومية فيقول المثل: «**بئس العوض من جمل قيده**»[1] وهو عن أحد الرعاة أهلك جملاً لمولاه ثم أتاه بقيده فقال صاحبه هذا المثل.

ومن الأمثال: «**تسألني أم الخيار جملاً يمشي رويداً ويكون أولاً**»، «**اتخذ الليل جملاً**»، «**توطن الإبل وتعاف المعزى**»، «**حمله على الأفتاء الصّعاب**» «**صدمني سن بكره**» وهو عن رجل ابتاع من رجل بعيراً فسأله عن سنه، فقال له إنه بازل فقال له: أنخه فلما أناخه قال: هدع هدع، وهذه لفظة تسكن بها الصغار من الإبل فلما سمع المشتري هذه الكلمة قال هذا المثل: «**كرهاً تركب الإبل للسفر**»، «**سد ابن أبيض الطريق سداً**»[2] وابن أبيض رجل عقر ناقة على رأس ثنية فسد بها الطريق، وكلها معاملات يومية وتفاعلات تثور بين الناس بسبب الجمل وظهرت في نصوص مثلية تعبر عن علاقات تاريخية.

---

(١) مجمع الأمثال جـ ١/ ١٧١، ٢٤٨، ٢٣٧، ٢٥٢، ٣٧٩، جـ ٣/ ٦١.

(٢) العقد الفريد جـ ٣ ص ٨٣.

طباع الجمل في الأمثال القديمة

المعروف أن طباع الحيوان وسلوكه تنعكس إيجاباً وسلباً على رؤية الإنسان له فيقال: ماكر كالثعلب، غبيّ أو بليد كالحمار، أليف كالكلب.. الخ. وفي السطور التالية نتوقف عند انطباعات القدماء عن الجمل بشكل عام وفي فترات زمنية متباعدة، ثم نتحدث عن أمثال الجمل وهي شكل آخر من أشكال هذه الانطباعات وندخل في موضوعنا مباشرة..

يقول القزويني عن الجمل: هو حيوان عظيم الجسم شديد الانقياد، ينهض بالحمل الثقيل ويبرك به، وتأخذ زمامه فأرة تقوده إلى حيث شاءت، ويتخذ على ظهره بيت يقعد الإنسان فيه مع مأكوله ومشروبه وملبوسه وظروفها والوسادة والملحفة والنمرقة كما في بيته، ويتخذ للبيت سقف وهو يمشي بكل هذا، وربما صبر على الماء عشرة أيام..

ويقول الأبشيهي: ما خلق الله شيئاً من الدواب خيراً من الإبل إن حملت أثقلت، وإن سارت بعدت، وإن حلبت أروت، وإن نحرت أشبعت، وفي الحديث: الإبل عز لأهلها وهي مراكب البر، ولذلك قرنها الله تعالى بالسفن فقال تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ﴾، وفي الحديث: «لا تسبوا الإبل فإنها من نفس الله تعالى» أي مما يوسع به على الناس ـ حكاه ابن سيده. وقيل: إن أفعى نهشت ناقة وفصيلها يرضع فمات قبل أمه، وقال أصحاب الكلام في طبائع الحيوان: ليس شيء من الفحول مثل ما للجمل عند هيجانه، فإنه يسوء خلقه فيظهر زبده ويقل رغاؤه، فلو حمل عليه ثلاثة أضعاف عادته حمل ويقل أكله، وقيل: إن قطاراً من الجمال كان ببعض حبله دهن فمرت فأرة

فجذبته فسار معها القطار بواسطة جذبها له»[1]..

ولعل ما يلفت النظر إلى طباع الجمل هي حاسة الانجذاب نحو الماء وتتبع أثره وإذا عرفنا أن الماء هو أثمن سلعة في الصحراء على الإطلاق، وهو العلامة الفارقة بين الحياة والموت، وفي الآية الكريمة ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ﴾. وظاهرة الانجذاب إلى الماء هذه شدت انتباه بوركهارت فيذكر حادثة تقول[2]: إن بعض الرجال قد ضلوا الوصول إلى بئر للماء بعد معاناة خمسة أيام، وتوسد الرجال الثرى تحت صخرة وبعثوا خادمين يركبان جملين كانا أشد ما بقي من جمال ليبحثا عن الماء، وقبل أن يبلغ الرجلان الجبل، سقط أحدهما عن ظهر مطيته فاقداً النطق فأومأ لصاحبه أن يمضي ويدعه يلقى مصيره، ومضى الثاني في طريقه ولكن الظمأ كان قد أعشى بصره فضلَّ طريقه وظل يضرب الأرض على غير هدى، ثم نزل عن بعيره تحت ظل شجرة شده إلى غصن فيها ولكن البعير شم الماء كما يقول العرب فقطع مقوده على ما به من ضعف ثم انطلق كالمجنون صوب العين، ولم تكن تبعد إلا مسيرة نصف ساعة كما اتضح فيما بعد، وفهم الرجل السر في مسلك البعير فحاول أن يقتفي أثره ولكنه لم يخط بضع خطوات حتى تهاوى إعياء وقد أشرف على الهلاك، ولكن العناية الإلهية قيضت له بدوياً من البشاريين المخيمين قرب العين عبر الطريق، فلما وجده رش الماء على وجهه فأفاقه، وهرول كلاهما صوب العين فملآ القرب وعادا إلى القافلة، فوجدا أهلها المعذبين لا يزالون على قيد الحياة، وتوفي البشاري وكان الراوي - وهو من

(١) المستطرف، مصدر سابق ج ٢، ٩٧، ٩٨.

(٢) رحلات بوركهارت في بلاد النوبة والسودان، ص ١٦٤.

أهل ينبع بجزيرة العرب ـ هو الذي كشف جمله العين». .

إن هذه الإشارات المتفرقة زمنياً ومكانياً تكشف أولاً: عن إعجاب وتقدير القدماء لهذا الحيوان، حتى لقد ذكروا حكايات أقرب إلى النوادر، وفي الآية الكريمة ﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُم مِّن شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[1].

وهذا ما دفع العرب إلى أن يضربوا الأمثال بالجمال، بل وجدنا التعريف اللغوي للمثل يستمد تفسيره من ملاحظة سلوك الجمل. وجاء في «لسان العرب» يقال: رجل جمالي بالضم والياء المشددة ضخم الأعضاء تام الخلق على التشبيه بالجمل لعظمه[2].

ويمكن تلخيص هذه الطباع في النقاط التالية:

١ ـ شدة الانقياد والسلاسة.

٢ ـ الصبر والقدرة الفائقة على تحمل العطش والصوم لأيام طويلة.

٣ ـ حب الغناء والطرب.

٤ ـ الحنان والشفقة والجَلَد، حتى أن كلمة حنان في اللغة مأخوذة من حنين الناقة.

٥ ـ القدرة على تحمل المشاق في الظروف الصحراوية الشديدة القسوة.

٦ ـ حمل الأثقال لمسافات طويلة ويتفوق على باقي

---

(١) سورة الحج، آية: ٣٦.

(٢) لسان العرب حرف الجيم.

الحيوانات بأكثر من ثلاثة أضعاف ما تحمله.

٧ ـ شم الماء والانجذاب إلى أماكن وجوده على مسافات طويلة.

ولا شك أن هذه الطباع والصفات التي تميز هذا الحيوان قد انعكست على علاقة الناس به من ناحية، وعلى علاقة الناس مع بعضهم، ومن ثم كان محل إعزازهم خاصة أن هذا الحيوان قد سلحه الله بمؤهلات مناسبة للتعامل الطبيعي مع البيئة الصحراوية بما فيها من نجوم وشمس ورياح وجبال ورمال وجفاف..

فماذا عن طباع الجمل من خلال ما سجلته الأمثال القديمة؟ في هذا المجال نحن لا نستطيع أن نحصر كافة الأمثال القديمة، ولكننا نتوقف عند نسبة كبيرة منها وهي مجموعة في كتابين هما الميداني والعقد الفريد. ولعل كتاب مجمع الأمثال للميداني(١) يعد عمدة كتب الأمثال في الحضارة العربية حيث يحتوي على نيف وستة آلاف مثل. أما كتاب العقد الفريد فهو يمثل الطرف الآخر للوطن العربي وبه فصل بعنوان «كتاب الجوهرة في الأمثال»(٢).

من أمثال الميداني إلى أمثال العقد الفريد

لقد أورد الميداني مجموعة من الأمثال عن الجمل عددها حوالي ٢١٦ مثلاً، منها ٢٧ مثلاً جاء فيها ذكر كلمة «جمل»، ٢١

(١) مجمع الأمثال للميداني: أبو الفضل أحمد بن محمد، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، طبعة عيسى الحلبي ١٣٩٨هـ، ١٩٧٨م. الميداني عاش ٤٧٠ هـ وتوفي ٥١٨ هـ، ١١٢٤م.

(٢) العقد الفريد، أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي القرطبي ولد ٢٤٦ هـ وتوفي ٣٢٧هـ، طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٦٥م.

مثلاً ذكر فيها كلمة «إبل» والباقي للمصطلحات:

* **القلوص**: وهي الأنثى من الإبل الشابة.

* **الناقة**: وهي أنثى الجمل.

* **الهاجن**: وهي البكرة تنتج قبل أن يطلع لها سن.

* **الشرف**: جمع الشارف وهي المسنة من النوق.

معنى ذلك أن كلمة الجمل هي الشائعة قديماً وحديثاً أو هي أكثر مسميات الجمل وروداً على ألسنة الناس..

ومجموعة أمثال الجمل في الميداني يمكن تصنيفها إلى العناوين التالية:

(١) المعاملات بين الناس.

(٢) حمل الأثقال والمنافع.

(٣) الطباع والشكل.

١ ـ المعاملات بين الناس:

*** بئس العوض من جمل قيده.**

ذلك أن راعياً أهلك جملاً لمولاه ثم أتاه بقيده فقال صاحبه هذا المثل على سبيل التحسر والسخرية.

*** أتبع الفرس لجامها والناقة زمامها.**

بمعنى أتم الحاجة كما يجب.

*** تسألني أم الخيار جملاً يمشي رويداً ويكون أولاً.**

يضرب للطلب المتناقض والذي لا يمكن تنفيذه فالجمل بطيء

الحركة ولا يمكن أن يصل قبل غيره من الدواب.

*** عند رؤوس الإبل أربابها.**

أربابها: أصحابها.

*** ويشرب جملها من الماء.**

إحداهن تزاحم الركب على مورد الماء رغم تأخرها وتطلب أن تسقي جملها قبل الحضور، ويقال ذلك على سبيل الضيق أو السخرية.

*** إنما يجزي الفتى ليس الإبل.**

بمعنى إنما يجزيك من فيه إنسانية لا من فيه بهيمية، وفي صياغة أخرى «الفتى يجزيك لا الجمل».

*** هل تنتج الناقة إلا لمن لقحت له؟**

بمعنى أن الولد لا يكون إلا لمن له الماء.

٢ ـ حمل الأثقال والمنافع:

*** اتخذ الليل جملاً.**

يضرب لمن يعمل بالليل.

*** توطن الإبل وتعاف المعزى.**

بمعنى أن الإبل توطن نفسها على المكاره لقوتها بينما المعزى لا تقوى على شيء.

*** الجمل في شيء والجمّال في شيء.**

بمعنى أن الجمل يحمل أثقاله وأمتعة صاحبه فهي محل انشغاله وتركيز قوته، أما صاحب الجمل فهو يفكر في غير ما يشغل

الجمل كالوصول بالجمل إلى المكان المقصود أو الخوف من اللصوص ومفاجآت الطريق وغير ذلك.

*** الجمل خير من الفرس.**

الجمل يحمل ثلاثة أضعاف ما يحمله الفرس أو غيره من الحيوانات فضلاً عن صبره على الجوع والعطش لعدة أيام وهو ما لا يستطيعه الفرس..

*** أخذت الإبل رماحها**، وفي صياغة أخرى: **أخذت الإبل أسلحتها**. يقال ذلك عن الإبل إذا سمنت فلا يستطيع صاحبها أن ينحرها..

*** أحلبت ناقتك أم أجلبت.**

«حلب الرجل»: إذا أنتجت إبله إناثاً فيحلب ألبانها، وأجلب إذا أنتجت إبله ذكوراً فيجلب أولادها للبيع، والعرب تقول في الدعاء على الإنسان: لا أحلبت ولا أجلبت.

*** لا أفعل ما أبسَّ عبد بناقته.**

الإبساس: أن يقال للناقة عند الحلب: بس. بس يسكن به الراعي الناقة عندما يحلبها..

*** المحق الخفي إذكار الإبل.**

يعني أن الإبل إذا أنتجت ذكوراً محق مال الرجل وربما كان هذا أكثر وضوحاً في البادية.

*** كرهاً تركب الإبل للسفر.**

يضرب للرجل يركب في الأمر ما يكرهه، والمعروف أن الإبل كانت مخصصة للأسفار الطويلة.

٣ ـ الشكل والطباع:

*** ما استتر من قاد الجمل.**

بمعنى أن راكب الجمل لا يمكن أن يستتر لارتفاع الجمل، كما يمكن رؤية الراكب من مسافات بعيدة.

*** هذا أمر لا تبرك عليه الإبل.**

يضرب للأمر العظيم الذي لا يصبر عليه.

*** أغلظ من جمل الجسر.**

*** أغير من جمل.**

*** بيت الحيتان والأنوق.**

يضرب للضدين اجتمعا في أمر واحد، فالحيتان شديدة القسوة نافرة الطبع والنوق تتميز بالوداعة وسلاسة الانقياد.

*** حمله على الأفتاء الصعاب.**

الأفتاء: جمع فتيّ من الإبل، والمعروف أن الجمل في مرحاة البلوغ يزداد هياجه وتوتره، وكلمة «الصعاب» تعني سرعة الغضب والهياج، وعكس هذا المثل المثل الآتي:

*** حمله على الشرف الذلل.**

الشرف جمع الشارف وهي المسنة من النوق.

*** التمر في البئر وعلى ظهر الجمل.**

بمعنى من سقى وجد عاقبة سقيه، ومثله «عند الصباح يحمد القوم السرى».

وتعليقاً على أمثال الميداني نقول:

إن هذه النصوص تعكس رأيين يبدوان من الوهلة الأولى أنهما متعارضان، فبينما يتحدث العلماء عن طاعة الجمل ووداعته وصبره على تحمل المشاقّ، ويضربون به المثل في الحنان والشفقة، وبلغ من إعجابهم أنهم أوردوا قصصاً حول هذا الحيوان تميل إلى الاتجاه الأسطوري، وهي مليئة بالمبالغات[١] كما أنه يرمز للقوة والجَلَد. نقول: بينما يسجل العلماء هذا الإعجاب في صور متعددة نجد أن مجموعة من الأمثال قد صورت الجمل من خلال الممارسة والتجارب اليومية بصورة سلبية:

فيقول المثل: «**لو نظر الجمل لصدمه كان كدمه**» أو يقول المثل: «**الجمل ما يشوف حدبته يشوف حدبة خوه**»[٢] أو المثل الذي يقول: «**أحقد من جمل**»[٣]. وهو ما يشير إلى أن تكوينه الجسماني كان محل سخرية أو أن طباعه كانت محل ضيق، بل إن الجمّال وهو أقرب الناس إلى هذا الحيوان، ويفترض أن يكون أكثر حرصاً على الجمل أو أكثر اهتماماً بشؤونه كمورد رزقه ووسيلة مواصلاته الضرورية في دروب الصحراء ومجاهلها، هذا الجمّال نجده في واد والجمل يئن تحت حمله في واد آخر، فيقول المثل: «**الجمل في شيء والجمال في شيء**» بمعنى أن الجمل يعاني من أثقاله طول الطريق، أما الجمّال فهو لا يحس بذلك لأنه منشغل بهمومه الخاصة..

أما على مستوى التفاعل اليومي، فإن الجمل قد يكون سبباً للمشاكل اليومية التي تثور بين الناس، وفي ذلك يسجل المثل:

---

(١) المستطرف، مصدر سابق، جـ٢ ص٩٧، ٩٨.

(٢) المستطرف، مصدر سابق، جـ٢/ ٣٤، ٣٥.

(٣) الدرة الفاخرة في الأمثال السائرة، حمزة الأصفهاني ٣٥١هـ جـ١/ ١٣٤ تحقيق: عبد المجيد قطامش، طبعة دار المعارف.

«ويشرب جملها من الماء» ويقول ذلك أحدهم على سبيل الضيق، أو يقول المثل: «**تسألني أم الخيار جملاً يمشي رويداً ويكون أولاً**» أو يقول المثل: «**بئس العوض من جمل قيده**» ويقول مثل آخر: «**المحق الخفي أذكار الإبل**» بمعنى أن ذكور الإبل لا تلد فهي إذن محل خسارة لصاحبها. ويقول المثل: «**إنما يجزي الفتى ليس الإبل**» حيث يقابل المثل بين بهيمية الحيوان وإنسانية الإنسان. والمثل «**أغلظ من جمل الجسر**» والمثل «**أغير من جمل**» وكلها تنظر إلى هذا الحيوان من بعض الجوانب السلبية، أو أنه قد يكون مصدراً للمنازعات اليومية..

ومع ذلك فيمكن النظر إلى هذه الأمثال من زاوية أخرى قد تكون مناقضة لهذه الصورة السلبية الظاهرة. فهذه الأمثال في واقع الحال تستخدم كوسيلة لتأنيب الإنسان الذي يظلم هذا الحيوان، أو لتنبيه الناس إلى الظلم الواقع عليه. أو أن هذه الأمثال لا علاقة لها بالجمال ولكنها وسيلة للتهذيب والنصح أو تعبير عن الضيق والسخرية، وكلها تتعلق بالممارسات الإنسانية أو المعاملات السائرة بين الناس. ودور المثل هنا وعلاقته بالجمل لا تخرج عن كونها وسيلة أو مادة استخدمها الإنسان لتسجيل ظروفه النفسية وعلاقاته الاجتماعية..

وطبيعي ألا تقف هذه الأمثال عند حدود بعض التصورات السلبية ـ رغم أنها في الواقع سلبية إنسانية ـ ولكنها تسجل أيضاً الصورة الأخرى، أو الدور الوظيفي الذي يقوم به الجمل فيقول المثل: «**اتخذ الليل جملاً**» ويقول: «**الجمل خير من الفرس**» في إشارة واضحة إلى أن الجمل أكثر أهمية من الفرس حيث يحمل ثلاثة أضعاف ما يحمله الفرس. ويقول مثل آخر: «**حمله على الأفتاء الصعاب**» أي الفتي من الإبل. ويقول مثل آخر: «**توطن الإبل وتعاف**

المعزى» أي توطن الإبل نفسها على الأعمال الشاقة لقوتها.

وإذا قلنا إن أمثال الجمل في الميداني تتمثل في المعاملات وحمل الأثقال والمنافع، وأبرزت شكل الحيوان وأثره على رؤية الناس وعلاقاتهم الحياتية، فماذا عن أمثال الجمل في العقد الفريد[1]؟

وقبل أن نعرض لأمثال العقد الفريد نقول إنه لا توجد أمثال متكررة في الكتابين باستثناء المثل الذي يقول: «**الناس كإبل مائة لا تجد فيها راحلة**» وذكر صاحب العقد أنه حديث مرفوع أي له أصول دينية وأيضاً المثل الذي يقول: «**لا ناقتي في هذا ولا جملي**» وموجود في العقد بهذه الصياغة «**ما لي فيه ناقة ولا جمل**» وهو على أية حال مثل شائع حتى في الكتب الحديثة لارتباطه بحكاية شهيرة.

معنى ذلك أننا عندما نقارن بين أمثال الكتابين إنما نقارن بين تفكيرين متباعدين في الزمان والمكان دون رفض للرأي القائل بامتداد الفكر المشرقي إلى الفكر المغربي، وتأثر المغاربة بالمشارقة..

وللوهلة الأولى نقول إن عنوان الأمثال في كتاب العقد يقول: «ما تمثلوا به من البهائم» يشير إلى أن أهم الموضوعات في أمثال

(١) تحدثنا عن الميداني **أولاً**: لأنه ثمرة كتب الأمثال في الحضارة العربية والإسلامية في العصر القديم، ولأنه أكثر شمولاً وفيه نسبة كبيرة من الأمثال رغم أنه يتأخر عن صاحب العقد الفريد بحوالي قرنين (الميداني عاش ٤٧٠هـ وابن عبد ربه الأندلسي ولد ٢٤٦هـ وتوفي ٣٢٧هـ)، **وثانياً**: لأن أساس أمثال الجمال هي المشرق حيث الصحراء المناخ الطبيعي لهذا الحيوان، **وثالثاً**: لأن الإنتاج الثقافي في الأندلس تأسس على إنتاج المشارقة حتى إن المشارقة عندما كانوا يقرؤون إنتاج المغاربة يقولون «بضاعتنا ردت إلينا» وهو ما يعني أن أمثال العقد الفريد قد تكون ذات أصول مشرقية، وهي على كل حال إضافة إلى أمثال الميداني.

الجمال هو موضوع المعاملات، أي ما تمثل الناس به من طباع الجمل في معاملاتهم أو رؤيتهم لما يدور حولهم ويدخل تحت هذا الموضوع كافة صور الأمثال الأخرى..

أما الملاحظة الثانية، فلدينا بعض الأمثال التي صيغت بأسلوب المبالغة بمعنى أن هذا الشخص أكثر في هذا السلوك من سلوك الجمل أو أشد في تعامله مع الناس من النموذج المضروب، وهو طبع الجمل كالمثل: «**أحقد من جمل**»، والمثل: «**أعز من الأبلق العقوق**»(١) وهو ما يشير إلى أن الناس لم يتوقفوا عند رصد طباع هذا الحيوان، ولكنهم عبروا عن انعكاس هذه الطباع على أسلوب المعاملات..

ومن ناحية أخرى ذكر «العقد» بعض الأمثال التي تركز على الجانب الإيجابي في سلوك الحيوان، وأبرز ما لاحظ الناس في هذا المجال هو جانب الحنين والأمومة وكانت محل إعجاب وضرب بها المثل على أساس النموذج فيقول المثل: «**أحن من ناب**»(٢).

والمثل الذي يقول: «**حرِّك لها حوارها تحن**»(٣) والمثل الذي

---

(١) العقوق: الحامل من النوق والأبلق من صفات الذكور لا يحمل فكأنه قال: طلب الذكر الحامل. والعرب كانت تسمي الوفاء الأبلق العقوق لعزة وجوده. العقد الفريد ص ٧٣ - من شروح المحققين.

(٢) الناب: الناقة المسنة وهي أشد حنيناً إلى ولدها من غيرها ليأسها من النتاج. المصدر السابق ص ٧٣.

(٣) هذا المثل يروى عن عمرو بن العاص أنه قال لمعاوية حين أراد أن يستنصر أهل الشام: أخرج إليهم قميص عثمان رضوان الله عليه الذي قتل فيه ففعل ذلك معاوية فأقبلوا يبكون فعندها قال عمرو هذا المثل «حرك لها....» والحوار: ولد الناقة ساعة تضعه.. وهذا المثل يشير إلى أن الجمال لم تدخل ضمن المعاملات اليومية فحسب، ولكنها دخلت أيضاً كأقوال سائرة بين الحكام يترتب عليها سياسات وقيام دول وانهيار دول أخرى، المصدر السابق ص ١٢٨.

يقول: «**لا آتيك ما حدت النيب وما أطت الإبل**»[1].

وظاهرة الحنين هذه التي شدت انتباه القدماء قد نبه إليها المحدثون ـ سنشير إلى ذلك فيما بعد ـ كما أن أمومة الناقة ربما كانت أكثر وضوحاً مما لدى الحيوانات الأخرى..

أما على الجانب الآخر فقد رصد «العقد» بعض الجوانب السلبية في سلوك هذا الحيوان، وهي جوانب انعكست على سلوك البشر ـ وهو ما يتفق مع الخط الذي اتخذه الميداني ـ فنجد أمثالاً تدور حول بعض الأخلاقيات المرفوضة اجتماعياً، وتتمثل في ذلك القوي الذي كان يتصف بالشجاعة والإقدام ومحل إعجاب الناس ثم تحول إلى شخص ضعيف لا حول له ولا قوة فيقول المثل: «**كان جملاً فاستنوق**» أو المثل الذي يتحدث عن المال في يد من لا يستحقه فيقول: «**عشب ولا بعير**» أو عن الذي يتوكل على المقادير دون احتياط أو الأخذ بالأسباب فيقول المثل: «**أرسل ناقتي وأتوكل؟ قال: بل اعقلها وتوكل**» وهو يأخذ أسلوب النصيحة والتوجيه...

أما الموضع الآخر والذي كان أكثر وضوحاً في أمثال الميداني ويتمثل في الدور الوظيفي للجمل كحمل الأثقال من مكان إلى آخر وهو دور أساسي يقوم به الجمل ويتفوق به على ما عداه من الحيوانات الأخرى، فلم نجد له نصوصاً في العقد باستثناء نص يشير من بعيد إلى حمل الأثقال أو بمعنى أدق طريقة الجمل عندما يحمل ثقلاً يصعب عليه النهوض به، فيقول المثل: «مثقل استعان بذقنه»[2].

---

(١) أطت الإبل: أنت حنيناً وتعباً والنيب: جمع ناب وهي المسنة من الإبل. المصدر السابق ص١٣٦.

(٢) وأصله البعير يحمل عليه الحمل الثقيل فلا يقدر على النهوض به فيعتمد على الأرض بذقنه، العقد الفريد ص٩٧.

وربما كان السبب في عدم وجود هذه الأمثال هو أن الأندلس ليست أرضاً صحراوية ولكنها أرض زراعية مطرية، ولذلك فإن دور الجمل في هذه المناطق ليس أساسياً، أو على الأقل ليس في أهمية دوره في الحياة الصحراوية، فضلاً عن أن الجمل يعيش في المناخ الحار بشكل عام، وقد دخل الجمل مع الفتح العربي، وقد ساعد ذلك على اتساع شهرة الجمل في هذه المناطق «فلقد أحضره العرب إلى إسبانيا، وقد دخل ٨٠ جملاً إلى إسبانيا ١٨٢٩م حيث تحقق وجودها في كوتود ونانا.

في دلتا جود الكوير حيث عاشت هذه الجمال في غربة في المستنقعات حتى ١٩٥٠م، عندما كان آخر خمسة من هذه الجمال العربية الإسبانية قد سرقت من المستعمرات في الأزمنة المتقدمة[١]. وهذه الإشارة تكفي للتدليل على ضعف الدور الوظيفي للجمل في هذه المنطقة...

*** أمثال أخرى:**

مما لا شك فيه أن متابعة أمثال الجمل في الكتب القديمة على مدى التاريخ العربي والإسلامي يمكن أن تزودنا بأعداد كثيرة، ولكننا نتعامل مع ما هو ميسَّر ومتاح، وقد ركزنا على أبرز كتاب في الأمثال ظهر في القديم وهو كتاب مجمع الأمثال للميداني، ودرسنا معه أمثال العقد الفريد حيث إن كليهما يمثل علامة وملمحاً..

وفي هذا المجال نتوقف أيضاً عند كتاب «أمثال العرب» للمفضل الضبي[٢] وهذا الكتاب يحتوي على ١٤٦ مثلاً في كافة الموضوعات متبوعة بمضربها، وهي حكايات تدور كلها حول

(١) أمثال العرب، المفضل الضبي، طبعة ١٩٠٩م، ١٣٢٧هـ.

الحياة البدوية، وبعد متابعة الكتاب وجدنا أن هذه المجموعة من الأمثال فيها ١٩ مثلاً من أمثال الجمل ومعها ـ بالطبع ـ حكايات تدور حول الحياة البدوية في أعماق الصحراء..

وأمثال المفضل الضبي عن الجمل وعددها تسعة عشر تنقسم إلى:

ـ أمثال لا توجد في مجمع الأمثال للميداني، وعددها اثنا عشر مثلاً:

ـ ومثلان موجودان في الميداني بنصِّهما وهما:

المثل: «**حرامه يركب من لا حلال له**». ويضرب لمن اضطر إلى ما يكرهه.

والمثل: «**است البائن أعلم**». ويضرب لمن ولي أمراً فهو أعلم به ممن لم يمارسه ولم يصل به..

ـ وخمسة أمثال ذكرها الميداني بصياغات مختلفة ولا بأس من تسجيلها مع مثيلتها لدى المفضل الضبي وهي:

(١) في المفضل: «**أشأم من ناقة البسوس**».

وفي الميداني: «**أشأم من سراب**» وهو اسم ناقة البسوس.

(٢) في المفضل: «**استنوق الجمل**».

وفي الميداني: «**قد استنوق الجمل**» ويضرب في التخليط.

(٣) في المفضل: «**قد لا يقاد بي الجمل**».

وفي الميداني: «**لقد كنت وما يقاد بي البعير**».

يضرب للمسنّ حين يعجز عن تسيير الجمل بعد أن ولّى زمن الفتوة.

(٤) في المفضل: «**لا ناقة لي في هذا ولا جمل**».

وفي الميداني: «**لا ناقتي في هذا ولا جملي**» للابتعاد عن التورط.

(٥) في المفضل: «**شولان البروق**».

وفي الميداني: «**يهيج لي السقام شولان البروق في كل عام**».

والبروق: الناقة تشول بذنبها فيظن بها لغم وليس بها، ويضرب في الأمر يريده الرجل ولا يناله..

ومما لا شك فيه أن اختلاف الصياغة في الكتابين يعطي مؤشراً على أن الأمثال القديمة ظلت تدور على ألسنة الناس شفوياً فترة زمنية طويلة قبل أن يسجلها العلماء على الورق، وهو ما يعني أن الأمثال القديمة هي في واقع الأمر كانت ضمن الثقافة الشعبية السائرة ثم قيدها العلماء بعد إجراء بعض التعديلات اللغوية. يؤكد ذلك ما نشرته «جريدة الحياة»[1] في مقال تحت عنوان «أمثال العوام في رسالة نادرة» لعالم التراث العربي د. صلاح الدين المنجد يقول فيه: «... بعد البحث وجدت أن العرب ألفوا في الأمثال العامية. عثرت على رسالة نادرة اسمها «رسالة الأمثال البغدادية التي تجري بين العامة» ألفها القاضي علي بن الفضل الطالقاني جمعها ٤١٢هـ وطبعها على نفقته المستشرق الفرنسي لويس ماسينيون في القاهرة[2] وقد انتخب من أمثالها أربعين مثلاً منها المثلان:

---

(١) جريدة الحياة، ابريل، مايو ١٩٩٢.

(٢) طبعها في مطبعة عمسيس بالفجالة والرسالة تقع في ٣٧ صفحة ويقول عن هذه الرسالة إنها نادرة جداً وليس لها وجود، المصدر السابق.

* سقط من عينه كما تسقط البعرة من است الجمل.

* شبر من ألية الجمل خير من ثلاثة أذرع من ذنب الثور.

وهي أمثال شائعة قبل الميداني، ولها حضور في الوقت الحاضر..».

* * *

وعلى العموم فإن الأمثال العربية القديمة تسير في خطين:

الأول: أمثال تتحدث عن الجمل بشكل مباشر، وهي بالطبع ـ تمثل الجزء الأكبر من مجموعة أمثال الجمال، ويرتبط بها كل ما يدور حول الجمل من حيث الدور الوظيفي أو الطباع أو الدلالات الاجتماعية التي تظهر من خلال الاحتكاك اليومي بين الناس. وقد قامت الأمثال بتكثيف هذه الدلالات في جمل أصبحت.. موروثات ثقافية تتناقلها الأجيال وربما حتى هذه الأيام. ومن هذه الأمثال أيضاً ما يسجل مشاهدات لها ارتباط بموقف الناس من هذا الحيوان أو بالشكل العام كالحجم واللون والتكوين الجسماني.

الثاني: أمثال كان الجمل سبباً في انتشارها دون أن تكون هناك علاقة مباشرة بين الحيوان والمثل، كالمثل «الحديث ذو شجون»، والمثل «سبق السيف العذل» ومجمع الأمثال للميداني فيه نسبة كبيرة من هذه الأمثال التي ليس لها علاقة مباشرة بهذا الحيوان.

إن هذه النصوص لا تقف عند حدود الملاحظات الشكلية ولكنها تتعدى ذلك إلى تسجيل الممارسات اليومية، وهو ما يؤكد أن النصوص المثلية التي سجلتها الحضارة العربية هي في واقع الأمر نصوص شعبية في الأصل ثم انتقلت إلى بطون الكتب في

فترات معينة. فالمثل الذي يقول: «**ويشرب جملها من الماء**» عبارة عن جملة معطوفة على جملة أخرى وهي تستكمل حواراً، ثم أمست هوى لدى الناس فيما بعد. وجاءت مشاهد حياتية أخرى في فترات لاحقة تنطبق عليها هذه الجملة الناقصة «المعطوفة على ما قبلها»، ومن ثم كانت صالحة للاستدعاء، وترسخت مع تكرار الاستخدام حتى تحولت إلى صياغة فكرية مستقلة، وهي ما تسمى «المثل».

وأخيراً، فإن ما يبدو في هذه الأمثال من جوانب إيجابية أو سلبية إنما يعبر عن طبيعة الحياة العامة في الصحراء، فهذه الأمثال تعكس بوضوح صورة الحياة البدوية التي تتميز بالصراحة في التعبير عمّن يحب ويكره بعيداً عن الخيال أو اللف والدوران، فالبدوي شخص أقرب إلى الفطرة عند حكمه على المحيط. فبالرغم من أن هذا الحيوان يمثل بالنسبة للبدوي جزءاً من منظومة حياته الأساسية، إلا أنه عندما يتحدث عن جمله - كما هو واضح في نصوص الأمثال - فإنما يتحدث إما بإعجاب شديد أو أنه في ظروف أخرى يتحدث عنه بضيق شديد. والمثل المشهور يقول: «**أحقد من جمل**» دليل على ذلك، وفي نفس الوقت يقول: «**اتخذ الليل جملاً**»، «**القُرُّ في بطون الإبل**»[1] بمعنى أن ذهاب البرد يرتبط بإنتاج الإبل وهم يتفرجون في الربيع لأن الإبل تنتج فيه ويصيبهم الهزال وسوء الحال في الشتاء..

(١) مجمع الأمثال للميداني ج٢/٨٩.

ظواهر في المثل القديم

تتميز أمثال الجمال في العصر القديم ببعض الظواهر التي لم يعد لها وجود في أمثال الجمال عند المحدثين. .

ولعل أبرز هذه الظواهر تلك الدلالات والإشارات الكثيرة للحياة الصحراوية حيث كانت الإبل محل صراعات بين القبائل[1].

وهذه الأمثال تتميز باتجاهين:

الأول: فإذا قيلت دون حكاياتها فإن القارىء أو المستمع لا يعرف علاقة هذه الحكايات بالأمثال، وهي إما أن تكون الجمال سبباً في وجودها وذيوعها، ولكنها لا تحمل إشارات في بنية المثل: ومن ذلك الأمثال:

«أسعد أم سعيد»، «إن الحديث لذو شجون»، «سبق السيف العذل»، «على أهلها تجني براقش» ونكتفي في هذا المجال بذكر حكاية براقش تلك التي سببت الاعتداء على قبيلتها دون أن تقصد. فقد زعموا أن براقش ابنة تقن كانت امرأة لقمان بن عاد وكان بنو تقن من عاد أصحاب إبل، وكان لقمان صاحب غنم، وكان لا يطعم لحوم الإبل فأطعمته امرأته براقش من لحوم الإبل فنحر إبلهم التي يحتملون عليها فأكلها ثم قاتل إخوتها على إبلهم فقيل: «على نفسها. . .» المثل، وذلك للدلالة على لذة لحوم الإبل، وأنها تفوق لحوم الغنم.

الثاني: أن تكون حكايات مما يدور بين البدو والعربان عن

(١) انظر أمثال العرب، للمفضل الضبي، طبعة أولى ١٣٢٧، ١٩٠٩، ص٣، ١٥، ١٨، ٢١، ٦٢، ٧١، ٨٩، ١٠١، مطبعة الكتبي.

الإبل أيضاً، ولكنها تنتهي بأمثال فيها إشارة مباشرة إلى الجمل، ومن ذلك «أشأم من ناقة البسوس»، وأيضاً المثل الشهير والذي يشيع استخدامه حتى وصل إلى المقالات الصحفية في العصر الحاضر ويقول: «لا ناقة لي في هذا ولا جمل». أما القصة التي نذكرها هنا فهي عن المثل الذي يقول: «استنوق الجمل» فهي تشير إلى أن المتلمس وكان أشعر أهل زمانه فزعموا أن المتلمس أنشد مجلساً لبني قيس بن ثعلبة وطرفة بن العبد هذا البيت:

وقد تناسى الهم عند احتضاره بناج عليه الصيعرية مكرم

والصيعرية سمة توسم بها النوق باليمن دون الجمال، فقال طرفة هذا المثل: **«استنوق الجمل»**.

أما أمثال الجمال التي تحمل دلالات صحراوية مباشرة فهي تلك الأمثال التي لها علاقة بالماء، ونحن نعرف أن الماء من أكبر المشكلات التي يواجهها سكان الصحارى، وتثور بسببها النزاعات والحروب والوقائع، حيث تكون آبار المياه محل نزاع وصراع وقتال، يقول المثل: **«ويشرب جملها من الماء»**[١] وحوله قصة تقول إن رجلاً تزوج امرأة فطلقها ثم لبث زمناً فاستسقاه ظعن مررن به فسقاهن فرأى جملها وهي عليه فعرفها فقال هذا المثل، ويضرب عند التهكم والأسف والضيق، ويقول مثل آخر: **«التمر في البئر وعلى ظهر الجمل»**[٢] بمعنى من سقى وجد عاقبة سقيه. ويقول المثل: **«الجمل خير من الفرس»**[٣] وهما من الحيوانات الصحراوية، وأيضاً المثل

(١) مجمع الأمثال للميداني، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم جـ١/ ٤٣٧.

(٢) المصدر السابق ج١/ ٢٤٠.

(٣) المصدر السابق جـ١/ ٣٤٠.

«**يدق دق الإبل الخامسة**»[1] والخمس أشد الإظماء لأنه في القيظ ولا تصبر الإبل في القيظ أكثر من الخمس، ويوجد المثل «**عشب ولا بعير**»[2] والمثل «**كالحادي ولا بعير**»[3] والحادي من حداء الإبل والمثل «**إن جاء أجل البعير حام حول البير**»[4].

وكل هذه النصوص تشير إلى مفردات الحياة الصحراوية وما كان يدور بين القبائل، أو أن لها علاقة مباشرة بالحياة الصحراوية كالآبار وندرة المياه وطبيعة حياة الجمل في هذه الظروف..

ومن ناحية أخرى فقد كان القدماء يعتمدون اعتماداً كبيراً على هذا الحيوان، ويكفي أن نشير إلى فن الرجز من توليدات الرحلة الطويلة التي كان يقطعها الجمل وصاحبه عبر دروب الصحراء، وهذه الرحلة قد دفعت العربي إلى ابتكار فن الرجز لكي يساعده على التغلب على ما يصيبه من ملل طوال الرحلة التي قد تستمر أياماً طويلة. وهكذا ابتكر العربي طريقة غنائية تساير نغمات ـ الحداء ـ وهذا الفن الذي كان يتوازن مع إيقاعات سير الجمل، والعجيب أن هذا الرجز لم يكن لتسلية الجمال فحسب، ولكنه كان له فعل السحر في نفس الجمل أيضاً مما يساعده على تحمل مشاق الحمل وطول مسافة الرحلة..

ومن الدلالات الصحراوية في أمثال الجمال تلك الأمثال التي تذكر الناقة، والمعروف أن الجمال لا تتوالد إلا في الصحراء ـ في بيئاتها الطبيعية ـ أما الجمال في الريف فليس فيها الناقة، ولذلك

---

(١) المصدر السابق جـ٣/ ٥٣٤.

(٢) العقد الفريد، طبعة لجنة التأليف والترجمة ١٩٦٥م جـ٣/١٠٨.

(٣) المصدر السابق جـ٣/١٠٩.

(٤) مجمع الأمثال للميداني جـ١/ ١٥٢.

فإن الأمثال التي تتحدث عن ـ الناقة ـ أنثى الجمل هي في الواقع أمثال صحراوية..

وقد سجل القدماء مجموعة من الأمثال التي تحمل هذه الدلالات فيقول المثل: «**أحن من ناب**»[١] والناب الناقة المسنة وهي أشد حنيناً إلى ولدها من غيرها، ويقول مثل آخر: «**حرِّك لها حوارها تحنّ**»[٢]. والحوار ولد الناقة ساعة تضعه، وفي مثل ثالث: «**جل الرفد عن الهاجن**»[٣] ويقول المثل: «**أحلبت ناقتك أم أجلبت**»[٤] ويقول المثل: «**الناقة حن ضراسها**»[٥] ويقول المثل: «**لا أفعل ما أبس عبد بناقته**»[٦]..

وهذه الإشارات تحمل دلالات صحراوية واضحة فهي تتحدث عن الناقة التي لا يستخدمها الفلاح. والفلاح في الريف المصري لم يكن يستخدم الجمل في غير عمليات النقل، حيث إن الجمل لا يصلح في عمليات الفلاحة. ونذكر في هذا المجال المثل الذي يقول «زي الجمل اللي يحرثه يبططه». ومن ملاحظة كاتب هذه السطور أقول إن كل الجمال في الريف مستوردة من خارج مصر وخاصة من السودان ولا تتوالد في الريف..

---

(١) العقد الفريد جـ٣/ ٧٣.

(٢) المصدر السابق جـ٣/ ١٢٨.

(٣) مجمع الأمثال للميداني جـ١/ ٢٩٢ الرفد: القرح. الهاجن: البكرة تنتج قبل أن يطلع لها سن.

(٤) مجمع الأمثال جـ١/ ٣٥٦.
أحلب الرجل إذا أنتجت إبله إناثاً فيحلب ألبانها.

(٥) مجمع الأمثال جـ٣/ ٣٨١. ناقة ضروس إذا كانت سيئة الخلق عند النتاج وإذا كانت كذلك حامت على ولدها.

(٦) مجمع الأمثال جـ٣/ ١٥٦.

وهناك خاصية واضحة أيضاً في أمثال الجمال عند القدماء وهي ترتبط بحكايات حول النص المثلي أو مثل ينتهي بحكاية، وهذه الظاهرة لا وجود لها في الأمثال الحديثة مما سيكون محل دراسة في مكان آخر..

الفصل الثاني

- أمثال الجمل في الحديث
- أمثال مقارنة
- أمثال الجمل في الدول العربية

المشرق العربي

المغرب العربي

أمثال الجمل في الحديث

إن نصوص الأمثال دليل على طبيعة العلاقة بين الناس وهذا الحيوان، وتعبر عن رؤيتهم لطباعه وسلوكه وشكله الظاهري، وتتمثل في:

١ ـ التكيف مع الظروف والبيئة.

٢ ـ سلاسة الانقياد.

٣ ـ حمل الأثقال بما يزيد على ثلاثة أضعاف ما يحمله أي من الحيوانات الأخرى.

٤ ـ الصبر على تحمل العطش لأكثر من عشرة أيام، وقيل شهرين. وكذلك «العامة» بجانبها السلبي والإيجابي.

فقد يكون من المناسب أن نرصد انطباعات المحدثين على مستوى العالم العربي شرقه وغربه من خلال مجموعات الأمثال المقارنة.

أمثال مقارنة

ففي كتاب «**وحدة الأمثال العامية**»[1] نجد أن أساس المقارنة هو المثل المصري، وأورد المؤلف ما يقابله في البلاد العربية منها:

١ ـ «**لو بص الجمل لصنمه لقطمه**» وفي الشام «**لو كان الجمل بيشوف حردبته كان بيقع بيفك رقبته**» وفي الموصل «**لو بص الجمل**

(١) وحدة الأمثال العامية في البلاد العربية، محمد قنديل البقلي، طبع ١٩٦٨ مكتبة الأنجلو المصرية بص: شاف، رأى، حردبته محرف حدبة، كلمة الشام تعني بلاد الشام وهي سورية ولبنان والأردن وفلسطين.

لصنمه لقطمه»، وفي الجزائر والمغرب «**الجمل ما يشوفش حدبته يشوف حدبة خوه**».

٢ ـ «**ما عندو كبير إلا الجمل**» وفي الموصل «**ما عندو الجبير إلا البعير**».

٣ ـ «**قالوا للجمل زمر قال: لا شفايف ملمومة ولا أيادي مفرودة**» وفي الموصل: «**قالوا للجمل عقبتك عوجا قال: اش اكو بيي شي عدل**».

٤ ـ «**ياما الجمل كسر بطيخ وياما البطيخ كسر جمال**» **وفي الشام بلفظه**.

٥ ـ «جمل مطرح جمل يبرك» وفي الشام بلفظه.

وفي كتاب «الأمثال العامية بمصر والشام»[1] سجل صاحبه الأمثال التالية:

١ ـ «**عد جمال أبوك واحد واقف واحد قاعد**».

٢ ـ **الجمل في نية والجمّال في نية**.

٣ ـ **من عود الجمّال على باب داره، فليوسع الباب حتى يدخل الجمّال والجمل**.

٤ ـ **الجمل عرج من شفته**.

٥ ـ **قالوا للجمل: أي قدر تحمل على هينتك؟ قال: سمسمة مقشورة، وقالوا له: بالعصا قال: حملوا ما تريدون**.

---

(١) الأمثال العامية بمصر والشام في القرن التاسع عشر، اناتول دي ميبوم.
أدب مكتبة الأزهر. والكتاب صغير يقع في ١٢٣ صفحة ومع كل مثل ترجمة بالفرنسية وله مقدمة تقع في صفحتين ونصف صفحة بالفرنسية.

٦ ـ **الجمل طلع مدّ رأسه من الطاقة وقالوا له: لا تقع، فقال: الثقيل لي وراء.**

٧ ـ **الجمل إذا بار حمله قنطار.**

٨ ـ **قالوا للجمل: ايش صنعتك؟ قال: ادق بالعتيق، فقالوا له: مبين على أصابيعك هذه الصغار وفمك هذا الضيق**[(١)].

٩ ـ **الجمل إذا جشع حدبته يقع وتنقصف رقبته.**

١٠ ـ **الجمل بفلس وفلس ما فيه.**

أما الكتاب الثالث في مجال المثل المقارن فهو كتاب «**الأمثال البغدادية المقارنة**»[(٢)]، فقد جعل صاحبه أساس المقارنة هو المثل البغدادي فقد سجل الأمثال التالية:

١ ـ «**اللي إله بالجمل إذن يدوخه**»، وفي سورية «**اللي إله بالجمل ودنه بيبركه للأرض**» وفي فلسطين «**اللي إله ذان في الجمل بيبرخه**» وفي لبنان «**اللي إله بالجمل ذينه بينخه للأرض**».

٢ ـ «**اللي تجمعه النملة بسنة يشيله البعير بخفه**»، وفي الجزائر «**اللي تلمه النملة في عام يأكله الجمل في لقمة**»، وفي سورية «**اللي**

(١) مبين: مش باين: ما هو واضح.

(٢) الأمثال البغدادية المقارنة، عبد الرحمن التكريتي، مكتبة المثنى ببغداد. والأمثال من رقم ١ ـ ٤ من جـ١ ص ٢٢٠، ٢٢٣، ٢٨٦، ٣٠٧ على التوالي والأمثال من رقم ٥ ـ ١٠ من جـ٢ ص ٨٧، ٨٨، ٩٠، ٢٧٦ على التوالي، والمثلان ١١، ١٢ من جـ ٣ ص ٢٣٠، ٣١١ على التوالي. وقد كان لكاتب هذه السطور حظ الالتقاء مع صاحب هذا الكتاب في دار الكتب في الستينيات وقد كان برتبة عميد ركن في الجيش العراقي في ذلك الوقت، وأخبرني أن الأمثال قد استهوته وسيطرت عليه حتى أنه سار وراءها من بلد إلى بلد وعندما تقابلت معه كان يصور بعض المخطوطات وقد شرفني بإهدائي نسخة من هذا الكتاب وعليها توقيعه بتاريخ ٦٨/٩/١٢.

بتحوشه النملة بيجي الجمل بيغبه»، وفي مصر «**اللي تجمعه النملة في سنة يأخده الجمل في خفه**»، «**اللي تلمه النملة طول عمرها يسفه الجمل في سفة**» وفي فلسطين «**اللي تجمعه النملة بسنة ياخده الجمل في خفه**».

٣ ـ «**الباب يوسع جمل**» **وفي مصر** «**الباب يفوِّت جمل**».

٤ ـ «**بعت الجمل بما حمل**»، وفي السودان «**الجمل وما حمل**»، وفي مصر «**أنا بعت الجمل بما حمل**»، وفي نجد «**راح الجمل وما حمل**».

٥ ـ «**الجمل ببارة غالي وبألف رخيص**»، وفي الجزائر «**يا بابا الجمل بدرهم قال له: غالي. يا بابا الجمل بمايه قال له: اشره يا وليدي**»، وفي سورية «**الجمل بفلس والفلس ما يلتقى**»، وفي فلسطين «**جمل بقطعة وقطعة ما فيه وجمل بألف وألف قيمة**»، وفي لبنان «**جمل بدرهم ودرهم ما فيه**»، وفي المغرب «**قالوا الجمل بمثقال قالوا: مثقال فأين هو؟..**»

٦ ـ «**الجمل لو يشوف حدبته جان انكسرت ركبته**» وفي مصر «**الجمل إن بص لصنمه كان قطعه**»، وهذا المثل ينتشر بصياغات مختلفة في السودان وسورية ولبنان والمغرب ونجد.

٧ ـ «**الجمل من جوفه يجتر**»، وفي فلسطين «**الجمل بيشتر من اللي في بطنه**».

٨ ـ «**الجمل ميصير قزاز**»، وفي سورية «**قالوا للجمل: شو صنعتك قال: كباب حرير، قالوا: مبين على أيديك هالطايعين**».

٩ ـ «**الجمل يعرج من برطمه**»، وفي سورية وفلسطين ولبنان ومصر «**عرج الجمل من شفته**»..

١٠ ـ «**راح الجمل يدور له قرون قصوا آذانه**»، وفي فلسطين «**راح الحمار تايجيب قرنين رجع مقطوش الذينين**».

١١ ـ «**فوك الجمل وعضه الجلب**»، وفي الجزائر «**الكلوفي من فوق الجمل كلاه الكلب**» وفي سورية «**المتعوس إذا ركب على جمل يعضه الكلب**»، فلسطين «**التعيس إذا ركب على ظهر جمل بيعضه الكلب**»، لبنان «**الفقير لو ركب ع الجمل بيعضه كلبة السودا**» وفي المغرب بأشكال أخرى «**اللي يركب فوق الجمل ما يخاف من الكلاب يعضوه**».

١٢ ـ «**كل الجمال تعارج إلا جملنا بارج**»، وفي سورية وفلسطين ولبنان ومصر «**كل الجمال بتعارك إلا جملنا بارك**».

إن أول ما يمكن ملاحظته من هذا العرض هو أن هناك وحدة فكرية لهذا الحيوان تشمل المشرق العربي ومغربه بصرف النظر عن التأثيرات المحلية التي يمكن أن تظهر هنا أو هناك، وأن هذه الوحدة لا تقتصر على الجانب الفكري، ولكن تظهر أيضاً في الصياغة، وهذه ربما كانت إحدى تأثيرات الهجرة والارتحال بين أنحاء الوطن العربي، فالمثل الذي يقول: «**اللي تجمعه النملة في سنة يشيله البعير في خفه**»، وجدناه في الجزائر وفي سورية وفي مصر وفي فلسطين بمعنى أن أهالي المشرق والمغرب ربطوا بين الجمل والنملة في فترة زمنية معينة وهي «عام»..

ومن ناحية أخرى فإنه يمكن ملاحظة أن الجمل قد أصبح مادة للسخرية أو للتسلية وهذه الصورة ليست قاصرة على قطر معين، ولكنها موجودة في المشرق العربي وفي المغرب وهذه السخرية تظهر في صور مختلفة فتارة تكون هذه السخرية من الجبن والخوف «قالوا للجمل: أي قدر تحمل على هينتك»؟.. المثل. وتارة تكون

هذه السخرية من التكوين الجسماني حيث إن شكل الجمل وخاصة أجزاء معينة ينظر إليها الناس بسخرية ممزوجة بالفكاهة ربما لغرابة هذا الشكل في البيئة الريفية فيقول المثل: «**الجمل عرج من شفته**» فالمعروف أن شفة الجمل بتكوينها غير مألوفة في الحيوانات الريفية التي اعتاد الناس على رؤيتها ومن ثم كانت محل تندر..

لقد خلق الله شفة الجمل على هذا الشكل لكي تتكيف مع ظروف النباتات الصحراوية وهي غالباً نباتات شوكية، ولذلك فإن شفة الجمل تساعده على التهام هذه النباتات المنتشرة في الصحراء دون إيذاء، ولكن هذا الشق كان محل تندر الناس في الريف وتعليقاتهم الساخرة فوجدنا المثل «**قالوا للجمل زمر قال: لا شفايف ملمومة ولا صوابع مفسرة**». وهذا المثل رغم أنه كان منتشراً في القرن التاسع الهجري عند الأبشيهي إلا أنه كان محل استهواء بين الناس لا على مستوى قطر معين ولكن على مستوى الأقطار العربية..

أما حدبة الجمل والتي يطلق عليها «صنم» أو «سنام» في العربية فيقول عنها المثل: «**الجمل لو يشوف حدبته جان انكسرت ركبته**» (ركبته = رقبته)...

وبخصوص كف الجمل أو ما يسمى «خف» فلا هو مكتمل الاستدارة أي بدون أصابع ولا هو مكتمل الأصابع كالبشر ولكن بين هذا وذاك فله أصبعان مكتنزان ينتهي كل منهما بظفر مقوس، وهذا الخف كان أيضاً محل سخرية بين الناس فالمثل يقول: «**قالوا للجمل زمر قال لا شفايف ملمومة ولا أيادي مفرودة**»..

أما رقبة الجمل فهي أيضاً محل سخرية فيقول المثل: «**الجمل طلع مد راسه من الطاقة وقالوا له: لا تقع فقال التقيل لي وراء**»،

وعن شفة الجمل يقول المثل: «**الجمل عرج من شفته**».

والجمل ليس له قرون مثل باقي الحيوانات وأراد أن تكون له قرون مثل البقرة أو الجاموسة فيقول المثل: «**راح الجمل يدور له كرون كصوا آذانه**».

وهكذا تحول شكل الجمل بكل أعضاء جسمه إلى شكل هزلي قدم مادة مناسبة للسخرية ذلك أن التركيب الجسماني للجمل يحمل قدراً من الغرابة في الحياة الزراعية، حيث إن الجمل هو حيوان صحراوي أصلاً وعندما أدخله الناس للخدمة في الحياة الزراعية كان محل تندر، ولا يقتصر التندر على الشكل بل نرى الناس ينسبون له الكذب والادعاء فيقول المثل: «**قالوا للجمل: شو صنعتك؟ قال: كباب حرير قالوا: مبين على إيديك هالطيعين**» وفي مثل آخر: «**قالوا للجمل: ايش صنعتك قال: ادق بالنبق فقالوا له: مبين على أصابيعك هذه الصغار**» والكذب يمكن أن يكون صورة من صور السخرية، بل إن أمثال السخرية تعتمد إلى حد كبير على الصياغة الحوارية..

وفضلاً عن ذلك فهناك بعض الظواهر الريفية التي لم تكن موجودة في الأمثال القديمة مثل تلك الإشارة إلى نوعية الأحمال فيقول المثل: «**ياما الجمل كسر بطيخ وياما البطيخ كسر جمال**» أو ذلك المثل الذي يشير إلى بيت الجمل، فنحن نعرف أن مبيت الجمل الصحراوي في العراء. أما في الريف فإن الوضع يختلف حيث يبيت الجمل في مكان معين بعيد عن حظيرة الحيوانات الريفية ويقول المثل: «**من عود الجمّال على باب داره فليوسع الباب حتى يدخل الجمّال والجمل**»..

أما الظاهرة التي تنفرد بها منطقة الهلال الخصيب فهي ظاهرة

المشاركة في ملكية الجمل الواحد بين الأفراد. وهذه الصورة تكاد تكون فريدة حيث إنها غير موجودة في باقي الأمثال في أنحاء الوطن العربي فيقول المثل: «**اللي إله بالجمل ودنه بيبركه للأرض**»، وفي فلسطين «**اللي إله ذان في الجمل بيبرخه**»، وفي لبنان «**اللي إله بالجمل دينه بنخه للأرض**».. ولا شك أن هذه الإشارات تعني أن الجمل ربما كان في هذه المناطق ملكية مشتركة وهو ما يشير إلى ارتفاع أسعاره أو زيادة أهميته في هذه المناطق، ويشير أيضاً إلى أن الجمل كان يمثل رأسمال ولكن ـ كما تردد حديثاً ـ أن يفتح بيت أو مصدر للرزق بعيداً عن الدور المساعد في الحياة الريفية ولا شك أن الدور الأول للجمل في الحياة الصحراوية أو الريفية، هو حمل الأثقال مسافات بعيدة، ومن ثم أصبح يمثل رأسمال منفرداً وهو ما يفسر تلك الأمثال الشائعة في العراق وبلاد الشام..

أمثال الجمل في الدول العربية

لو نظرنا إلى تفاصيل الأمثال الحديثة على مستوى كل دولة من الدول العربية فإننا سوف نجد بعض الظواهر المحلية التي لا توجد في بيئات محلية مختلفة بمعنى أن أمثال البيئة الصحراوية سوف تختلف ـ بلا شك ـ عن أمثال البيئة الريفية ذلك أن ارتفاع الحياة ومفردات التعامل اليومي تختلف هنا عن هناك.

أمثال المشرق

وفي هذا المجال فإذا نظرنا إلى أمثال الجزيرة العربية فإنها تعد امتداداً طبيعياً للأمثال القديمة كما أن كل أمثالها تدور حول أوجه النشاط الذي يظهر في البيئة الصحراوية، ففي كتاب «**الأمثال النجدية**» نجد تلك الأمثال التي تعظم من شأن الإبل «**الجمل عطايا الله**»[1] وهي وسيلة هامة للمواصلات في المناطق الصحراوية فيقول المثل: «**الجمل موديات الغريب لبلاده**»[2] وقد كانت تؤدي هذا الدور حتى سنوات قريبة وخاصة في مواسم الحج. ويرصد المثل.. النجدي أمومة الناقة فيقول: «**الحوار ما يضره وطء أمه**» بمعنى أن الناقة عندما تبرك على وليدها فإنها بأمومتها الزائدة لا يمكن أن تؤذيه. والمعروف أن الناقة لا تعيش في الريف أو الحضر ولكنها تعيش وتلد في مجالها الطبيعي وهو الصحراء حيث إن الظروف تساعد على التوالد، كما أن الجمل في الريف ليس له دور إلا من حيث إنه يقوم بنقل الأحمال الزراعية من مكان إلى آخر، ومن ثم فلا وجود إلا لذكر الجمل في الريف، ولذلك فلا تجد في الريف

(١) (٢) الأمثال العامية في نجد، محمد العبودي، طبعة الحلبي بمصر ١٩٥٩.

تلك الأمثال التي تتحدث عن الناقة لأنها غير موجودة أصلاً في الريف. .

ويقول مثل آخر: «**العنز ما تقرن بالجمل**» بمعنى أن العنز لا تقوى على أن تسير مع الجمل في قرن[١] وهو مثل صحراوي حيث تعيش قطعان المعز مع قطعان الجمال ولا شك أن هذا النص لا وجود له أيضاً في الحياة الريفية. وفي هذا الاتجاه نجد غالبية أمثال الجزيرة العربية، إذ يقول المثل «**الجمل ما يجيبها إلا الأحمرين: الدم والذهب**»[٢] وهو مثل مرتبط بالحياة القبلية[٣] في قلب الجزيرة العربية وفي هذا الاتجاه يقول المثل: «**ما ضرط عند عقالها**» بمعنى أنه لم يضرط عند عقال الناقة أي أنه يكاد يفقد السيطرة على نفسه عند سرقة الناقة من شدة الخوف[٤]. .

وفي هذا المجال فإنه يمكن ملاحظة المصطلحات الآتية:

البل: وهو مصطلح صحراوي، الجمل: وهو أكثر المصطلحات دوراناً في الأمثال، الناقة: وهو مصطلح صحراوي، وكذلك مصطلح البعير والحوار. ومصطلحا البل والجمل هما أكثر المصطلحات دوراناً حسب ما هو ميسر لنا ومن خلال كتاب الأمثال العامية في نجد[٥]. .

وبخصوص الأمثال الكويتية فقد اهتمت بالجمل كوسيلة لنقل

---

(١) القرن: الحبل الذي يجمع بين البعيرين، المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

(٤) للاستزادة انظر الملاحق.

(٥) البل: ٤ مرات، الجمل: عشر مرات، الناقة: ٢، الحوار: ١، البعير: ٢.

الحجيج، ففي كتاب «من الأمثال العامية»[1] نجد المثل الذي يقول: «**الجمل جمل اكروي.. والمشعاب من شجرة**» بمعنى أن الجمل كراء والعصا في يد الجمال تلك العصا ذات الرأس الغليظ. ونجد المثل: «**ما يشد حج وفي البل جمل**» بمعنى أنه لا يقوم بأمر الحج إلا الجمل أو أنه ليس بين الحيوانات ما يصلح لحمل الحجاج لأداء شعائر الحج إلا الجمل، ونجد المثل: «**جازى ناقة الحج ابذبحها**» بمعنى أن جزاء هذه الناقة التي نقلت الحاج إلى أداء الشعائر المقدسة هو الذبح، أو يقال المثل على سبيل الأسف من ذلك الإنسان الذي يسيء إلى من أحسن إليه، ويرتبط أيضاً بقوافل الحجيج ذلك المثل الذي يقول: «**الحزين من البل يظهر**» بمعنى أن البعير الضعيف يسقط في رحلة الحج الطويلة.

ويلاحظ أن هذه الأمثال قد استخدمت مصطلح «الجمل» و«البل» بصورة متوازنة وهو ما يعكس التأثيرات الصحراوية، ووجدنا أيضاً المصطلحات: ناقة، البعير، الخريش...

أما الأمثال العراقية فقد توفرت لدينا مجموعة كبيرة نسبياً وتبلغ اثنتين وثمانين مثلاً استخلصناها من مجموعات ثلاث هي: «الأمثال البغدادية»، «المردد من الأمثال الموصلية»، «الأمثال البغدادية المقارنة»..

بداية نقول إن الأمثال العراقية لا تستخدم إلا مصطلحين أحدهما «الجمل» وقد جاء في مجموعة الأمثال ٥٩ مرة، أما المصطلح الثاني وهو البعير فقد تردد في الأمثال ٢١ مرة. وجاء في الأمثال مصطلح «ناقة» مرتين إحداهما آية قرآنية «ناقة الله وسقياها»

(١) من الأمثال العامية، اختارها وشرحها، خالد سعود الزيد، طبعة الكويت ١٩٦١ وانظر الصفحات ٧٤، ٨٩، ٢١٨.

والآخر من الأمثال الشائعة في العالم العربي وهو «**لا ناقتي ولا جملي**» ويقول صاحب كتاب «الأمثال البغدادية المقارنة» إن هذا المثل له أصول قديمة[1]، أما مصطلح البل فقد ورد في مثل واحد هو «**غصباً على البل تعبر جاريات السفن**». ويقول صاحب كتاب «الأمثال البغدادية المقارنة»[2] إن هذا المثل من أمثال البادية وإن البل محرف الإبل بلهجة أهل البادية وقد وجدنا هذا المثل أيضاً في الكويت مما يدل ويؤكد التأثيرات الصحراوية أو الهجرة..

وكلمتا «ناقة»، «بل» من الطبيعي أن تتسربا إما من التاريخ أو من البادية المتاخمة للحياة الريفية في العراق، ومن هذه الأمثال التي تسربت من التاريخ وما زالت تؤدي دوراً في الحياة اليومية ذلك المثل الذي يقول: «**مثل بول البعير كل ما جاله ليوره**»[3]، وفي الميداني: «**أخلف من بول الجمل**»...

ولا شك أن هذه الحقائق الإحصائية تعكس طبيعة الحياة العراقية التي تعتمد على العمل الزراعي، ولا تستخدم الجمل المذكر إلا كوسيلة لحمل الأثقال فحسب، وبناء على ذلك فيمكن القول إن الجمل في عالم الريف ـ كالريف المصري والريف العراقي ـ حيوان مستورد، وليس من منتجات عالم الريف كالبقر والجاموس والأغنام والحمار والحصان وغيرها...

(١) مجمع الأمثال للميداني وتدور حوله قصة تحبذ الابتعاد عن التورط فيما لا شأن له به..

(٢) عبد الرحمن التكريتي، جـ٣/٢٠٩.

(٣) كلمة بعير تطلق على الذكر والأنثى دون تفرقة ومع ذلك فهي لا تنهض دليلاً على وجود الناقة في الحياة الريفية العراقية بدليل أن كافة الأمثال التي وردت بها هذه الكلمة لا تشير من قريب أو من بعيد إلى الناقة، ولكنها أمثال مرتبطة بطباع الجمل بشكل عام وليس فيها مثل واحد صريح يشير إلى الناقة، بل العكس هو الصحيح.

ويلاحظ أن الأمثال العراقية في مجموعها قد تدل على ظواهر متعلقة بالشكل العام للجمل. فالجمل حيوان ضخم إذا قورن بالحيوانات الريفية الأخرى يمشي على سيقان طويلة تنتهي بأخفاف مفرطحة تساعده على اجتياز المسافات الطويلة والسير بسهولة ويسر على الرمال في الصحارى دون مشقة، كما أنه في مشيته يختلف عن حركة الحيوانات الأخرى التي تتشابه في مشيتها وهي حركة تتسم بالبطء الذي يساعد الجمل على تحمل المسافات الطويلة، ويتمتع الجمل برقبة مقوسة تنتهي برأس مرفوع وله سنام، ولا شك أن هذه العناصر التي يتكون منها شكل الجمل قد أثرت على رؤية الناس لهذا الحيوان فولدت أمثالاً مناسبة ومن ذلك المثل الذي يقول: «**اللي تجمعه النملة بسنة يشيله البعير بخفه**»، والمثل: «**يعمل من البرغوث جمل**»[1].

كما سجل الناس أيضاً ظواهر مرتبطة بطباع الجمل، وهذه الطباع منها ما دفع الناس إلى القسوة مع هذا الحيوان لا لشيء إلا لأن الجمل سلس الانقياد حتى أن فأرة يمكن أن تسحب قافلة من الجمال، وهو ما أطمع الناس في القسوة عليه والمبالغة في إيذائه، فيقول المثل: «**مذبوح من مكانين مثل الجمل**»، ويقول المثل: «**لو صاح الجمل ثقل حمله**»[2]، ويقول المثل: «**الجمل شايل ذهب وياكل عاكول**» (العاكول = شوك)، ويقول المثل: «**شايل الماي وهو عطشان**»، (الماي = الماء)، ويقول المثل: «**الجمل جِمْلُو يقتلو**»..

---

(١) انظر: الأمثال البغدادية، جلال الحنفي، المردد من الأمثال العامية الموصلية، محمد رؤوف الفلامي، الأمثال البغدادية المقارنة، عبد الرحمن التكريتي كلمة جبير محرّف كبير.

(٢) بمعنى أنهم يزيدون من أحماله لإذلاله. وهذا المثل له أصل في القديم، ففي المستقصى من الأمثال العربية للزمخشري يقول المثل: «إن ضج البعير فزده وقراً».

وفي جانب آخر سجل الناس أمثالاً عن الجمل تعطي إحساساً بالفخامة والعظمة فيقول المثل: «**من ها المال حمل أحمال**» ويقول المثل: «**ما عنده جبير إلا البعير**» والمثل: «**اليعبر بكه يعبر جمل**»، ويقول المثل: «**اليعبّغ كلمى ايْعبّغ جمل**»[1]..

وبجانب هذه الرؤية نجد أن الجمل كان محل تندر وسخرية فيقول المثل: «**جا الجمل يسوي له كرون كصوا آذانه**» عن الذي يتطاول على شيء فيحرم ما دونه. ويقول مثل آخر: «**مثل البعير ميذكر الله إلا بالزلك**» (الزلق). ويقول مثل آخر: «**البعير يضلع من أذنه**» أي يعرج حيث يلجأ إلى المعاذير الملفقة[2]. وفي أحيان أخرى يعبر الناس عن ضيقهم فيقولون في الأمثال: «**أربعة شالوا البعير والبعير ما شالهم**»، ويقولون: «**البعير يشيل كل شيء وعالمنخل يبرك**»[3].

وخلاصة هذه الصور التي سجلتها الأمثال العراقية تقول إن هذه الأمثال هي في الحقيقة أمثال منتزعة من البيئة الزراعية التي اقتحمها الجمل وإن دخلتها ترسيبات ضعيفة من البادية أو تأثيرات متناثرة من التراث الشعبي القديم، كما أن هذا الحيوان قد حرك أفكار المجتمع العراقي بتلك الإشارات السلبية والإيجابية في آن واحد وهو انعكاس للرؤية الريفية، وهذه الأفكار ارتبطت أيضاً بانحسار دور الجمل في العمل الزراعي مقارنة بالدور الصحراوي الذي ساعد البشر ـ كما يقول العلماء ـ على سكنى الصحراء والتنقل في دروبها واحتمال قسوتها..

لقد حاولنا في السطور السابقة عرض رؤية أهل المشرق إلى

---

(١) جبير = كبير، بكه = بعوضة، اليعبغ = يتساهل، كلمى = كلمة.

(٢) الأمثال البغدادية، جلال الحنفي، ط بغداد ١٩٦٢.

(٣) المصدر السابق.

هذا الحيوان كما سجلته الأمثال، وأرجأنا الحديث عن الأمثال المصرية إلى صفحات أخرى فماذا عن أمثال أهل المغرب العربي؟

* * *

أمثال المغرب:

منطقة المغرب العربي زاخرة بنصوص الجمل الصحراوية ذلك أنها تمثل أكبر منطقة صحراوية على مستوى العالم، وهي تمتد من الصحراء الغربية في مصر حتى المغرب وموريتانيا، ولذلك فإن أول ما يمكن أن نلاحظه بخصوص أمثال الجمال هو نظام القوافل.. **فإذا نظرنا إلى الأمثال الليبية،** ومن خلال ما هو متاح بين أيدينا فإننا نلاحظ تكرار كلمة «قافلة» في الأمثال، فيقول المثل: «**زكار محادي قافلة**»[1]، ويقول مثل آخر: «**العريان في القافلة مطمان**»، ويقول المثل: «**القافلة رفعت**»، ويقول مثل آخر: «**القافلة مشيت والكلب ينبح**»، ويقول مثل: «**قافلة وأربع حمير**»، والمثل الأخير يشير إلى أن القافلة عادة ما تصاحبها حيوانات أخرى كالحمير.. أو تصاحبها مهن ثانوية مثل الزكار في المثل الأول. ورغم قلة ما هو متوفر لدينا من الأمثال الليبية إلا أن نسبة منها غير شائعة في المشرق العربي، فالمثل الذي يقول: «نوض بعيرك ولا تنوض صغيرك» لا وجود له في أمثال المشرق، وكذلك الحال في المثل الأول والمثل الخامس من الأمثال السابقة..

أما الأمثال الجزائرية فإنها ـ فيما أعتقد ـ أكثر دلالة على

(١) المجتمع الليبي من خلال الأمثال الشعبية، علي مصطفى المصراتي، طبعة ١٩٧٢ ليبيا والزكار ضارب الزكرة وهي القربة ينفخ فيها الموسيقيون الشعبيون.

منطقة المغرب العربي بكاملها ذلك أن الجزائر تتوسط هذه المنطقة، كما أنها أكبر دول المغرب العربي مساحة، وأكثرها من حيث عدد السكان، وهي بهذا الموقع النموذجي في هذه المنطقة، وبعدد سكانها الذي قد يزيد على ثلث سكان هذه المنطقة يمكن أن تعطي دلالة صادقة على رؤية أهل هذه المنطقة من خلال نصوص الأمثال[١]. وقبل أن نستعرض نصوص الأمثال نضيف أن ٩٠٪ من سكان الجزائر يتركزون في الشمال في المنطقة الواقعة بين البحر الأبيض المتوسط وسلسلة جبال أطلس، الممتدة من المغرب حتى الحدود التونسية وهي منطقة بعمق - في أكثر الأحوال - لا يزيد على ستين كيلو متراً إلى الداخل، وهو ما يعني أن حوالي ٩٥٪ من الجزائر أرض صحراوية تمتد في عمق القارة الإفريقية حتى حوالي ٢٣٠٠ كم، وهذه الخلفية يمكن أن تساعد على توضيح الرؤية عند تناول نصوص الأمثال، وأضيف إلى ذلك ما لاحظه كاتب هذه السطور على طبيعة المجتمع الجزائري بشكل عام، إذ تغلب عليه الطبيعة البدوية التي تتميز بالصراحة المطلقة. فالجزائري لا يعرف أنصاف الحلول، ولذلك فمساحة الألوان ضعيفة، والجزائري يتحرك طبقاً لما يؤمن به، فعندما يقتنع بقضية فهو على استعداد لمواجهة الموت دون خوف أو تردد، وهذه النصوص التي بين أيدينا يمكن أن تؤكد ذلك، حيث إن أغلبها أمثال مما يدور عند البدو في صحراء الجزائر..

---

(١) عاش كاتب هذه السطور في الجزائر أحد عشر عاماً متواصلة أستاذاً بجامعة الجزائر العاصمة وجامعة قسنطينة في الشرق وقد طوّف الجزائر من الشرق عند الحدود الجزائرية التونسية «منطقة سوق اهراس» وهي منطقة الحدود بين المغرب والجزائر عند «الناضور»، ووجدة، وذهب إلى أعماق الصحراء حتى منطقة «غردايه» وهي تبعد عن ساحل البحر الأبيض بحوالي ١٣٠ كم وتبلغ مساحة الجزائر ٢,٣ كم، وهي تستوعب أكبر مساحة في الصحراء الكبرى.

إن أول ما يمكن ملاحظته على هذه الأمثال هو أنه يتردد فيها الناقة والإبل والبعير والجمل وهذه المسميات باستثناء الجمل هي مسميات تشيع في البادية. فالناقة ترتبط بالتوالد وهي ظاهرة صحراوية، والإبل والبعير يرتبطان بالقوافل وهي ظواهر صحراوية بالدرجة الأولى، فالمثل يقول: «أهلبها وما تعرف من يحلبها» بمعنى جز الناقة ولا تعرف من الذي يستفيد من حليبها..

ومن ناحية أخرى فإن الأمثال تتحدث عن القوافل وهي ظاهرة صحراوية فيقول المثل: «الضعيف في القافلة معه ربي»[1] ويقول مثل آخر: «اشحط واقف الإبل مرت» بمعنى اجلدني واقفاً فقد مرت القافلة وحول هذا المثل قصة نوجزها فيما يلي:

قافلة من الإبل مرت بواحة فتسببت في بعض الأضرار في جنّاتها فاشتكى صاحب البساتين إلى ذوي السلطة وحكم على صاحب الإبل بالجلد، فلما أمره أن يستلقي على الأرض لكي يجلد أجاب بهذا القول، لأنه كان يتعجل الالتحاق بقافلته...

ويقول مثل آخر: «لا تأمن العرب الرحالة لو كان إنك سارح جمالهم».. وتعلق مؤلفة الكتاب على المثل فتقول: «الأعراب معروفون بمفاجآتهم لغيرهم وغاراتهم المباغتة، وكانوا لذلك لا يؤمنون، فيعيش معهم الإنسان في حالة استنفار دائمة»[2].

---

(١) هذه الأمثال منقولة من كتاب «الأمثال الشعبية الجزائرية» وهو منشور باللغة الفرنسية تأليف قادة بوتارن ـ جزائرية ـ وترجمه إلى العربية، د. عبد الرحمن الحاج صالح وهو جزائري أيضاً ـ طبعة دار الحضارة ١٩٨٦ وتمت ترجمته ١٩٩١ تقريباً كما حدثني المترجم شخصياً. وهذا الكتاب هو الذي زودنا بكل الأمثال باستثناء أربعة أمثال من كتاب «وحدات الأمثال في البلاد العربية»، محمد قنديل البقلي وقد نقلها ـ كما يقول ـ عن كتاب «أمثال الجزائر والمغرب»، محمد بن شنب طبعة ١٩٠٧م.

(٢) المصدر السابق المثل رقم ٣٠٦.

وهي تقصد بذلك ساكني البادية باعتبار أن هذا الأسلوب هو جزء من سلوكهم الطبيعي، ويقول المثل: «فلان كمحفن الحلفاء يشد الشعرة ويطلق البعرة» بمعنى أن هذا الشخص يهتم بالصغائر وتفوته الأخطاء الكبيرة. ويقول المثل: «**لا خيرة لا في البعير ولا في سواقه**» عند ذم الجمل وسائقه، ويقول المثل: «**الإبل تبرك على كبارها**» بمعنى أن الإبل تتجمع حول المسنة منها، وهو ما يشير إلى مجموعة من الجمال، وهذه لا تتواجد مع بعضها في مكان واحد خارج الصحراء، ويقول المثل: «سبحان الله البعرة تجوس على أختها» بمعنى أن الناقة تسعى للائتلاف مع أختها، ويقول المثل: «العريان في القافلة مضمان» أي لا يخشى الاعتداء عليه من قطاع الطرق..

والواضح أن هذه الأمثال ـ وهي نسبة كبيرة مما توفر لدينا ـ تحمل إشارات بدوية واضحة، بل هي أكثر وضوحاً مما نلاحظه لدى أمثال المشرق، ولا غرابة في ذلك حيث إن صحراء الجزائر تمثل الجزء الأكبر من الصحراء في إفريقيا، وهي المناخ الطبيعي لتوليد هذه الأمثال التي تعكس ظروف الحياة في الصحراء...

وبالرغم من وجود هذه الإشارات الواضحة إلا أن الصورة في المدن تختلف تماماً، فقد عاش كاتب هذه السطور في الجزائر أحد عشر عاماً متواصلة لم يشاهد جملاً واحداً يسير في شوارع المدن أو في الريف على الساحل كما كان موجوداً بوضوح في الريف المصري منذ عدة سنوات، أو كما هو موجود ويمكن ملاحظته من قوافل الجمال وهي تسير إلى كوبري الجامعة في طريقها إلى المجزر، وعلى هذا الأساس يمكن أن نستنتج لماذا لا نجد أمثالاً جزائرية لها علاقة بالإنتاج الزراعي كما هو موجود في الأمثال العراقية والأمثال المصرية..

وفي هذا المجال أيضاً نجد أمثالاً تعلي من شأن الجمل فيقول المثل: «**ولات النملة تتجاسر على الجمل**»[1] بمعنى أن مما يبعث على الدهشة أن يتجاسر الذميم الخسيس على البطل. وعند محمد بن شنب يقول المثل في صياغة أخرى: «**ولات النملة تقود البعير**»[2] وفي نفس هذا الاتجاه يقول المثل: «**الهدية دجاجة ومقابلها بعير**» أو «جمل» ويقول مثل آخر: «**الجمل ما يطابس على نبقه**».. بمعنى أن الجمل لا يتزاحم على الأشياء التافهة. ويقول مثل آخر: «**يْتَنّوا في شارب الجمل يتدلى ما يتدلى**» بمعنى أننا كنا نتوقع أن تتدلى شفة الجمل من الضعف والانكسار فلم يحدث ذلك وظل صامداً يقاوم..

إن هذه الملاحظة تذكرنا بما سبق أن أشرنا إليه عند الحديث عن الأمثال النجدية، وهو تمجيد هذا الحيوان، أو أنه يمثل الاستعلاء والكبرياء من منطلق أن هذا الحيوان يمثل عنصراً أساسياً في الحياة البدوية..

وبالنسبة لشكل الجمل وضخامة جسمه، فإن الأمثال الجزائرية تشترك مع غيرها في البلاد العربية، بل نجد في بعض الأحيان المثل الشائع بين المشرق والمغرب، فيقول المثل الجزائري: «**اللي تلمه النملة في عام ياكله الجمل في لقمة**» والمثل المصري: «**اللي تجمعه النملة في سنة ياخده الجمل في خفه**» والمثل في نجد يقول: «**تجمع النملة وياكل الجمل**» والمثل الكويتي يقول: «**ما يضر الجمل عض النمل**»[3] والمثل العراقي:

(١) الأمثال الشعبية الجزائرية، قادة بوتارن المثل رقم ٥٨.

(٢) أمثال الجزائر والمغرب، محمد بن شنب.

(٣) من الأمثال العامية، خالد سعود الزيد ص ٢١٨.

«**اللي تجمعه النملة بسنة يشيله البعير بخفه**»[1].

ومن الظواهر الواضحة في الأمثال الجزائرية تلك الأمثال التي تعبر عن السخرية الممزوجة بالضيق فيقول المثل: «**الجمل ما يشوفش حدبته يشوف حدبة غيره**»[2]، ويقول المثل في صياغة أخرى: «**الجمل ما يشوفش لعرورتو ايشوف لعرورة صاحبه**»[3] وهو موجود في مصر بلفظ: «**لو بص الجمل لصنمه لقطمه**».

ومن ناحية أخرى فقد رصدت الأمثال بعض تفاصيل حياة الجمل، ويفرق الجزائريون بين الجمل المسن أو العادي والجمل الصغير وهو ما يسمونه المهري فيقول المثل: «**البعير ما ينمهر**» بمعنى أن الجمل العادي لا يصبح مهرياً ـ وهو الأصيل من خيار الإبل ولا يكلّ عند الإجهاد. وتقول المؤلفة تعليقاً على هذا المثل: «إن العرب كانوا يروضون الحوار العادي ويستفرغون لذلك كل ما عندهم من الجهد والبراعة حتى يجعلوا منه مهرياً ويتعذر هذا بالنسبة للجمل المسن»[4].

وفي هذا الاتجاه فقد دخل المثل ضمن التعامل اليومي بين الناس، وهو موجود على كل المستويات في القديم والحديث، فيقول المثل الجزائري «شدوا شعيركم وانشدوا بعيرنا»[5] بمعنى أمسكوا عنا شعيركم نمسك بعيرنا ولسنا بحاجة إلى مساعدتكم..

وأخيراً قد لاحظنا مثلاً تكاد تنفرد به الأمثال الجزائرية ولا

(١) الأمثال البغدادية المقارنة، عبد الرحمن التكريتي ج١/ ٢٢٣ طبعة بغداد ١٩٦٦.
(٢) أمثال الجزائر والمغرب، محمد بن شنب ج١/ ١٧٩.
(٣) جمع ميداني من منطقة البويرة.
(٤) الأمثال الشعبية الجزائرية، قادة بوتارن، المثل رقم ٦٣٥٨.
(٥) المصدر السابق المثل رقم ٢١٥.

يوجد له نظير في سائر الأقطار العربية، وهذا المثل يشير إلى أن الجزائريين لا يستطيبون لحم الجمل فيقول المثل: «**كلحم البعير: الكثرة والرباء**»[1] بمعنى أن لحم الجمل، رغم كثرته من ناحية الكم إلا أنه قليل التغذية، بينما وجد كاتب هذه السطور الجزائريين يذبحون الحصان ويستطيبون لحمه ويعرضونه في المحلات وفي الأسواق..

* * *

مما لا شك فيه أن هذا العرض يكشف انطباعات المحدثين أي أبناء العالم العربي في العصر الحديث، وقد أرجأنا الحديث عن الأمثال المصرية لأننا رأينا أن نفرد لها فصلاً خاصاً لكثرتها وتنوعها..

---

(١) الأمثال الشعبية الجزائرية، قادة بوتارن، المثل رقم ٩٥٦.

الفصل الثالث

- الأمثال في رحلة الحج
- رحلة الحج في العالم العربي
- طريقة السفر
- تبعات السفر
- الجمل
- الحجّاج
- الرحلة الحجازية في مصر

الأمثال في رحلة الحج في العالم العربي

في الصفحات السابقة سرنا على منهج بسيط يتمثل في متابعة الأمثال رأسيّاً ـ بمعنى تاريخيّاً، وأفقيّاً ـ بمعنى ميدانياً في أنحاء العالم العربي حديثاً، ثم انتهينا إلى الرؤية المثلية في مصر وقد حاولنا في هذا المنهج أن نقرأ الأمثال على ضوء رؤية القدامى من ناحية، والمحدثين من ناحية أخرى.

وفي هذا المجال فإنه يمكن القول: إن رؤية الجمل لدى القدماء والمحدثين لم تتغير بصرف النظر عما يمكن أن نلاحظه من تفاصيل هنا أو هناك، وهي تفاصيل تعكس ـ بشكل عام ـ البيئة المحلية التي قد تختلف من مكان إلى آخر بل وفي داخل البلد الواحد. فالرؤية الصحراوية تختلف عن تلك الرؤية الريفية...

وكنا نود الاستمرار في هذا النهج ونحن نتابع أمثال رحلة الحج أو الرحلة الحجازية ـ كما كانت تسمى في الماضي ـ وبعد فحص ما تحت أيدينا من مجموعات الأمثال تبين أن أمثال الحج تكاد تختفي..

ففي الميداني الذي جمع أمثال الجاهلية والإسلام وطالع أكثر من خمسين كتاباً مما ألفه الأصمعي وأبو عبيدة وأبو عبيد وأبو زيد وأبو فيد والمفضل بن محمد والمفضل بن سلمة وعطاء بن مصعب وسماه «مجمع الأمثال» لاحتوائه على جميع ما ورد منها وبه نيف وستة آلاف مثل، وتوفي سنة ٥١٨هـ.. هذا الكتاب لم يرصد إلا مثلين منسوبين للمولدين يقول الأول: **«من تلذذ الحج ضرب الجمال»**: قاله الأعمش. والثاني: **«أنفقت مالي وحج الجمل»**، وفي كتاب «العقد الفريد». أما في كتاب الدرة الفاخرة في الأمثال السائرة، وأمثال العرب للمفضل الضبي فلا وجود لأمثال الجمل فيها..

أما كتاب الكشكول للعاملي ٩٥٣/١٠٠٣ فقد أورد مثلاً واحداً عن الجمل بشكل منفرد عن مجموعة من أمثال أوردها وعددها ٥ أمثال تحت عنوان أمثال العرب ـ أمثال العامة والمولدين ـ وبينما ذكر العاملي هذه الأمثال ص ١٢٩، نجد أنه في ص ٢٢٤ أورد مثلاً واحداً يقول «مثل» ويعلق عليه بقصة فيقول:

*** جاؤوا على بكرة أبيهم**

هذا المثل يضرب للجماعة إذا جاؤوا كلهم ولم يتخلف منهم أحد.

فلماذا لم نجد هذا اللون من الأمثال عند القدماء؟ فهل موسمية هذه الرحلة رغم أنها جزء من تاريخ الإسلام حتى اليوم وإلى أن تقوم الساعة وجزء من الفرائض الأساسية التي بني عليها الإسلام، نقول هل هذه الموسمية لها دور في هذا؟ وهل هذه أمثال لم تشد انتباه العلماء، علماً بأن الجمل كان هو الوسيلة الوحيدة في الانتقال إلى الأراضي المقدسة من الخارج أو في داخل الجزيرة العربية.

وربما لم يسجل القدماء ظاهرة الحج في أمثالهم لشدة ألفتها وكأنها من تحصيل الحاصل، وربما كانت هذه الأمثال شائعة وسجلت في أوراق منفردة ثم ضاعت أو حتى في كتب ولم تصل إلينا..

وفي منتصف الطريق إلى العصر الحديث نلمح إشارة سجلها الأبشيهي توضح الدور الوظيفي الذي كان يقوم به الجمل في رحلة الحج. فقد أورد المثل الذي يقول: «**الحج مربوط له جمال**»[1]

(١) المستطرف، ٣٤، ٣٥، ٣٦.

فهذا النص ما زال شائعاً بين المصريين حتى اليوم، كما أن هذا النص هو النص الوحيد المتوفر لدينا، ويشير صراحة إلى ارتباط الجمل بالحج منذ القرن التاسع الهجري، كما يؤكد أن علاقة الجمل برحلة الحج لم تكن بعيدة عن أمثال القدماء. .

ومما لا شك فيه أن الكثير من أمثال الجمل تحتوي إشارات وتلميحات أشبه ما تكون بالألغاز، وهو ما يلزم تقديم صورة لرحلة الحج في الماضي، فالمثل الذي يقول: «**جمل موضع جمل**» لا يمكن للقارىء أن يقف على مراميه وأبعاده دون معرفة أين يحدث هذا، وما هو الجمل المقصود بذلك التعبير؟

والمعروف أن قوافل الحج هذه تواصلت منذ بداية الإسلام حتى منتصف القرن العشرين حيث إن الوسيلة المثلى هي قوافل الجمال أو ما يسمى «المحمل» في مصر وقد ذكر بوركهارت[1] نتفاً عن هذه القوافل التي صاحب بعضها في بداية القرن التاسع عشر ـ عصر محمد علي ـ وأورد بعض المصطلحات التي تصاحبها، وهي مصطلحات أقرب ما تكون إلى تركيبة النصوص المثلية لأنها مرتبطة بهذه المناسبة، وهي مصطلحات يمكن أن نطلق عليها مصطلحات حرفية مما يساعد على إنجاز الأعمال، وهذه ليست قاصرة على مكان دون آخر ولكنها شائعة في أنحاء الوطن العربي والإسلامي وقد أعطى بوركهارت صورة لرحلة الحج التي صاحبها من سواكن في السودان فيقول: «العربي إذا روى لك مسيرة يومه قال: قمنا في الفجر وقبلنا على الماء وشدّينا والظل بطول الشخص وبعد النزول (الغروب) حطينا وبتنا في المطرح الفلاني. ومن عادة قوافل سواكن

---

(١) العادات والتقاليد المصرية جون لويس بوركهارت، ترجمة كاتب هذه السطور سلسلة الألف كتاب الثانية رقم ٧٣ ص ٣٤٠.

أن تسافر في رتل واحد طويل كما تفعل قوافل الحجاز. أما قوافل مصر ففي جبهة عريضة على أن الطريق الأولى أمثل. ذلك لأنه إذا اختل حمل جمل من جمالها أمكن تنحيته عن الصف وإصلاح الحمل قبل أن تلحق الإبل المتخلفة بالركب، أما في الطريقة الثانية فلا بد من وقوف القافلة كلها إذا وقع لجمل منها حادث. والقوافل السائرة من بغداد إلى حلب ودمشق ـ وقد تبلغ القافلة منها أحياناً ألفي جمل ـ تمشي والجمال سائرة جنباً إلى جنب على مساحة تزيد على الميل، وكان أصحابنا التجار السواكنة يأمرون عبيدهم بسوق الجمال من مقاودها فإذا زلَّ جمل أو تعثَّر أهووا بالسوط على قائده».

ومن تعبيراتهم في هذا أن العرب إذا حطوا ساعة الظهيرة سموا ذلك «القيالة» فيقولون نحن قيلنا في المطرح الفلاني، وإذا أمرهم رئيس القافلة بالوقوف صاح بهم: «قيلوا يا إخواننا» فإذا أرادهم أن يستأنفوا السير صاح فيهم: «الشديد الشديد» من سوق الجمال، والشدّ عليها، فإذا أرخى الليل سدوله هتف بهم «حطوا».

وفي هذا المجال صورة أخرى عن القوافل في القرن العشرين ومن المغرب العربي «فقد كان للقوافل أثر كبير في حياة المجتمع الليبي والقوافل لها نظام في السير، ومحطات للوقوف والإناخة، وخبراء يخبرون الطريق، وأدلاء وآداب متبعة ومرعية وأغانٍ، وللقافلة حراس بالبارود في المؤخرة وفي الجوانب، وقد تستغرق الرحلة أشهراً متواصلة حاملة البضائع، ولها أيضاً مهمة البريد وتوصيل الرسائل ونقل الأخبار. وأهم صفات رجال القافلة الشجاعة والصبر ومعرفة الطريق والأمانة والثقة والعفة والشهامة والمسارعة إلى نجدة المستغيث والكرم، وهي صفات تحتمها طبيعة السير في القافلة التي تحمل الثروات والكنوز وفيها نساء وأطفال..

وقد تكون قوافل للحج. ويتطلب سير القافلة حذراً ورقة وتآلفاً بين أفرادها، وقد تشمل القافلة عشرات الرجال»[1].. هذه الصورة يمكن أن تفسر أمثال الحج على مستوى العالم العربي وكذلك الإسلامي..

أمثال الحج في العالم العربي

ارتبط الحج في العالم العربي والإسلامي بالقافلة، وتعني أن مجتمعاً يتكون من مئات الأفراد يتحرك جماعياً لمسافة آلاف الكيلومترات، وطبيعي أن يحتاج هذا المجتمع إلى نظام وترتيب معين حتى تصل القافلة إلى هدفها الروحي، وتتم هذه الشعيرة على خير ما ينبغي، والمعروف أن الجمل جزء أساسي في القافلة، بل الوسيلة الوحيدة المناسبة للنقل عبر المسافات الطويلة في الصحراء.

وقد تركت لنا هذه الرحلة مجموعة من الأمثال التي رصدت ظروف هذه الرحلات وأسلوب تنفيذها، ومع أنها بقايا علاقات ماضية إلا أنها تلقي ضوءاً وتوضح الظروف التي كانت تتم الرحلة من خلالها. ومن خلال نصوص الأمثال التي توفرت لدينا يمكن أن نحدد عناصر الرحلة وظروفها في العناصر التالية:

* **أولاً ـ طريقة السفر**: يقول المثل: «**جمل موضع جمل يبرك**»[2].

وهو يشير إلى أن الرحلة الحجازية تقوم في قوافل متواصلة،

(١) المجتمع الليبي من خلال أمثاله الشعبية، علي مصطفى المصراتي، طبعة ١٩٧٢، ليبيا ص ٦٦.

(٢) الأمثال البغدادية المقارنة، عبد الرحمن التكريتي ج ٣/٢٦٣ والمثل بنصه في المستطرف جـ ١ ص ٣٤ نشر مكتبة الجمهورية.

وفي توقيتات معينة بحيث يتم الإحلال في سهولة ويسر، وفي أماكن مخصصة لهذا الغرض. ويلاحظ أن هذا المثل ينتشر في كافة البلاد العربية مشرقها ومغربها، وهو ما يؤكد أن الحج كان يتم في شكل مجموعات متتابعة، وفي رحلات جماعية، يستثنى من ذلك الرحلات الفردية، ويؤكد ذلك مثل آخر يقول: «كبل الحج بمرحلة»[1] وكلمة مرحلة تعني التوقيت المعين للقافلة. ولدينا مثل آخر يقول: «القافلة رفعت»[2] أي رفعت أمتعتها على ظهور الجمال، وابتدأت في السير الذي يستغرق عدة أشهر وربما يكون هذا الرفع في مرحلة من الطريق.. ولا شك أن هذه النصوص ـ في الواقع ـ أقرب إلى الإشارات... التسجيلية المرتبطة بقوافل الحجيج..

ثانياً ـ تبعات السفر: نقصد بتلك التبعات ما يصاحب الرحلة من تفاعلات بين الناس، وما يتولد عنها من مشاكل ومسؤوليات، وأيضاً ما يتعلق بظروف الطريق وما قد يستجد فيه من أخطار لم تكن في الحسبان أو مفاجآت على مستوى الجماعة أو مستوى الجمال كوسيلة للنقل، أو تلك المشكلات التي تتولد عن الحركة الجماعية للقافلة. ويسجل المثل نتفاً من هذه المشكلات، فبخصوص وسيلة النقل وهي الجمل يقول المثل: «**ياما ضاع على الحاج من جمل**»[3] ولا شك أنه في ظروف السفر الطويل قد يسقط بعض الجمال إعياء أو مرضاً أو لتقصير في العناية أو للفشل في اختيار الجمل المناسب، وكلها تدخل ضمن ما يضيع من جمال في قوافل الحج، ويرصد مثل آخر ظاهرة التقصير في العناية بالجمل

(١) المصدر السابق.

(٢) المجتمع الليبي من خلال أمثاله الشعبية، علي مصطفى المصراتي ص٦٧ طبعة ١٩٧٢ ـ طبعة ثانية.

(٣) الأمثال العامية في نجد، محمد العبودي ص٣٦٣، طبعة الحلبي بمصر ١٩٥٩.

فيقول: «**الجمل شايل الماء وهو عطشان**»[1] وقد يعكس المثل معنى آخر فيقال على سبيل الضيق من هذه الظاهرة أو التناقض في أسلوب التعامل مع هذا الحيوان أو القسوة وعدم الاكتراث به..

ويكشف مثل آخر عن شكل من مصاعب الطريق وخطورة مفاجآته بأسلوب غير مباشر فيقول: «العريان في القافلة مرتاح»[2]، وفي صياغة أخرى: «العريان في القافلة مطمان» بمعنى أنه لا يملك ما يخاف عليه، ومن ثم فهو يستمتع بالراحة النفسية والبعد عن التوتر والخوف. وكلمة «مطمان» تعني أنه مطمئن وفي مأمن من مفاجآت الطريق ولصوص القوافل، وهذا المثل ضمن الأمثال المشرقية والمغربية بمعنى أن ظروف قوافل الحجيج واحدة سواء من المشرق أو من المغرب..

ويدخل ضمن مشكلات الرحلة ومفاجآت الطريق تلك الحيوانات البرية أو غير البرية، ويقول المثل: «القافلة مشيت والكلب ينبح»[3] فنباح الكلب لن يعوق القافلة.

ثالثاً ـ الجمل: إن المشاق المصاحبة لهذه الرحلة تحتاج إلى نوعية خاصة من الجمال تعد خصيصاً لهذه الرحلة ويجب أن تكون شديدة القوة بحيث تحمل الأثقال وتكاليف الرحلة منذ البداية حتى مرحلة الوصول، وهذه الأمثال تركز على نوعية خاصة من الجمال، وتركز على كثرة الأحمال، وهما شرطان لإنجاح الرحلة، ولذلك فإن إعداد هذه النوعية من الحيوان يختص بها مدربون متفرغون لهذه

(١) الأمثال البغدادية، جلال الحنفي، ص ٥١، طبعة بغداد ١٩٦٢.

(٢) وحدة الأمثال في البلاد العربية، محمد قنديل البقلي ص ١٧١ طبعة الأنجلو ١٩٦٨.

(٣) المجتمع الليبي من خلال أمثاله الشعبية، علي مصطفى المصراتي ص ٦٧، مصدر سابق.

المهمة.. ويقول المثل الكويتي: «**ما يشد حج وفي البل جمل**»[1] بمعنى أن هناك نوعية خاصة من الجمال لهذا الغرض..

ومن ناحية أخرى فلم يكن هناك منافس لهذا الحيوان في الرحلة الحجازية غير ما تفرضه تضاريس الأرض، فكيف لهذا الحيوان أن يجتاز البحار؟ وإذن فليس لدينا غير السفن التي تكمل دور الجمل، وهي كما يقول المثل تحد من سيطرة الجمل بمفرده على وسيلة النقل فيقول المثل: «غصب على البل يركب جاريات السفن»[2] فكلمة «غصب» تعني الإلزام والقهر والضرورة، وفي معنى آخر تؤكد على احتكار الجمل كوسيلة نقل برية في رحلة الحج..

رابعاً ـ الحجّاج: منذ أن يبدأ الحاجّ في الاستعداد للسفر فإن عليه أن يستعد لمواجهة مشكلات الرحلة، وقد سجلت الأمثال بعضاً من هذه المشكلات أشرنا إلى بعضها في سطور سابقة، ونضيف بعضاً منها سجلته أمثال أخرى، فيقول المثل: «**الجمل اكروي والمحجان من الشجرة**»[3] وفي صياغة أخرى يقول: «**الجمل جمل اكروي والمشعاب من شجرة**»[4] ويعبر المثل عن الضيق من أحد عناصر الرحلة وهو الجمل الذي استأجره الحاج للرحلة بتكلفة باهظة، ومعه تلك العصا المعقوفة..

ولا شك أن هذه الإشارات المتفرقة تعبر عن نوعية

---

(١) من الأمثال العامية، اختارها وشرحها خالد سعود الزيد ص ٢٢٥، طبعة الكويت ١٩٦١.

(٢) من الأمثال العامية، خالد سعود الزيد ص ١٣٨، مصدر سابق وانظر الأمثال البغدادية المقارنة، عبد الرحمن التكريتي جـ٣/٢٠٩، مصدر سابق.

(٣) الأمثال العامية في نجد، محمد العبودي، مصدر سابق.

(٤) من الأمثال العامية، خالد سعود الزيد ص ٧٣.

المشكلات التي تواجه الحاجّ في هذه الرحلة من صعوبة الانتقال وخطورة الطريق وزيادة التكلفة ومواجهة الطوارىء، وما قد يترتب على ذلك من عدم إتمام الرحلة، بل وصعوبة العودة، وما قد يحمله ذلك من خطورة على أرواح الحجيج.

وأخيراً، فإن هذه المفردات تعني أن رحلة الحج وارتباطها بالجمل قد تركت تراثاً ثقافياً تتناقله الأجيال وتكشف أيضاً عن أن مصاعب الرحلة واحدة سواء في المشرق أو المغرب، ذلك أن كافة عناصر الرحلة ذهاباً وعودة تكاد تكون واحدة ـ الطرق الصحراوية ـ أخطار الطريق ـ نفوق الحيوان ـ المشكلات التي تتولد عن الاحتكاكات اليومية في الطريق ـ الظروف الصحية ـ الاستعداد بنوعية خاصة من الجمال. . الخ. وكلها تدور حول هدف إتمام تلك الرحلة الروحية. .

مما لا شك فيه أن التكوين الجسماني للجمل وظروف الصحراء المترامية الأطراف هما اللذان جعلا من الجمل سفينة الصحراء، وجعلا من الجمل الوسيلة الوحيدة في رحلة الحج. وهذا التكوين الجسماني يتمثل في القدم المنبسطة التي تحمي الحيوان من الانغراس في رمال الصحراء اللينة والمفككة، كما أنها تكتنز بالشحم لكي تحميه من الآلام الناتجة عن الحصى في الطريق في الوديان. وكنا نسمي هذه القدم ـ خف الجمل ـ بضم الخاء، أما الجسم فهو هرمي الشكل ينتهي بسنام يستطيل إلى أعلى مع نحافة، أما الرقبة فهي طويلة مرتفعة ومقوسة إلى أعلى تنتهي برأس مدبب وأذنين صغيرتين لكي تساعده على مواجهة الأعاصير التي تثور في الصحراء في كثير من الأحيان، وتفاجىء الناس. أما البطء في السير وهو ما يساعد على قطع المسافات الطويلة دون تعب «وهناك تقارير عن الرحالة الذين كادوا أن يموتوا من العطش في الصحراء وذبحوا واحداً من الجمال وشربوا الماء الذي كان الحيوان يختزنه في مكان خاص في معدته. وهذه القصة تشير إلى السر في كيف أن هذا الحيوان المدبر يستطيع أن يعبر الصحراء لعدة أيام وأسابيع دون أن يشرب. بينما الرجال والخيول لا تستطيع ذلك»[١] وفي هذا المجال فقد وجدنا المثل الشهير الذي يقول: «**المستعجل ما يسوقش جمال**».

كما يتمتع الجمل بسيقان طويلة كي ترفع الجمل والراكب لمسافة أبعد عن سطح الأرض عند هبوب دوامات الرياح المثيرة

(١) yrzimek's Animal life Encyclopedia N. 13 Mammals Iv. P. 139 - Bermhand Erzimer
Dietrich Heinemann-Erich Thenius.

للغبار، كما يكسو هذا الحيوان وبر «شعر ناعم» كالحرير يعد مادة عازلة للحرارة فهي تقي الجمل من البرد الشديد كما أن كثافة هذا الوبر تقلل من البخر خلال فصل الصيف»[1]. .

إن هذا الائتلاف الجسماني مع البيئة والذي يتميز به عن سائر الحيوانات الأخرى جعلت ساكني هذه المناطق من العالم يعتمدون كثيراً في التنقل عبر الصحارى على الجمل، وفي شعيرة الحج إحدى الأسس أو الركن الخامس في الشعائر الإسلامية، ولذلك فقد أحيطت وسيلة النقل الرئيسية بالعناية والرعاية والاحترام، بل وتحولت تربية الجمال المخصصة لهذا الغرض إلى مهنة ذات أصول وقواعد معروفة. .

والرحلة الحجازية عبارة عن مجتمع من البشر من الرجال والنساء ومن مختلف الأعمار والمستويات الاجتماعية والمكانية، هذا المجتمع يتحرك جماعياً عبر الصحارى أو عن طريق البحر في رحلة تستغرق عدة شهور، وفي بعض الأحيان كانت تستغرق العام كاملاً إذا كانت من بلاد بعيدة كبلاد شرق آسيا أو المغرب العربي أو بلاد جنوب غربي إفريقيا. . والرحلة تحمل معها التموين المعيشي والحرس والخدم وحفر الآبار في طريق القوافل وحراستها وتشييد الخزانات وتنظيفها وهذه الأعمال الكبيرة من صميم عمل الحكام والأمراء. . فالحج رحلة دينية يؤدي المسلم فرضها مرة واحدة في عمره، وهي إحدى الفرائض الخمس، ومن هنا تحمل الناس المشاق، وواجهوا الأخطار والكوارث والسيول وغيرها في سبيل تحقيق هذه الأمنية الروحية. .

(١) الثروة الحيوانية وإنتاجها في الدول العربية، د. محمد يحيى حسن درويش، د. صلاح الدين أحمد فيظي، ص ١٧٦، طبعة دار المطبوعات الجديدة بالاسكندرية طبعة، ١٩٧٨.

والرحلة الحجازية التي تبدأ من مصر كانت تسير في أفواج ضخمة، وتستغرق من القاهرة إلى الأماكن المقدسة ٤٢٤ ساعة في الذهاب ومثلها في الإياب وكانت المسافة تستغرق ما بين ٤٥ و ٥٠ يوماً، وعلى سبيل المثال ففي عصر المماليك ترتب مغادرة الحج المصري بصفة دائمة ليكون ما بين ١٦، ١٩ شوال في قوافل..

الأولى: تسمى الركب الأول.

والثانية: قافلة المحمل، وبعدها تقوم عدة قوافل[١].

وقد أوجد محمد علي في بداية القرن التاسع عشر محطات على الطريق إلى الحجاز تحولت إلى مراكز ثابتة، وهذه القوافل تسير خلف بعضها في توقيت مناسب بحيث تكون هناك فترة زمنية بين القافلة والتي تليها، وهذه الصورة تفسر ـ بلا شك ـ الظروف التي أفرزت المثل: «جمل موضع جمل» والمثل بصياغة أخرى في مكان آخر «جمل موضع جمل يبرك» ويعلق بوركهارت على المثل الذي سجله شرف الدين بن أسد من القرن السابع الهجري[٢] فيقول «توجد أماكن تبرك فيها الجمال في المحطات المسائية، وتتوقف القوافل عادة فيها عند الرحلة من مكان إلى مكان آخر وهكذا عندما تغادر رحلة تحل محلها رحلة أخرى..»[٣].

(١) انظر مجلة الفنون الشعبية العدد ٣٥/٣٦، يناير، يونيو ١٩٩٢م.

(٢) ولد حوالي ٦٧٠هـ، ومات ٧٣٨هـ انظر مقدمة العادات والتقاليد المصرية من الأمثال الشعبية، طبعة هيئة الكتاب ١٩٨٩، سلسلة الألف كتاب الثانية رقم ٧٣، وترجمة كاتب هذه السطور، وانظر أيضاً كتاب «وحدة الأمثال في البلاد العربية» محمد قنديل البقلي ص ٦٣، وانظر كتاب ادوارد لين، المصريون المحدثون ص ٤٥١.

(٣) انظر مقدمة كتاب العادات والتقاليد.

وقد أشرنا في سطور سابقة إلى أن جمال الحج تربى بنظام معين حتى تستطيع القيام بالغرض..

وبخصوص «جمل المحمل» فقد ذكر أحد الباحثين[1] أنه قد روي له «أن اختيار جمل المحمل كان يتم بعناية فائقة بحيث يكون ذلك الجمل من النوع الهادىء غير المشاكس وكان يطلق عليه أحياناً اسم «الشيخ سيد» أو اسم «مبروك» أو اسم «نبيل» وكان جمل المحمل من نوع الجمال ذات «المزاج».. وهذه المسميات تحمل دلالات ومعاني «فالشيخ سيد» يعني أنه جمل مبارك أو أنه سيد كافة جمال الرحلة الحجازية، واسم «مبروك» أي حلت فيه بركة الشعيرة الدينية، و«نبيل» بمعنى أنه جمل من نوعية سامية تتميز بالنبل والرقي.. وهذه المسميات تعكس الروح السائدة لدى الشخص الذي يقوم على خدمة هذا الجمل وإعداده للرحلة المباركة..

وفي هذه الرحلة يؤخذ في الاعتبار أن هذه المؤن المصاحبة للرحلة لا يمكن أن تكون بالوفرة التي تدعو إلى قدر ضئيل من الرفاهية، ذلك أن ظروف الطريق تفرض على الرحلة اللجوء إلى التقشف وربط الأحزمة على البطون في كثير من الأحيان، وأيضاً القسوة في تحميل جمال الرحلة اختصاراً للنفقات وتخفيفاً للأعباء. ولذلك وجدنا ذلك المثل الشائع في أنحاء العالم العربي شرقاً وغرباً، والذي يقول: «جمل المحامل» أي الجمل الذي أعد لحمل الأثقال وربما في بعض الأحيان فوق طاقته حتى قيل في المثل: **«ياما ضاع على الحاج من جمل»**[2] والمثل الذي يقول: **«الجمل**

(١) كسوة الكعبة الشريفة وفنون الحجاج، إبراهيم حلمي، كتاب اليوم، العدد ٣٢٠، مايو ١٩٩١، ص ١٦٨.

(٢) الأمثال العامية في نجد، مصدر سابق ص ٦٤، ٣٦٣.

حمله يقتله»[1] ولا شك أن هذه المحامل يعاني منها الجمل في رحلة السفر حيث كثرة الأمتعة. وفي رحلة العودة حيث يحمل إضافة إلى الأمتعة ولوازم السفر من مؤن وأغطية الهدايا للأهل والأحبة، وهذه الأحمال في أغلب الأحيان تكون أكثر من طاقة الجمل العادية مما قد يقتل الجمل.. وهذه الإشارات عادة لا تظهر إلا في الأسفار الطويلة كرحلة الحج.

وفي هذا المناخ الروحاني الذي يستعد فيه الناس للقيام برحلة الحج كانت خطوة البداية تتسم بالارتباك والارتجال والتوتر، ولذلك وجدنا المثل الذي يرصد هذه الظاهرة فيقول: «أول شيلة في الحج ثقيلة» نتيجة الفوضى وكثرة المسؤوليات وضغط الوقت، حيث إنها فترة مرهونة بمدة زمنية ضيقة، وعلى قوافل الحج إتمامها بأقصى قدر ممكن من النظام حتى لا يترتب على الفوضى تعطيل الرحلات التالية وارتباك الوفود..

وإذا كانت بداية الرحلة تعاني من الارتباك فكيف يكون الحال طوال الرحلة التي يجتاز فيها الحاج الصحراء والوديان، وهي مساحات طويلة ومخيفة وموحشة وغير مسكونة، وكثيراً ما تعرضت القوافل لمفاجآت الطريق وهي عديدة كالتقلبات الجوية غير المواتية، مثل هبوب الرياح المفاجئة أو السيول التي قد تجرف ما يقابلها، والمشكلات اليومية التي قد تثور بين الحجاج، أو الأمراض التي قد تفاجئهم سواء على المستوى الفردي أو المستوى الجماعي كالأوبئة أو افتقاد الأهل ومعاناة آلام الغربة، وكلها عوامل تلعب دوراً مؤثراً طوال ساعات الرحلة، ومع ذلك فإن هذه المشكلات قد تكون من الأمور البسيطة إذا قورنت باعتداءات قطاع

(١) المردد من الأمثال العامية الموصلية، مصدر سابق، ص ٥١.

الطرق المفاجئة الذين كانوا يهاجمون القافلة ويسلبون كل ما معها، ويتركونها نهباً للضياع، وأحياناً للموت المحقق. ولذلك وجدنا المثل الذي يقول: «العريان في القافلة مرتاح» وهو من الأمثال الشائعة على مستوى العالم العربي، إذ إن هذا العريان لا يحمل هموم الطريق، وليس لديه ما يخسره أو يعرض حياته للخطر..

ومع ذلك فإن كافة أخطار الرحلة البرية تهون بجانب أخطار البحر، فالإنسان عموماً ابنٌ لتراب الأرض ويفضل في كل الأحوال مواجهة الأخطار الأرضية على الأخطار البحرية، لما فيها من غموض لم يتعامل معه بدقة ووضوح حتى الآن..

إن الرحلة الحجازية لا تقتصر على السفر البري، فهناك بجانب السفر البري رحلة تجمع بين البر والبحر، فهي خليط بين هذا وذاك، فإذا عدنا إلى الخلفية التاريخية والتي ظلت متواصلة في منتصف القرن العشرين، فإننا نجد أن المقريزي قد رصد هذه الظاهرة فيقول: «إن الحجاج كانوا يتوجهون إلى مكة عن طريق صحراء عيذاب فيركبون النيل من الفسطاط إلى قوص، ثم يركبون الإبل ويعبرون الصحراء إلى ميناء عيذاب، ثم يركبون البحر في الجلاب[1] إلى ساحل مكة. وهذه الرحلة ظلت مسلكاً للحجاج في الذهاب والإياب ما يزيد على مائتي سنة من أعوام بضع وخمسين وأربعمائة إلى أعوام بضع وستين وستمائة، وذلك منذ كانت الشدة العظمى في أيام الخليفة المستنصر بالله أبي تميم معد بن الظاهر». ويعلق المقريزي على الرحلة البحرية فيقول: «وكان الحجاج يجدون

(١) الجلاب لا يستعمل فيها مسمار البتة إنما يخيط خشبها بالقنبار وهو متخذ من شجر النارجيل ويخللونها بدسر من عيدان النخل ثم يسقونها بسمن أو دهن الخروع أو دهن القرش وقلاع هذه الجلاب من خوص شجر المقل، المقريزي ج١، دار صادر بيروت.

في ركوبهم الجلاب على البحر أهوالاً عظيمة لأن الرياح تلقيهم في الغالب بمراسٍ في صحارى بعيدة مما يلي الجنوب. وكان أهل عيذاب يبالغون في شحن الجلبة بالناس حتى يبقى بعضهم فوق بعض حرصاً على الأجرة ولا يبالون بما يصيب الناس في البحر بل يقولون: «علينا بالألواح وعلى الحجاج بالأرواح»[1]. وإذا نظرنا إلى الصياغة الأخيرة في النص نجد أنها صياغة دارجة تحولت إلى نص مثلي كان يوافق واقع الحال في تلك الأيام وما كان يواجهه الحجاج من أهوال..

ومن ناحية أخرى فإن الرحلات البحرية وحتى النصف الثاني من القرن التاسع عشر كانت تتم عن طريق المراكب الشراعية، ولم تدخل المراكب البخارية في عمليات النقل إلا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، فظلت المراكب الشراعية وسيلة المواصلات المتاحة، وكانت المراكب تعاني من التقلبات البحرية والجوية، وهو ما يخرج في بعض الأحيان عن إمكانات السيطرة البشرية، وما يترتب على ذلك من أهوال وكوارث قد تمتد بالقافلة عدة أيام ليلاً ونهاراً دون فرصة لالتقاط الأنفاس.. ومن هذه الصورة القديمة والحديثة يمكن التعرف على أبعاد وخلفيات المثل الشعبي الذي يقول: «ضراط البل ولا تسبيح السمك» والمقصود بكلمة «ضراط البل» أي أن مشاكل السفر بطريق الجمل أهون وأكثر أماناً من السفر البحري. ويفسر بوركهارت هذا المثل فيقول:

ويكره المصريون الرحلات البحرية حتى أن غالبيتهم يختارون الرحلة البرية بمتاعبها إلى مكة، وهي خير من تلك الرحلة القصيرة

(١) انظر المقريزي، جـ ١، ٢٠٢، ٢٠٣.

عبر البحر[1]. .

أما «ضراط البل» فيقول عنها الرحالة بيرتون عندما قام برحلته في طريق الحج من القاهرة إلى السويس عبر الصحراء: هذه الأرض الشرسة قد ابتليت بالحيوانات الموحشة والبشر الأكثر توحشاً، إنها أرض تتمتم عيون الماء فيها بهذه الكلمات التحذيرية: «اشرب وابتعد» أو: «اشرب وغادر المكان فوراً» ويضيف: «أي شيء يمكن أن يكون أكثر إثارة من هذا؟ فقلب المرء مقيد في صدره بفكرة أنه ضئيل أمام اتساع الصحراء، كما أنه مشغول بالخروج من تجربة السفر فيها منتصراً، وهذا يمكن أن يفسر المثل: «السفر انتصار» أو: «الرحلة نصر»، وفي الصحراء تجد الموت حاضراً أكثر حتى لو كنت تسافر في المحيط، فالصعوبات هناك، واحتمالات سلبك قائمة بالإضافة إلى أنه يمكن أن تضل الطريق وكل هذا يورد موارد التهلكة فتموت وحيداً منعزلاً»[2].

ويبدو من ناحية أخرى أن هذا المثل «ضراط البل. . .» قد بلغ من الذيوع والانتشار حتى وصل إلى أقطار عربية أخرى، فقد سجل كتاب «الأمثال البغدادية» هذا النص بصياغة أخرى تقول: «ضراط اللحم أحسن من تسبيح السمج» ويقول في تفسيره إنه يضرب لترجيح لحوم الضأن على الأسماك وهو تفسير غير صحيح، ذلك أن كلمتي «ضراط وتسبيح» تعني العيش والحياة ولا تعني

(١) العادات والتقاليد المصرية من الأمثال الشعبية، جون لويس بوركهارت وترجمة كاتب هذه السطور، ويمكن الرجوع إلى بعض تفاصيل رحلة الحج في كتاب عادات المصريين وتقاليدهم «ادوارد لين ص ٤٥١ وما بعدها، ترجمة سهير دسوم، طبعة مكتبة مدبولي ١٩٩١ م. .

(٢) رحلة بيرتون إلى مصر والحجاز، ريتشارد. ف. بيرتون وترجمة د. عبد الرحمن عبد الله الشيخ جـ١/ ١٢٧ طبعة هيئة الكتاب، سلسلة الألف كتاب الثاني رقم ١٦١.

الموت والطعام. .

ومع ذلك فإن رحلة الحج بالجمال كان يقوم بها الأثرياء وميسورو الحال، بينما كان الفقراء والمعدمون من الناس يقومون بها سيراً على الأقدام. .

ومن ناحية أخرى فإن المحمل أو القوافل إلى الأراضي الحجازية كانت لها أهمية كبيرة على كافة المستويات الشعبية والحكومية، وقد ظلت هذه الأهمية موجودة حتى سنوات سابقة. . ويكفي للتدليل على ذلك أن أذكر ما جاء ـ عرضاً ـ على لسان شمس بدران ـ من رجال ثورة ١٩٥٢ ـ حيث قال: «علشان نبقى صادقين مع نفسنا وفيه عدالة في الكلام إن عبد الحكيم عامر هو اللي أنشأ القوات المسلحة الحديثة. قبل عبد الحكيم عامر وقبل الثورة ما تقوم أيام الملك كان فيه جيش كنا بنسميه جيش المحمل. ايه جيش المحمل ده؟ كان كل هدف الجيش هو أن يعمل الاستعراض السنوي بتاع المحمل. ما كانش فيه جيش؟»[١]. .

* * *

إن متابعة الأمثال المصاحبة لرحلة الحج تؤكد أن النص المثلي قد ركز اهتمامه على تفاصيل الرحلة والمشاكل الجغرافية والمجتمعية التي قد تصاحبها، ذلك أنها رحلة بشرية تمتد عدة شهور، ولذلك وجدنا الأمثال تهتم بالجوانب العملية فهي ترصد وتسجل الممارسات على المستوى الفردي والمستوى الجماعي، أو بمعنى آخر ترصد وتسجل الجانب المادي أو العلمي في الرحلة، وقد نلحظ خلال ذلك بعض المشاعر الإنسانية تجاه هذا الحيوان

(١) الأهرام ١٩٩٧/١/٢٠ في سلسلة ملفات ثورة يوليو ـ شهادات ١٢٤ من صناعها ومعاصريها/ أجرى الحوارات طارق حبيب.

رغم أنها تختلط بالجانب المادي والعملي إلا أنها تحمل في ثناياها بعض هذه المشاعر حيث يقول المثل: «**جمل المحامل**» أو يقول المثل: «**الجمل شايل الماء وهو عطشان**»، ولكنها مرتبطة بالدور الوظيفي الذي يقوم به المثل في رحلة الحج، فأمثال الحج عبارة عن تسجيل واقع وظروف رحلة بما فيها من مشاق وانتظار وترقب ومتابعة ولا تخرج عن هذه المفاهيم..

بينما لو نظرنا إلى جانب آخر من ضروب التعبير الشعبي المرتبط بهذه الشعيرة وهو «الأغنية الشعبية» لوجدنا جانباً آخر لصورة الرحلة، ويتمثل في دفء المشاعر وآيات الشوق والغرام، ويختفي منها تماماً ذلك الجانب العملي الذي لاحظناه في نصوص الأمثال الشعبية ونحن نأتي هنا بمثال لكي يبرز الصورة التي لاحظناها في نصوص الأمثال...

إن وظيفة الجمل لم تكن قاصرة على توصيل الحجيج إلى الأماكن المقدسة فحسب، ولكنها تظل الوسيلة المثلى خلال الانتقال بين أماكن شعائر الحج من الكعبة إلى منى وجبل عرفات فتقول الأغنية:

يا فرح قلبي يوم طلوع الجبل والخطيب على الجمل
يا فرح قلبي ساعة النفرة وفرحت عيوننا ونزلنا بفرحة
يا هناه اللي اتوعد.. يا هناه

وفي المشهد الآخر تقول الأغنية:

وبعد ثلاث أيام «في منى» حملنا لمكة وطفنا طواف الوداع
وبرزنا.. والجمال حملنا.. وعلى إبراهيم سرنا
يا هناه اللي اتوعد.. يا هناه

وفي هذا المجال لا تكاد تخلو أغنية من أغاني الحج من ذكر

الجمل ومنها ما يردده أبناء الصعيد:

يا جمل.. يا جمل.. إذا جبت لي احبابي
أعلفك يا جمل بسمسم وسكر جلابي(١)

ونلاحظ المفردات التي تتردد في هذه الجمل وهي «فرح قلبي».. فرحت عيوننا.. هناء الموعود.. نزلنا بفرحة «وهي تعبر عن فيض المشاعر التي تكاد تتوارى وراءها الجوانب العملية»..

كما أن هذه المفردات التي تعكس مشاعر الفرح المرهفة تدفع الناس إلى أن تكرم الجمل بأن تقدم لهذا الحيوان الذي ساعد في قضاء الفريضة السمسم والسكر للتعبير عن الامتنان والفرح..

ولا شك أن هاتين الصورتين ـ صورة الحج في أمثال الجمل، وصورة الحج في الأغاني ـ إنما تؤكد أن النصوص الشعبية بشكل عام تكشف عن حياة الناس بجانبيها العملي والعاطفي بمعنى أن الناس يتعاملون مع النصوص الشعبية من خلال ظروفهم ومشاعرهم ويأتون بالنصوص التي تناسب الموقف والذي يتسق مع ظروفهم المستمدة من واقع حياتهم العملية.

(١) الأغنية الشعبية، د. أحمد مرسي، مكتبة الأسرة ١٩٩٦ طبعة هيئة الكتاب، ص ٦١، ٦٢، مهرجان القراءة للجميع.

الفصل الرابع

الجمل في الحياة المصرية

- لمحة تاريخية.
- أمثال الجمل في الريف.

الجمل من ٩٠ إلى ٩٥

الجمل من ٩٥ إلى ١٠٠

- الجمل في العلاقات بين الناس
- أمثال الجمل في الصحافة
- أمثال الجمل في سيناء
- بين القديم والحديث

مصر جزء أساسي في هذه المنظومة الصحراوية الممتدة من الخليج العربي إلى المحيط الأطلسي فهي تتوسط هذه الرقعة، وعلى الرغم من أن الزراعة هي النشاط الأساسي في مصر حتى النصف الأول من القرن العشرين، إلا أنه يمكن القول إن الزراعة هي الامتداد أو التطور الطبيعي للحياة الصحراوية، ولكن في مكان مستقر على ضفاف النيل، وطبيعي أن يدخل الجمل ضمن المنظومة الزراعية كما هو مكون أساسي ضمن المنظومة الصحراوية..

لقد لعب الجمل دوراً كبيراً في الحياة الريفية فحتى أربعينيات القرن العشرين كان الجمل عنصراً أساسياً في عمليات النقل عبر البلاد في الريف، ذلك أن أياً من الحيوانات الأخرى كالحمير أو الخيل لا تقوى بمفردها على نقل البضائع لمسافات طويلة، ويستثنى من ذلك عربات الجر، ومع ذلك فلم يتوقف دور الجمل في عملية نقل البضائع بين البلاد إلا بعد انتشار سيارات النقل ذات المحركات الميكانيكية، ولا شك أن ظهور هذه السيارات بجانب عربات «الكارو» قد ساعد على اختفاء دور الجمل في عمليات النقل..

وفي زفتى ـ مسقط رأس كاتب هذه السطور ـ كانت هناك أدوار واضحة لدور الجمل في الحياة الزراعية والحياة الاقتصادية بشكل عام، وكانت توجد أسرة مختصة بصناعة «عدة الجمل» وهي صناعة تحتاج إلى مهارة خاصة لا يجيدها السروجي المختص بعمل برذعة الحمار، وهو ما يشير إلى أنه كانت في بلدتنا ـ في النصف الأول من القرن العشرين وحتى أربعينيات هذا القرن ـ أعداد كبيرة

من الجمال وهذه ليست قاصرة على المدينة ولكنها ممتدة إلى الريف ـ ولا شك أن طبيعة النشاط الزراعي حيث الزراعة الكثيفة في أخصب الأراضي الزراعية على مستوى مصر كلها، وكذلك النشاط الاقتصادي الذي ارتبط بالإنتاج الزراعي كان يستدعي الاحتياج لهذا الحيوان..

فمدينة زفتى تتوسط النيل الشرقي ـ فرع دمياط ـ وتتوسط الوجه البحري بشكل عام ودخلتها المدنية الحديثة قبل الكثير من عواصم المحافظات، فهذه البلدة بحكم موقعها الفريد على النيل وفي وسط أخصب أراضي الوجه البحري كانت تشتهر ـ على مستوى مصر ـ بحلج القطن ذلك المحصول الرئيسي للدولة في النصف الأول من هذا القرن، وكانت بها في بداية القرن العشرين ـ كما قال لي والدي عليه رحمة الله ـ سبعة محالج مملوكة للأجانب، وكانت تسكن بها جالية أجنبية كبيرة تزيد على ثلث عدد السكان، وبها ميادين كبيرة منها ميدان حلقة القطن وميدان حديقة الدوران وميدان البرص «بضم الباء وفتح الراء» جمع بورصة، وكانت بها أحياء لا يسكنها إلا الأجانب ـ هذه الظروف قد دفعت إسماعيل صدقي باشا ـ أحد رؤساء الوزارات ما قبل الثورة ـ وهو من أبناء قرية الغريب ـ بضم الغين وشدة مكسورة على الياء ـ وهي من قرى مركز زفتى، وقد كان من كبار مؤسسي ومساهمي بنك مصر ـ هذه الظروف دفعته إلى أن يحاول إغراء طلعت حرب باشا بإقامة مصنع للنسيج في زفتى، وذلك قبل إنشاء مصنع غزل المحلة، ومما يؤسف له لسوء حظ هذه المدينة أن إسماعيل صدقي باشا وضيوفه الذين جاءوا معه لزيارة المدينة قوبلوا بهتافات عدائية معادية تحت تأثير الحزبية البغيضة قبل الثورة ولصالح حزب الوفد ـ هذه الهتافات خذلت إسماعيل صدقي فانتقل الوفد بتأثير عبد الحي خليل باشا،

وكان من كبار المساهمين أيضاً في بنك مصر ـ وهو من أبناء المحلة، إلى المحلة ـ وأنشئت المصانع هناك[1]. . .

وحتى هذه الأيام فهناك ـ في زفتى ـ أربعة محالج خاضعة للشركات الحكومية بعد التأميم في عهد جمال عبد الناصر ولكنها تحمل أسماء (كوبر ـ كلوفس ـ زينهرت ـ زكيتوبارده) وكلها تقع على ساحل نهر النيل، وهذه المحالج هي محور النشاط الاقتصادي الرئيسي وهو حلج القطن بالإضافة إلى النشاط الزراعي، وحول هذين المحورين عاش هذا الحيوان. وقام بدور واضح بالنسبة لحلج القطن وأوجه النشاط الذي ارتبط به. .

وكاتب هذه السطور كان يسكن بجوار محلج زكيتوبارده ويذكر أن أول ما تفتحت عيناه كان على منظر قطارات الجمال وهي داخلة إلى المحلج تتهادى، وكل جمل يحمل كيسين من القطن على جانبيه وهما يتأرجحان مع خطوات الجمل، وكان قطار الجمال يتكون من عدة جمال كل واحد خلف الآخر، وكانت قطارات الجمال هذه تنافس سيارات النقل وهو ما يؤكد أن الجمل كان وسيلة النقل الرئيسية للقطن المصري قبيل انتشار السيارات في النصف الأول من القرن العشرين. .

---

(١) بجانب التنافس أو الصراع بين إسماعيل صدقي باشا وسعد زغلول باشا على المستوى الوطني كان هناك تنافس آخر على المستوى المحلي حيث إن إسماعيل صدقي من قرية الغريب وهي تبعد عن زفتى ثمانية كيلومترات في اتجاه بنها.

وبعدها بخمسة كيلومترات قرية مسجد وصيف وهي مجاورة لها تماماً وبها أملاك أسرة سرهنك وهي أسرة صفية زغلول وبها قصر كبير كان سعد زغلول يذهب إليه بين الحين والآخر عندما يترك القاهرة إما للراحة والاستجمام أو للاحتجاج على بعض السياسات، وقد سميت الغريب باسم إسماعيل صدقي وسميت مسجد وصيف باسم سعد باشا وما زال اسماهما على محطتي السكة الحديد حتى الآن ١٩٩٩ م.

أما في الأعمال الزراعية فإن حمولة الجمل تساوي ثلاثة أضعاف حمولة الحمار، كما أن هناك بعض المحاصيل التي لا تنقل بكفاءة إلا على ظهور الجمال مثل البرسيم والقش والأحطاب وغيرها. وفضلاً عن ذلك فإن الجمل في بعض الأحيان كان يستخدم كرأسمال أو مورد مستقل للرزق، وذلك في نقل المزروعات من الحقول إلى أماكن بيعها نظير أجر معين، مثل محصول القصب الذي كان الباعة يذهبون بالجمال المؤجرة إلى حقول جمع القصب، ويتولى الجمل مع جمّاله نقل الحمولة إلى أماكن بيعها، وقد تصل هذه المسافة إلى عدة كيلو مترات وعلى سبيل المثال كان القصب يزرع في جزيرة الحاجبي وهي إحدى جزر النيل بجانب قناطر زفتى، وكان ينقل من هذا المكان إلى أماكن بيعه في زفتى وميت غمر بواسطة الجمال..

وقد جاء في كتاب «الموالد في مصر» في تعليق للمترجم على مؤلف الكتاب يقول المترجم: «التحق مكفرسون أثناء الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ ـ ١٩١٨ بالمجهود الحربي لبلاده فعين ضابطاً بفرقة الجمالة المصرية Egyptian Camel Transport. التي جندها البريطانيون خلال سنوات الحرب العظمى للمساهمة في نقل المياه والمعدات والمؤن للقوات المقاتلة في حملة سيناء، وقادته هذه الخدمة إلى المشاركة في معركتي «روماني» و«غزة» وعندما أصيب في هذه الحملة ١٩١٧ أعيد إلى القاعدة في مصر[1]، وفي هذا المجال فإن سلاح الهاجاناه كان من الأسلحة الرئيسية في الجيش المصري وهو جزء من سلاح الحدود، ووسيلة للنقل المتيسر

(١) الموالد في مصر، تأليف مكفرسون وترجمة د. عبد الوهاب بكر طبعة ١٩٩٨، المقدمة سلسلة الألف كتاب الثانية ـ هيئة الكتاب.

عبر الصحارى هي الجمل . .

وفي هذا المجال فإن تأثير هذا الحيوان لم يتوقف عند الجانب الاقتصادي وما يرتبط من علاقات اجتماعية، أو الجانب الحربي حيث الحدود الصحراوية الممتدة إلى آلاف الكيلومترات غرباً وجنوباً، ولكن هذا التأثير امتد إلى المسميات الأسرية حيث وجدنا عائلة الجمل وهي عائلة ممتدة في أماكن كثيرة في الريف والمدن غرباً وشمالاً وجنوباً وكذلك وعائلة الجمّال . .

وكذلك امتد هذا التأثير إلى الجغرافيا حيث يوجد الكثير من البلدان والأحواض الزراعية، وقد سجل كتاب القاموس الجغرافي للبلاد المصرية[١] كثيراً من هذه الحقائق الجغرافية نذكر منها «حلق الجمل» وهي ناحية إدارية بمركز المحمودية بمديرية البحيرة، وبلدة «خفج الجمل» وقد وردت في الانتصار وقوانين الدواوين من أعمال الشرقية. وكلمة «خفج» يطلقها عرب البادية على الأرض الواطية الواقعة بين التلول والأراضي الجبلية الفاصلة بين الأراضي الزراعية وبين الصحراء، وفيها تنبت الأعشاب والحشائش فترعاها الإبل، ولذلك عرف هذا الخفج بخفج الإبل وهي الجمال. والخفج كان أول الصحراء المجاورة لأراضي ناحية سوادة بمركز فاقوس . . وتوجد بلدة «ظهر الجمل» من أعمال الغربية بمركز كفر الشيخ[٢]، وتوجد بلدة «ظهر الجمل» أخرى من كفور شنشلمون مركز منيا القمح بمديرية الشرقية[٣] . . وتوجد بلدة «ظهر الجمل» ثالثة من

(١) القاموس الجغرافي للبلاد المصرية، محمد رمزي، طبعة هيئة الكتاب ١٤.

(٢) كانت محافظة كفر الشيخ الحالية بكاملها ضمن محافظة الغربية قبل ١٩٥٢، وفصلت هذه المناطق وكانت تسمى البراري بقصد تركيز العناية بها وزيادة انتاجيتها الزراعية ومحاولة استصلاح هذه البراري.

(٣) كلمة «محافظة» الحالية حلت محل كلمة «مديرية» التي كانت شائعة، وبعد الثورة ١٩٥٢

أعمال الأشمونيين بمركز ديروط مديرية أسيوط، وتوجد «كفر الجمّالة» تابعة لمركز تلا منوفية، وتوجد قرية ششت الأنعام تتبع مركز ايتاي البارود من أعمال البحيرة، وتوجد قرية الأنعام من توابع بردين بمركز الزقازيق بمديرية الشرقية، وتوجد بلدة «كفر الجمال» مركز طوخ.

ويمكن ملاحظة أن هذه البلدات من القرى الصغيرة أو الأحواض الزراعية والتوابع تتوزع في الغالب بين المحافظات على أطراف الدلتا[1] (الشرقية ـ البحيرة ـ كفر الشيخ «منطقة البراري») حيث التمازج بين الزراعة والريف والصحراء في منطقة تخوم الدلتا شرقاً وغرباً، وفي الصعيد حيث تنتشر تخوم الجبال والصحراء، وهذه الإشارات التي سجلها محمد رمزي في كتابه السابق تدل على أن الجمل دخل الريف من موطنه الأصلي «الصحراء» وأن هذا الحيوان كان ينتشر بأعداد كبيرة في هذه الأماكن.. بل إن هذه الأماكن كانت مراكز تجمع لهذا الحيوان، ومنها انتقل إلى الداخل..

وقد جاء في خطط المقريزي: «وكورة الإسكندرية ولوبية ومراقية براري.. وجبال وغياض تنبت الزيتون والأعناب وهي بلاد الإبل وماشية وعسل وبن»[2]..

أما منطقتا «تلا» منوفية و«طوخ» قليوبية فربما ارتبطت هذه الأماكن بحركة النقل أكثر من الفلاحة، فالمعروف أن الجمل ليس حيواناً زراعياً ولا يصلح لأعمال الفلاحة، والمثل يقول: «**اللي**

تغير المسمى إلى محافظة بدلاً من مديرية وحاكم الإقليم في الماضي كان يسمى «مدير» وحالياً يسمى «محافظ».

(١) انظر تعريف كلمة «خفج».

(٢) الخطط للمقريزي ص ٢٦ طبع أوفست، دار صادر، بيروت.

يحرته الجمل يبططه» بمعنى أنه إذا استخدم في عمليات الفلاحة فإنه يفسدها، ولكنه حيوان يصلح بكفاءة في عمليات النقل والتجارة وضمن القوافل، والمثل يقول: «**قطار الجمال**» أو «وصل القطار إلى الجميزة».

ومن ناحية أخرى فإن تكرار اسم «ظهر الجمل» وإطلاقه على عدة بلدات يعني أن الجمل كان يؤدي دوراً واضحاً في عمليات النقل وليس في عمليات الفلاحة. فكلمة «ظهر» تشير إلى ما يحمل على ظهر الجمل. وهكذا ارتبطت الأماكن بالجمل وهو ارتباط له معنى وظيفي أو معنى جغرافي يتصل بمناطق التماس بين الأرض الصحراوية والأرض الزراعية..

والواضح أن تطور الحياة وتسارع الإيقاع قد غير من دور الجمل، حيث انعدم تماماً الدور الريفي، حتى أن الأجيال الجديدة لم تعد تسمع أخبار هذا الحيوان، وربما نجد العديد من الشباب الذين قد يسمعون عن هذا الحيوان دون أن يروه، ومع ذلك فإن هذا الحيوان مازال محل اهتمام المسؤولين وأصحاب الاختصاص في مصر: «ففي مدينة شلاتين في جنوب شرقي مصر تم إنشاء معامل لتشخيص وبحوث أمراض الإبل من خلال الخطة الخمسية الرابعة لمركز البحوث الزراعية ١٩٩٧/٢٠٠٢، ويوضح د. علي عبده العبيدي مدير معهد بحوث صحة الحيوان أن أعداد الإبل في مثلث (شلاتين ـ أبو رماد ـ حلايب) تقدر بحوالي ١٥ ألف رأس ويبلغ تعداد الإبل في العالم حوالي ١٨,٨ مليون رأس وتمتلك الدول العربية حوالي ١١,٩ مليون رأس منها، وتتوزع في معظم مناطقها لكنها تتركز في بلاد الصومال التي تمتلك حوالي ٦,٧ مليون رأس والسودان ٢,٩ مليون رأس، وفي مصر يقدر عدد الإبل طبقاً لإحصاءات وزارة الزراعة عام ١٩٩٥ قطاع الشؤون الاقتصادية

بـ ١٢٠,٦١٧ رأساً. . يوجد منها في محافظة البحر الأحمر ٣٨,٦٧٦ رأساً، ويضيف: إن حليب الإبل الطازج يشكل الغذاء الرئيسي لعدد كبير من عائلات هذه المنطقة، وخاصة في أوقات الجفاف وسنوات القحط عندما لا يتوافر أي نوع آخر من الغذاء. .

ويضيف د. علي العبيدي: «إن مصر تستورد عدداً كبيراً من الإبل من السودان وبعض الدول الإفريقية، وأهم معبرين إلى مصر هما الشلاتين ودراو، ويقدر عدد الجمال المستوردة بهدف الذبح حوالي ٥٠ ـ ٦٠ ألف رأس سنوياً، ويستهدف المعهد المساهمة في تطوير وتنمية إنتاج الإبل كمصدر عام للبروتين الحيواني من اللحم أو اللبن أو الجلد والوبر»[١].

وفي هذا المجال يقول د. عبد المنعم عمارة سعود أستاذ تغذية الحيوان بمركز بحوث الصحراء وخبير الإبل بالفاو والبنك الدولي في حديثين في جريدة الأهرام: الأول[٢] وضع له عنواناً يقول فيه: «تربية الإبل الأصلح لتنمية الثروة الحيوانية في توشكي» والثاني[٣] تحت عنوان: «الجمل حيوان الأمن الغذائي وليس سفينة الصحراء لماذا؟». . والحديثان مصحوبان بصورتين للجمل، كما يؤكد على أن هذا الحيوان يتفوق على باقي الحيوانات المجترة دون استثناء، ويدعم ذلك بالمقارنات الإحصائية. .

* * *

ومما لا شك فيه أن وجود هذا الكم الكبير من أعداد الجمال على مستوى العالم ـ حيث يبلغ أكثر من ثلثي أعداد الجمال على

(١) جريدة الأهرام ٢٤/١٠/١٩٩٨.
(٢) جريدة الأهرام ٢٢/١١/١٩٩٧.
(٣) جريدة الأهرام ٢٠/١٢/١٩٩٧.

المستوى العالمي في الأرض العربية ـ قد جعل الأجانب وخاصة المستشرقين يربطون بين الجمل والشخص العربي البدوي بصورة سلبية . .

فقد كتب د. مرسي سعد الدين في مقال له بعنوان: «تحت سحر مصر» وقد خصصه للحديث عن المستشرقين الفنانين الذين زاروا مصر ورسموا لوحات عن الحياة المصرية في القرن التاسع عشر يقول في هذا المقال: «نلاحظ تكرار الموضوعات فنجد أن أسواق القاهرة موجودة في لوحات عديدة وقوافل الجمال التي اشتهر بها فرنسوا بيير برنار باري. والطريف أن بعض هذه الصور ارتبطت بمصر والشرق فنرى أن الجمال مثلاً تستعمل في العديد من الإعلانات عن مصر والعالم العربي[1] . .

وفي هذه الأيام نجد أن السياح الأجانب يربطون بين زيارة الأهرام وركوب الجمل والتقاط الصور التذكارية التي تربط بين هذا وذاك، ومع ذلك فإذا كانت هذه الصورة تعبر عن شكل من أشكال الطرافة والاستمتاع والغرابة إلا أنها في جانب آخر قد تقدم صورة سلبية . . فقد جاء في جريدة أخبار اليوم[2] في حديث أجراه عبد الهادي أبو طالب في واشنطن مع هيلين توماس عميدة الصحفيين بالبيت الأبيض عندما وجه إليها سؤالاً يقول:

س: الإعلام الأمريكي لم يكن نزيهاً ولا محايداً في تغطيته للصراع العربي الإسرائيلي في كل مراحله. ما رأيك في هذا؟

جـ: لا يمكن أن أنكر هذا . . معك حق . . هناك سوء فهم

(١) جريدة الأهرام ٢/٧/١٩٩٨.

(٢) أخبار اليوم ٢٨/٣/١٩٩٨.

غريب عن العالم العربي يقود في النهاية إلى إصدار أحكام خاطئة حول ما يحدث باستمرار في هذه المنطقة المهمة من العالم. فصورة العربي الذي يركب الجمل في الصحراء ظلت هي الصورة المسيطرة على العقل الأمريكي، وهذا جهل بيِّن..

وهذه الصورة ليست قاصرة على المجتمع الأمريكي فحسب، ولكنها شائعة لدى السياح الأجانب الذين يأتون من الغرب وينقلونها إلى مجتمعاتهم مما يعطي انطباعاً بأن العالم العربي لم يخرج بعد عن صورته البدوية، وأن مصر وهي جزء من العالم العربي ليس فيها إلا الجمل والأهرام والنيل، ويحملون معهم هذه الصور السياحية على أنها حقائق دالة على المجتمع، ومن ثم فالمجتمع المصري لم يخرج بعد عن الريفية والبدوية..

لمحة تاريخية

لعب الجمل دوراً كبيراً في الحياة المصرية طوال التاريخ، فمصر بلد صحراوي حيث إن مساحة الريف لا تتعدى ٥,٣٪ من المساحة الكلية، ومع وجود هذه الصحراء المترامية الأطراف يتواجد الجمل، بل إن المداخل إلى مصر ليست إلا الصحراء أو البحر.. والمعروف أن الجمل حيوان صحراوي في الأساس حتى قيل إن الجمل سفينة الصحراء في مقابل سفينة البحار المعروفة، ويقال إن المصريين القدماء لم يعرفوا الجمل البري، وقد ظهر الجمل المستأنس في المناطق المحيطة بالجزيرة العربية مثل العراق وفلسطين ومصر مما يدل على أنه انتقل إليها مستأنساً، ويستدل على ذلك بمجموعة من الأدلة على نفي رواية التوراة بوجود الجمل المستأنس في مصر في عصر إبراهيم، ومنها عدم وجود أي صورة للجمل على الآثار الفرعونية على الإطلاق حتى عصر الاحتلال الفارسي لمصر الذي بدأ عام ٥٢٥ ق. م أي بعد عصر إبراهيم بما لا يقل عن ألف وخمسمائة عام، ويبرر عدم ظهور الجمل على الآثار الفرعونية أن المصريين كرهوا هذا الحيوان لأنه ارتبط بالبدو الذين كانوا دائمي الإغارة على حدود مصر للسلب والنهب[١]..

ونحن نعتقد أن هذه المبررات السابقة لا تكفي للتدليل على أن المصريين لم يستخدموا الجمل.. فما الذي يمنع من ظهور اكتشافات جديدة عليها رسوم للجمل وهل الدولة المصرية القديمة اقتصرت على الشريط الزراعي حول نهر النيل؟ وكيف نفسر وجود

(١) مجلة «أخبار الأدب» العدد ٢٢٦ بتاريخ ١٩٩٧/١١/٩ مقال بقلم د. عبد المنعم عبد الحليم، أستاذ التاريخ القديم بكلية آداب الاسكندرية.

آثار آمون في واحة سيوة بالصحراء الغربية؟ وما هي وسيلة المواصلات التي اجتازت الصحراء حتى سيوة غرباً وسيناء بآثارها الفرعونية شرقاً؟ إن اعتداءات البدو على الحدود لا تنهض مبرراً موثوقاً لتجاهل هذا الحيوان في الرسوم الفرعونية . .

ومع ذلك فلدينا مثلان من العصر الفرعوني يحملان بعض الدلالات يقول أحدهما : «**إن من يؤوي الجمل في داره يجب أن يكون باب داره عالياً وسقف داره مرتفعاً . .**»

والثاني : «سارق الجمل يبدأ بسرقة بيضة»[1].

وأول هذه الدلالات أن الجمل كان من الحيوانات ذات الاستخدام اليومي كما أنه من حيوانات التربية، وثانيها أن الجمل بشكله وتكوينه الجسماني كان يلعب دوراً في المعاملات اليومية بين الناس في القديم مما يعني الذيوع والانتشار، والغريب أن هذين المثلين ما زالا منتشرين حتى هذه الأيام وبنفس الصياغة القديمة، مما يعني أن تواجد هذا الحيوان كان متواصلاً منذ العصر الفرعوني حتى الآن . .

وفضلاً عن ذلك فإن هناك بعض الكلمات المصرية التي لها علاقة بالجمل، وكانت شائعة قبيل دخول العربية إلى مصر، وما زالت هذه الكلمات تؤدي دوراً في اللغة العربية ومنها كلمة «حته» بمعنى «حتى اكتفيت»، والحت: السريع من الإبل السبت تطلق على سير الإبل ويقول المصريون للجمل «أخ» وهو صوت إناخة الإبل، ويقولون أيضاً «شرخه» إذا قطعه من شرخ ناب البعير شرخاً أي قطعه نصفين. وكلمة الهرار تعني سلح الإبل وكلمة «بس: زجر

(١) الحكم والأمثال في الأدب الفرعوني، د. سيد كريم، مكتبة الأسرة ١٩٩٧ م، ص ٧٣، ٧٤.

الإبل، كلمة «عك» من أعكت الناقة إذا تبدلت لوناً غير لونها، كلمة «جل» بالضم والفتح ما تلبسه الدواب وكلمة «بلم» والبلم: قلة العقل وبلمت الناقة بمعنى اشتهت الفحل[1]..

وإذا انتقلنا إلى العصور الوسطى فإننا نجد أن القاهرة الفاطمية كانت بعيدة عن النيل، وكانت تأخذ احتياجاتها من الماء عن طريق السقائين الذين يمضون بجمالهم البالغ عددها ١٥ ألفاً مرتين يومياً إلى النيل ليملأوا أزيار المنازل وقرب السقائين المتجولين في الشوارع[2]..

وتعليقاً على ذلك نقول: إذا كان هذا العدد الضخم ـ في تلك الأزمنة ـ يقوم بخدمة القاهرة الفاطمية في التزود بالمياه فقط، فكيف كانت أعداد الجمال التي تقوم بالخدمة في النشاطات الأخرى؟ وإذا كان هذا العدد في القاهرة وحدها، فكيف كانت الأعداد التي تقوم بالخدمة على مستوى مصر كلها؟ ولا شك أن هذه الإشارات يمكن أن تفسر مغزى نصوص الأمثال من حيث علاقة الناس بالجمل وانعكاس ذلك على علاقاتهم في الحياة اليومية.

فإذا اجتزنا الزمن إلى بداية التاريخ الحديث فإننا نجد ـ على سبيل المثال ـ إشارات عديدة إلى هذا الحيوان.. ففي الجبرتي يأتي في مجال تعليقه على أحدهم لا يعنيه مما يدور شيء فيقول: «وليس ممن له في مصر ما يخاف عليه من مسكن أو أهل أو مال أو غير ذلك، بل كما قيل: «لا ناقتي فيها ولا جملي»[3]، وفي الجبرتي

(١) القول المقتضب فيما وافق لغة أهل مصر من لغات العرب، محمد بن أبي السرور الشافعي ١٠٨٧ هـ، طبعة مؤسسة التأليف، ص ٢٠ وما بعدها.

(٢) جريدة الأهرام ٦/٤/١٩٩٨.

(٣) الجبرتي ج٣/ ١٤٠، طبعة الأنوار المحمدية.

أيضاً إشارة تدل على دور الجمل في إنجاز العمل في عصر محمد علي فيقول: إن محمد علي عندما تولى مصر رغب في سكنى قصر في بركة الرطلي، وشرع في تعميره حتى إنه رتب لحرق الجير فقط اثني عشر قميناً تشتعل على الدوام، والجمال التي تنقل الحجر من الجبل ثلاثة قطارات كل قطار سبعون جملاً، وقس على ذلك بقية اللوازم[1]..

وفي نهاية القرن التاسع عشر نشير إلى ما كان يدور في الحياة البرلمانية المصرية، فقد كتب جمال بدوي مقالاً عن «تطور الحياة البرلمانية في مصر» نقلاً عن عبد الرحمن الرافعي يقول: «واستتبع بحث السخرة إثارة مسألة أخرى وهي وضع ضريبة على المواشي، وقد وافق المجلس على فرض الضريبة ومقدارها ٢٠ قرشاً في السنة على كل رأس من مواشي الزراعة كالأبقار والجاموس والثيران والخيول والبغال، أما الجمال ففرض على كل رأس منها ثلاثين قرشاً وعلى كل رأس من الحمير عشرة قروش واستثنيت من هذه الضريبة مواشي المدن والبنادر»[2].

ومن ناحية أخرى فإن من يتابع التاريخ سوف يلاحظ أن القبائل العربية قدمت إلى مصر وانتشرت مع بدء قدومها في صحراء مصر وانتقلت من حالة البداوة إلى مجتمع الزراعة، ويسجل كتاب «العربان ودورهم في المجتمع المصري» الدور الذي لعبه العربان في الحياة السياسية والاجتماعية في مصر، ويصنف البدو طبقاً لطبيعة الارتحال لديهم، فمنهم بدو الارتحال الكبير الذي يعتمد بصفة أساسية ومباشرة على الجمل، وكانت تلك القبائل تمد القوافل

(١) الجبرتي ٣٥٢، مصدر سابق.

(٢) جريدة الوفد ١٥/٥/١٩٩٧.

بالجمال التي تحتاج إليها لأغراض تجارية[1]. وقد استعان محمد علي بخيول وجمال العربان في حروبه أو بالاستيلاء عليها كنوع من العقوبة في حالة العصيان.. ويتم تكليف ناظر العربان بجمع الخيل والجمال اللازمة لمهمات الحكومة.. ولجأت الحكومة في بعض الأحيان إلى شراء الجمال والخيول من العربان وبخاصة في حالات استخدامها في الحروب الخارجية»[2]..

وقد يكون من المفيد واستكمالاً لهذا العرض التاريخي الموجز أن نشير إلى أن الجمل قد قام بدور عسكري واضح في أعقاب حرب ١٩٦٧ بين مصر وإسرائيل حيث تم تكوين منطقة سيناء العربية وتم إشراك الجمل في خدمة القوات المسلحة، فقد جاء في أهرام ٨/ ٥/ ١٩٩٨ ضمن مسلسل «الأشباح» يكتبه إبراهيم مسعود/ الحلقة الثانية وهو عن أبطال المقاومة ودور الجمل في ضرب مطار العريش حيث تم تدريب بعض الجمال على السباحة في القناة وهي تحمل ألف كيلو جرام ـ بواقع ٢٠٠ كجم حمولة كل جمل ـ من الصواريخ يقطع بها كل جمل مسافة كيلو ونصف كيلو سباحة في دقيقتين ويسير على اليابسة بسرعة ٤٠ كيلو متراً/ ساعة ولمسافة ١٦٠ كيلو متراً متواصلة، وكانت حمولة كل جمل ١٢ صاروخاً بقواعد إطلاقها، وتم نقل الصواريخ إلى أماكن انطلاقها، وعادت الجمال إلى قواعدها على الضفة الغربية للقناة.

وأخيراً وفي أهرام ٧/ ١٠/ ١٩٩٧ كتب أحمد الطبراني يقول: «ولقد حير العدو ذلك البدوي الذي يبلغ من الدهاء والمكر أنه كان

---

(١) انظر «العربان ودورهم في المجتمع المصري في النصف الأول من القرن التاسع عشر»، د. إيمان محمد عبد المنعم، سلسلة تاريخ المصريين رقم ٩٧ ص ٣٤ وما بعدها.

(٢) المصدر السابق ص ١٨٤ وما بعدها.

يرسل إشاراته وهو بجوار مطار العريش الحربي وقد أخفى الجهاز في سرج جمله»، وكان ذلك في حرب أكتوبر ١٩٧٣ بين مصر وإسرائيل . .

أمثال الجمل في الريف

لقد شغل هذا الحيوان فكر الناس وخاصة على المستوى الشعبي، حيث يجري التفاعل اليومي، وهو تفاعل يضرب في أعماق التاريخ، ويتواصل حتى هذه الأيام، فقد وجدنا أمثالاً في مجمع الأمثال للميداني من القرن الخامس الهجري، وهي حصيلة أمثال القرون السابقة كما جاء في المقدمة، هذه الأمثال التي تعود إلى القرون الأولى للإسلام ما زالت تؤدي دوراً بين الناس، ذلك أن دور الجمل في عمليات النقل بين البلاد لم يتوقف إلا في النصف الثاني من القرن العشرين. وهناك أمثال ارتبطت بوظيفة الجمل التي قضت عليها وسائل المواصلات الحديثة، وما زالت تشيع على المستوى الصحفي، وأيضاً على كافة المستويات الثقافية، وسوف نفرد فصلاً للحديث عن أمثال الجمل على المستوى الصحفي، وهذا المستوى هو همزة الوصل بين المثقفين والرأي العام..

ولا شك أن انتشار الأمثال على المستوى الصحفي والميداني يؤكد أن العلاقة بين الناس والجمل ما زالت قائمة وخاصة على المستوى الثقافي.. وعندما دعي كاتب هذه السطور للاشتراك في مؤتمر الهجن الذي عقد في العريش في ٢١/١١/١٩٩٦ «.... سمعت عدة أمثال عن الجمل من أحد أصدقائي من أبناء العريش، وبعد فترة سجلت في البرنامج الثقافي بالإذاعة المصرية موضوعاً عن الجمل في الأمثال الشعبية في ١٩/١٢/١٩٩٧، وبعد إذاعة التسجيل بعدة أيام دعيت إلى حفل زواج، وتعرفت على أحد الحاضرين وأخبرني أنه استمع إلى البرنامج وأبدى إعجابه بالموضوع، وأخذ يفسر لي المثل الذي يقول: «الصبر جميل» قائلاً: إن كلمة جميل من الجمل، والصبر صفة رئيسية من صفات

الجمل، بل هي أبرز صفاته، ومن ثم فهي النموذج الذي يجب أن يحتذى به، واللافت للنظر أن هذا الشخص من ساكني القاهرة ويشغل وظيفة ليست لها علاقة بالريف، وفضلاً عن ذلك فهو من أبناء القاهرة وليس له علاقة بالريف أو بأماكن تواجد الجمل..».

معنى ذلك أن هذا الحيوان الذي تقلص دوره ضمن إيقاع الحياة المعاصرة قد خلف لنا تراثاً ثقافياً نتعامل به ضمن إيقاع الحياة المتغيرة دوماً، ولعل من أبرز هذه الآثار تلك المفردة التي تتردد يومياً وعلى كافة المستويات، وتؤثر في إيقاع الحياة الحاضرة، فمن منا لم يركب القطار؟ تلك الآلة التي تحمل الراكب من الإسكندرية إلى أسوان، كما تربط بين كل مدن وقرى مصر شمالاً وجنوباً.. إن كلمة «قطار» هذه التي أطلقت على الآلة التي تجر وراءها مجموعة من العربات[1].. حاملة المئات بل الآلاف من الركاب.. هذه الكلمة هي كلمة عربية ارتبطت بقطار الجمال حيث كانت تسير وراء بعضها بأعداد كبيرة، وكلمة قطار استطاعت أن تفرض نفسها على تلك الآلة الحديثة التي اخترعها الغرب Train، وبذلك حجبت المصطلح الأجنبي عن غزو اللغة العربية..

والمعروف أن الحركة الغالبة في استخدام الجمل تتمثل في الاستخدام الجماعي رغم الملكية الفردية بمعنى أن قافلة الجمال التي كانت تدخل إلى المحلج وهي تحمل أكياس القطن كانت هذه القافلة تتكون من «قطار الجمال» وكل جمّال مع جمله، ولكن الجميع يسير في قافلة طويلة، وفي هذا المجال يعلق بوركهارت على المثل الذي يقول: «وصل القطار للجميزة» فيقول: قطار: خط

(١) ظهر القطار لأول مرة في العالم في انجلترا ١٨٢٥م وتم إنشاء أول خط حديدي بين القاهرة والإسكندرية في ١٨٥٦/٩/٢٣ وهو ثاني خط على مستوى العالم.

من الجمال يسير الواحد وراء الآخر كل منها مربوط من الرسن في ذيل الذي يتقدمه مباشرة، ويوجد شجر الجميز الضخم في المناطق المكشوفة في مصر على جانب السبيل العام، وتحت ظلالها يستريح الرحالة والقطيع غالباً[١].

ومع أن هذه الصورة التي رأيتها في طفولتي المبكرة في أربعينيات القرن العشرين وعلق عليها بوركهارت لم يعد لها وجود في الظروف الحاضرة حيث انحسر دور الجمل في الريف تماماً[٢] إلا أن هناك ـ كما أعتقد ـ استخدامات متجددة وأنه يمكن استغلال هذا الحيوان وتطوير الإفادة منه تبعاً للظروف وقد أشرنا إلى ذلك في غير هذا المكان..

* * *

لقد رصدت الأمثال الشعبية قدراً كبيراً من العلاقة بين الفلاح والجمل ذلك أن الجمل يشترك في الإنتاج الزراعي وهو أقدر على الحمل والنقل من مكان إلى آخر ومن بلد إلى آخر، ويكاد يقتصر دوره في الحياة الريفية على الحمل والنقل، ويقل دوره بل يكاد ينعدم في العمليات الفنية الزراعية كالحرث والسقي وتسوية الأرض والبذر.

ومن خلال نصوص الأمثال نحاول في هذه السطور أن نتعرف على طبيعة الدور الذي يؤديه الجمل، وعلاقة الناس بهذا الحيوان

(١) العادات والتقاليد المصرية، جون لويس بوركهارت، ترجمة كاتب هذه السطور، طبعة هيئة الكتاب ١٩٨٩.

(٢) خلال زياراتي الشهرية لبلدتي، زفتى، سألت عمن يملك جملاً فأخبرني أخي الذي يقيم هناك أن هذا الحيوان لم يعد له وجود، وقال لي: إنه سمع أن هناك فلاناً في قرية بعيدة عن المدينة يقتني هذا الحيوان.

وانعكاس ذلك على نظرتهم للحيوان من ناحية، وعلى علاقتهم مع بعضهم من ناحية أخرى.. وقبل الحديث عن الجمل من المفيد أن نتحدث عن الشخص الذي يستخدم هذا الحيوان وهو شخص يتميز بمواصفات خاصة وسلوكيات خاصة يستطيع من خلالها أن يقود هذا الحيوان ويسيطر عليه ضمن منظومة الإنتاج الريفي. وهذا الشخص يطلق عليه الجمّال، أي سائق الجمل، والذي يرعى شؤونه، وهو مصطلح مستمدّ من اسم الجمل..

الجمّال

إن أول ما يمكن ملاحظته هو أن الجمل كان يمثل رأسمال بمعنى أن دوره لا يقف عند الخدمة الخاصة لصاحبه، ولكنه في كثير من الأحيان كان يقوم بنقل البضائع في مقابل أجر، فقد كان يقوم بدور عربات النقل في العصر الحديث. وقد رصد المثل هذه الحقيقة فيقول: «**اللي يبيع الجمل ما يدورش على إيراده**» بمعنى أن الجمل كان مورداً للرزق أي رأسمال بلغة الاقتصاد، والإيراد هنا يعني ما كان يدره من عائد مقابل خدمات نقل البضاعة، وإذا كان الجمل يمثل مصدراً للرزق ورأسمال فقد تبع ذلك أن يكون هناك شخص يدير هذا المورد، وهو شخص يتمتع بمواصفات خاصة ونطلق عليه الجمال ـ بشدَّة على الميم ـ.

والجمّال يختلف في أسلوبه ومواصفاته عن الفلاح. وإذا كان الفلاح يتعامل مع الحيوانات الزراعية بطريقة معينة فإن الجمّال يختلف في طريقته مع الجمل، ذلك أن هذا الحيوان يحتاج إلى شخص يفهم سلوكه ويتدرب على كيفية استغلاله والتعامل معه، وعلى هذا وجدنا الأمثال التي تشرك الجمل مع الجمّال أو تتحدث عن الجمل والجمّال في آن واحد، وهذا الشخص يجيد إناخة

الجمل، ويجيد تحميل البضاعة، ويجيد ربطها جيداً بما يراعي طبيعة حركة الجمل وأسلوب سيره الاهتزازي، ذلك أن الجمّال بعد أن يوثق الحمل على ظهر الجمل بالطريقة المناسبة فإنه يعطيه الإشارة التي يدركها الجمل، والذي يسرع بالوقوف مع ثبات الحمل على ظهره وأجنابه، كما أن الجمّال يعرف بالتجربة الأسلوب الأمثل والمناسب لوضع الحمولة على ظهر الجمل أو أجنابه، فعملية تحميل القش والحطب تختلف عن عملية تحميل أكياس القطن وتختلف عن عملية تحميل البرسيم وهكذا . . . وهذه عملية فنية لا يدركها إلا الجمّال.

ومن ناحية أخرى، ومن خلال مجموعة الأمثال المتوفرة لدينا نستطيع أن نكتشف الأسلوب الأمثل للتعامل مع هذا الحيوان، وهذه الأمثال عبارة عن تجارب قائمة على الممارسة والتجربة وتكثفت في جمل تحمل خبرات ذات فائدة كبيرة، فهذه الأمثال ترصد مفردات التعامل الأمثل، وتحمل في ثناياها التحذيرات من المفاجآت والنصائح المجربة.

ولو فرضنا ـ نظرياً ـ أن الجمّال قصر في استيعابها فربما تحدث مضاعفات ومشكلات من جانب هذا الحيوان، ومعنى ذلك أن هذا الحيوان يجب ـ كما تسجل الأمثال ـ استغلاله في الوقت المناسب والمكان المناسب وهو من صميم عمل الجمّال.

فالجمّال يتعامل مع حيوان له طباع خاصة، وعليه أن يكون على معرفة تامة بهذه الطباع، ويستطيع من خلال الوعي بسلوك هذا الحيوان أن يسيطر عليه، ونعرض هنا مشهداً يشير إلى هذه الحقيقة . .

في أعقاب حرب ١٩٦٧ تم تكوين منظمة سيناء العربية

للمقاومة المسلحة، ويقول إبراهيم مسعود في مسلسل «الأشباح» في أهرام ٨/ ٥/ ١٩٩٨ عندما صممنا على ضرب مطار العريش وكانت العملية تتطلب استخدام صواريخ لضرب المطار، ولا بد من نقل تلك الصواريخ عبر القناة، وتسلّق الساتر الترابي بها، ثم اختراق دوريات حراسة العدو، والتجول بها بين خطوطه وجنوده إلى أن يصلوا بها إلى قرب مطار العريش..

واستدعى القائد «مدحت» رجلين من رجاله من البدو، أحدهما عبد الكريم، والثاني يدعى مبروك، ويحكي عبد الحكيم «لقيته بيقوللي.. قوللي يا عبد الكريم هي الجمال بتعوم في الميه؟ أنا في الحقيقة استغربت السؤال.. قلت له: هي الجمال ما بتحبش الميه بتخاف منها. يعني ما بتعومش.. فرد لي قل لي: طب إذا أجبرناها تنزل الميه... تعوم؟ وقلت له: الجمل إذا نزل الميه ومالقاش تحت رجليه أرض هيحركهم بسرعة وهيعوم. قال لي: يعني الجمل ممكن يعوم لو أجبرناه على نزول الميه؟ قلت له: أيوه. «وتم تدريب الجمل»، ولأن رأس الجمل طويل وله وزن فكان يميل إلى الأمام فيقوم أحد الرجال بمسك ذيل الجمل من الخلف ويشده لأسفل فيتوازن الجمل وهو يسبح، وبعد أن تكررت تلك العملية حوالي خمس مرات يصبح الجمل عندما يسحب إلى حافة البحيرة يهبط إليها دون خوف أو مشاكل ويسبح».. وسار عبد الكريم ومبروك بجمليهما حاملين الصواريخ بقواعد إطلاقها مخفية داخل أجولة تشبه التي يستخدمها البدو في نقل حمولتهم داخل الأراضي المحتلة وسارا في طرق يعرفانها بعيداً عن أعين العدو إلى أن وصلا إلى أنسب مكان لزرع الصواريخ، وقاما بنصبها في مكانها ثم هربا..

وتعليقي على هذا أن الجمَّال هو صاحب الاختصاص، ويدرك

أبعاد الجمل، ويستوعب سلوكه الإيجابي والسلبي، ويعرف إمكاناته، ومن ثم يستطيع أن يتعامل معه ويخضعه لإرادته، وكما أشرنا فإن سياقة الجمل حرفة مظهرها بدائي ـ جَمَّال يسحب الجمل، ولكنها تعتمد على خبرات، ولذلك وجدنا أن الأمثال الخاصة بالجمَّال تتجه في أغلبها إلى تقديم النصائح والإرشادات المستمدة من التجربة والممارسة. ويمكننا أن نرصد أن الأمثال الخاصة بالجَمَّال تسير في ثلاثة خطوط واضحة، وهي خطوط تصب في اتجاه تقديم الخبرة، أو نقد السلوك، أو ترصد الارتباط الوثيق بين الجمل والجمّال، أو النقد والسخرية..

وبخصوص النصائح: توجد مجموعة من الأمثال التي تقدم هذه النصائح من خلال النصيحة المباشرة، وهذه تعتمد على رؤية طبيعة هذا الحيوان، وتقدم الأسلوب الأمثل للتعامل معه، فيقول المثل: «المستعجل ما يشوفش جمّال». وأول ما يمكن ملاحظته أن الجمل حيوان بطيء المشي، ذلك أنه يتحرك على قوائم طويلة تنتهي بأخفاف عريضة نسبياً، ولذلك فإنها تبطىء من حركته، وهو ما يتعارض مع أسلوب العجلة والتوترات التي تصاحبها، ولذلك يقدم المثل النصيحة المثلى للتعامل مع هذا الحيوان وهي الهدوء وحسن تقدير مسافة الوصول بناء على إمكانات الجمل...

ولدينا مثل آخر يتعلق بأسلوب التحميل فيقول: «**إذا انكسر الجمل حمل حمل حمار**» بمعنى التخفيف على الحيوان حسب ظروفه الصحية..

ومن ناحية أخرى نحن نعرف أن الجمل قامته طويلة وارتفاعه يصل إلى ٢,٣٠ متر، ولذلك وجدنا نصيحة أخرى تقول لصاحب الجمل: «**اللي عنده جمل يعلي باب داره**» أو الصياغة الأخرى: «**اللي يعمل جمّال يعلي باب داره**»..

ومن الظواهر الواضحة أن هناك آفة الجرب التي تصيب الجمل، ولذلك وجدنا المثل الذي يقدم النصيحة لذلك الشخص الغشيم فيقول له: «**دهان على وبر ما ينفع الجمل الجربان**» بمعنى أن الجرب الذي يصيب الجمل لا يمكن معالجته إلا بعد قص المكان المصاب بالجرب حتى ينفذ الدهان ولا يعوقه الوبر إذا لم يقص. وهناك ظاهرة أخرى يرصدها المثل فيقول: «**قص حمارك يكبر وقص جملك يصغر**»..

ومن جهة أخرى فقد أشرنا إلى أن الجمل مورد رزق ورأسمال، وعلى صاحب الجمل أو الجَمَّال أن يضع في اعتباره أن هذا المورد سوف ينتهي فيقول المثل: «**اللي يبيع الجمل ما يدورش على إيراده**» بمعنى أن يفكر ملياً ويراجع نفسه قبل أن يفكر في البيع. ويحذر مثل آخر من المشاركة في ملكية الجمل، ذلك أنها تولد المشكلات فيقول المثل: «**قطة ملك ولا جمل شرك**».

ولا شك أن هذه النصوص المتعلقة بالنصائح هي ضرب من التوعية التي يقولها الغير، أو يقولها الجمال لنفسه على سبيل التذكير، أو على سبيل التبرير كما في المثل السابق..

أما اللون الآخر فهو ضرب من **السخرية والنقد**: وتوجد مجموعة من الأمثال تتحدث عن السلوك غير المرغوب، فيقول المثل: «**أبو جمل بيحسد أبو معزة**»، وهو شخص ليس لديه مبرر للحسد مثل الفقير الذي يحسد الغني أو سيىء الحظ الذي يحسد المحظوظ، ولكنه حسد من اللون السوداوي، أو ضرب من المرض النفسي الذي يثير النقد المرير. وهناك مثل آخر يعكس لوناً من ألوان استنكار التصاعد الطبقي أو تحقير الطموح إلى الصعود الطبقي، فيقول المثل على سبيل الاستنكار أو الدهشة الممزوجة

بالسخرية: «**حاشر جماله مع جمال الطز**» والطز طبقة الأتراك الذين كانوا في مصر وتقلص وجودها مع نهاية الحرب العالمية الأولى..

أما هذا الشخص العدواني الذي لا يقدر على الجمل فإنه يصب ظلمه على الجانب الأضعف وهو الجمّال، فيقول المثل على سبيل النقد: «**ما قدرش على الجمل اتشطر على الجمّال**» وكلمة اتشطر تعني النزعة العدوانية غير المبررة.

ومن ناحية أخرى فالمعروف أن الجمل من الحيوانات التي تسحب ولا تساق مثل الحمار، ولذلك وجدنا المثل الذي يسخر من انقلاب الأحوال حتى وجدنا «**الجمل قدام الجمّال**» وفي صياغة أخرى «**هانحط الجمل قدام الجمّال**» ويلاحظ أنه مثل في صياغة الاستفهام التعجبي أو الإنكاري.. أما المثل الذي يقول: «**زي البدوي يقول: وشك والبل ضهرك والبل**» فيقال على سبيل السخرية من الذي يتفاخر بالقليل الذي لديه ويكرر ذكره بمناسبة دون مناسبة..

ويلاحظ أن أساليب السخرية هذه تهدف إلى عرك الأذن أو ربما تهدف إلى أن يراجع هؤلاء ـ محل السخرية ـ سلوكاتهم ويتخلصوا من معاملاتهم محل الاستهجان والاستنكار..

وهناك مجموعة من الأمثال التي يقولها الغير رصداً لأحوال الجمل والجمّال، وذلك على سبيل التعبير عن رأي نقدي أو تعليق على سلوك، فيقول المثل: «**الجمل في شيء والجمّال في شيء**» بمعنى أن الجمل يئن ويعاني من الحمل، أما الجمّال فهو يعاني بطريقة أخرى، ويفكر بضيق في طول المسافة ومشاق الرحلة وخطورة مفاجآت الطريق، من لصوص أو حيوانات برية أو صعوبات صحية قد تصيبه، أو تصيب الجمل قبل الوصول إلى الهدف..

وفي تعليق مثلي آخر يقول المثل: «**آدي الجمل وآدي الجمّال**» رداً على ادعاءات غير صحيحة. وفي صياغة أخرى: «**آدي الجمل وآدي الجمّال وآدي صاحب الجمل**» وهو ما يشير إلى قضيتين سبقت الإشارة إليهما، وهما أن الجمل عبارة عن مورد رزق ورأسمال، وأن الجمّال رجل حرفي قد يكون مؤجراً لمتابعة الجمل والعناية به من طرف صاحب الجمل، وما يؤكد ذلك المثل الذي يقول على لسان صاحب الجمل مخاطباً الجمّال: «**سير يا جمّال وحاديها إلا جري الصبا راح فيها**» وكلمة «إلا» هنا بمعنى: لأن، أي: أحِطها أيها الجمال بعنايتك ورعايتك في سيرها لأن هذه الجمال جاءت نتيجة تعب الصبا، فإذا فقدت فإنها لا تعوَّض. وهو ما يعبر عن صاحب رأس المال وقلقه.. ويؤكد ذلك أيضاً المثل الذي يقول: «**إما بالجمل أو بالجمّال أو بصاحب الجمل**» وهو ما يعني أن الجمّال قد لا يكون بالضرورة صاحب الجمل. ولكنه مؤجر لاستثمار رأس المال وهو الجمل: ويؤكد ذلك أيضاً المثل الذي يقول: «**كل الجمال بتعارك إلا جملنا بارك**» وهو ما يعبر عن قلق صاحب رأس المال على جمله المريض والذي لا يقوى على الإنتاج، والعراك هنا هو عراك الحياة..

ومما لا شك فيه أن الأمثال قد ربطت بين الجمل والجمَّال، ذلك أنهما عنصران متكاملان، فلا يمكن استثمار هذا الحيوان إلا بالجمّال ولا يعيش الجمّال إلا من عائد الجمل، ولذلك يقول المثل: «**لا حد شاف الجمل ولا الجمّال**» أو يقول في صياغة أخرى بأسلوب استفهامي: «**ما شفتش الجمل؟ قال: ولا الجمّال**» وهو ما يعني الارتباط الوثيق بينهما..

والواضح بعد ذلك أن الأمثال لا تذكر الجمّال إلا ومعه الجمل، وهو ما يعني أن هذه الوظيفة مرتبطة أشد الارتباط بهذا

الحيوان، وإذا تحدثت الأمثال أو ذكر الجمّال فإنها بالضرورة تشير إلى طبيعة عمل الجمّال كما أشرنا في العناصر السابقة، بينما قد تذكر الجمل بمفرده دون الإشارة إلى الجمال، وذلك لارتباطه وظيفياً بتفاصيل الحياة اليومية ذات العلاقة المباشرة بهذا الحيوان..

الجمل

أشرنا إلى أن هذا الحيوان صحراوي في الأساس، وأن الحياة الريفية في مصر هي في الواقع امتداد للحياة الصحراوية، أو أن الريف هو منطقة احتكاك بين الاستقرار الريفي وطبيعة الحياة الزراعية والتنقل الصحراوي المستمر وراء الكلأ وتحت رحمة زخّات المطر غير المعروفة مكاناً أو زماناً، ولذلك فإن هذا الحيوان الصحراوي - الجمل - عندما دخل إلى الريف لم تتغير وظيفته الأصلية وهي الحمل والنقل، وأن هذا الحيوان بمواصفاته الجسمانية لا يصلح للجر أو في الأعمال الزراعية، وقد تمت محاولة تطويع هذا الحيوان للأعمال الزراعية، ولكن كانت النتيجة سلبية، ولذلك جاءت الأمثال لتؤكد هذه الحقيقة فيقول المثل: «**زي الجمل اللي يحرته يبططه**» بمعنى أن الجمل لا يصلح لجر المحراث، ومن ثم فإن التجربة أكدت فشله في عملية الحرث..

بل إن هناك بعض المحاصيل الزراعية التي لا يصلح الجمل في حملها ونقلها من مكان إلى آخر، فيقول المثل: «**ياما الجمل كسر بطيخ وياما البطيخ كسر جمال**»، وهذا المثل يشير إلى محاولات تطويع هذا الحيوان لكي يؤدي دوراً في الخدمة الريفية، ولا يمكن تفسير هذا المثل إلا على ضوء التركيبة الجسمانية للجمل وحركته التي تُنَاسب تركيبته هذه...

والمعروف أن حمولة الجمل تزيد على ثلاثة أضعاف حمولة

الحيوانات الأخرى كالحمار مثلاً رغم أن الجمل لا تزيد تكلفته المادية على غيره من الحيوانات، ولذلك اعتبر الجمل من الحيوانات الأكثر إنتاجية، وهو ما شجع الفلاحين على تحقيق أقصى إفادة حتى ولو كانت تحمل بعض التكلفة فماذا يعني المثل السابق، وماذا يعني «البطيخ الذي كسر الجمال»؟ وماذا يعني «الجمل الذي كسر البطيخ»؟ وماذا يعني أخيراً الربط بين البطيخ والجمال؟ . .

إن هذه المحاور الثلاثة تشير إلى مشكل كبير كان يتولد عن نقل البطيخ على ظهور الجمال، فالمعروف أن حركة الجمل وطريقة تبادل أرجله الطويلة عند السير تؤدي إلى حركة اهتزازية في الأحمال على ظهره وهي حركة اهتزازية رتيبة ومتواصلة على طول الطريق من مكان الحمل إلى مكان التفريغ الذي قد يكون على بعد مسافات تبلغ عدة كيلومترات، ولما كانت ثمار البطيخ هشة فإنها لا تتحمل هذا الاهتزاز المتكرر ومن ثم فإن بعضها يتعرض للكسر . . وبهذه المناسبة فقد كانت تصنع لهذا الغرض ما يسمى بين الفلاحين بالجنّابيّات بشدة مفتوحة على النون والياء[1].

وهذه الحركة الاهتزازية المتواصلة كانت تتسبب في كسر الكثير من ثمرات البطيخ. ومن ناحية أخرى فإن الجمل كوسيلة رخيصة للنقل قد دفع الناس إلى القسوة في استخدام هذا الحيوان، ومن ثم فقد هلك الكثير من الجمال مع قسوة النقل ومشاق الرحلة . . .

---

(١) الجنابية: عبارة عن شبكة مجدولة من الفل ـ بفتح الفاء ـ وهو الليف ـ القوي المجدول وتعلق كل جنابية على جانب من الجمل في شعبة ـ بكسر الشين ـ وهي عصا غليظة ممدودة على عدة الجمل ومربوطة بإحكام على جانبي العدة ـ بكسر العين، وكل جنابية تتصل بالأخرى على الجانب الآخر بأحبال قوية بحيث تكون الحركة الاهتزازية للجمل مناسبة لحركة الجنابيتين المستندتين على جانبي الجمل.

وامتداداً لهذه القسوة يكشف المثل الآتي عن صورة أخرى من صور سوء الاستخدام لهذا الحيوان.. فيقول المثل: «**جمل بارك من عياه، قال: حملوه يقوم**»[١]، وتعبير «حملوه يقوم» يحتاج إلى تفسير يعتمد على التجربة والمشاهدة، والمعروف أن الجمل من طبيعته عندما يحس بقرب انتهاء التحميل وهو بارك فإنه يصدر صوتاً ويرفع قائمتيه الخلفيتين ثم الأماميتين ويسرع بالوقوف..

وفي مثل آخر يقولون: «**اللي يعمل جمل ما يبعبعش من العمل**»[٢] بمعنى أن الجمل يخصص في الريف للأشغال الشاقة وهذه حقائق مستقرة أفرزتها الأمثال.

ومن ناحية أخرى فإن هذه الأمثال لا تظهر إلا في البيئات الريفية ولا يعرفها أبناء المدن، بل إنها تمثل بالنسبة لهم مجموعة من الألغاز، كما أن هذا الرصد المثلي لا يمكن أن يردده إلا جمّال أو فلاح يزرع البطيخ ويرصد هذه الظاهرة بسلبياتها، وامتداداً لهذه التجارب اليومية يقول المثل: «**الجمل ما يعيقوش جله**»[٣] ويعني المثل أن وضع الحمل على ظهر الجمل لا يعوقه عن الحركة أو

(١) العيا: في اللغة الشعبية يعني المرض وأصلها عربي من الإعياء وعدم القدرة.

(٢) بعبع: تعبير عن التعب والشكوى، والجمل عند الإحساس بالتعب يصدر صوتاً. وقد جاء في كتاب هز القحوف في شرح قصيدة أبي شادوف، يوسف الشربيني من القرن ١٧ م ص١٠٩ قوله: إن الأم إذا أرادت أن تسكت ابنها عن الصياح تقول له اسكت لا يأكلك البعبع برفع الموحدتين والبعبع مشتق من البعبعة وهي صوت الجمل. وفي الوسيط: بعبع الماء: صوّت حين يخرج من إنائه متتابعاً، وبعبع الرجل: تابع كلامه في عجلة.

(٣) يعيق محرف يعوق أو يمنع أو يعاكس والجل بكسر الجيم هو غطاء من الخيش السميك يضعه الفلاح على ظهر الجمل للتدفئة أو حمايته من الحشرات أو من أشعة الشمس وينسدل هذا الغطاء على جسم الجمل من الجانبين وهذا الجل مثقوب من أعلاه بما يسمح للصنم لكي يكون مكشوفاً.

حمل الأثقال أو الانتفاع به. وكاتب هذه السطور يعتقد أن الجل غطاء صنعه الفلاح لحماية جسم الجمل في الظروف الريفية غير الصحراوية.. فهو غطاء ريفي وليس صحراوياً.

ويقول مثل آخر: «دهان على وبر ما ينفع الجربان» والجربان محرف الأجرب ويقول مثل ثالث «لولا الجرب لضرب بالقلة» بضمة على القاف في كلمة «القلة» فهذان المثلان السابقان يرصدان مشكلة تواجه الذين يقتنون الجمال.. فالجمال في بعض الأحيان وفي ظروف خاصة أو بسبب تقلبات الجو غير المناسبة تتعرض لآفة تصيب جلدها وتسمى «الجرب» أو «القراد» بضم القاف، والعادة أن الفلاح بعد أن يقص الجمل يقوم بتغطية جسمه بمادة دهنية قاتلة للحشرات وتسمى هذه المادة «كبريت الجمال»[1] وهذه المادة يقوم الفلاح بتحضيرها يدوياً.. واستكمالاً لهذه الأمثال يقول مثل آخر: «يغور ألف عود اللي ييجي من ناقة جربة» أي مصابة بالجرب مما قد ينتقل إلى وليدها.. وامتداداً لملاحظات الفلاح أو الجمّال اليومية بخصوص الآفات التي تصيب الجمل يقول أحد العلماء: «إن مشكلة الإبل الرئيسية هي الإصابة بشدة القمل ويؤدي الرش بالمبيدات إلى قتل القمل والحد من انتشاره كما تصاب الإبل بالقراد»[2].

وفي هذا الاتجاه ـ اتجاه رصد أحوال الجمل اليومية ـ يقول

---

(١) كبريت الجمال: دهان له رائحة نفاذة يحضر يدوياً من بعض الزيوت والكبريتات ويستخدم كعلاج للجرب أو القراد الذي كان يصيب الأطفال في الريف وكان ذلك منذ خمسين عاماً، ولا أدري هل ما يزال يستعمل حتى الآن أم لا؟

(٢) الانتاج الحيواني، د. كامل عبد العليم ص ١٨٧، مكتبة دار المعارف الحديثة طبعة أولى ١٩٩١م وقد أفرد المؤلف الباب الثامن للحديث عن الجمال من ص ١٧٤ ـ ١٨٧، ويقدم هذا الباب معلومات عامة وسريعة عن الجمل.

المثل: «**الجمل ضرب بالقلة**» بضم القاف وشدّة مفتوحة على اللام. وهذا المثل يرصد ظاهرة تحدث عند مرحلة البلوغ حيث يظهر على الجمل بعض الهياج، وفي كثير من الأحيان ينفخ الهواء بلسانه الذي يتحول إلى بالونة ربما في حجم الرأس وهذه البالونة تخرج من جانب الفم فيحدث اللسان صوتاً أشبه بلفلفة مع تساقط رغوة - فقاعات هوائية حول اللسان وعلى جوانب الفم - وهو ما يعني أن الجمل قد وصل إلى مرحلة البلوغ ويجب الاحتياط والحذر عند التعامل معه. كما أنه في حالة نشاط جنسي أو بمعنى آخر فوران جنسي يتبعه هياج، وفي هذه الحالة يصعب ترويضه أو السيطرة عليه، ويحتاج من الجمّال أو الفلاح إلى حكمة وحذر عند التعامل معه.. ويأتي المثل الآخر الذي يقول: «**الجمل لما يبعبع بيعض**»[1] وفي هذه الحالة يلجأ الجمّال أو صاحب الجمل إلى «خزم»[2] - بفتح الخاء وسكون الزاي - الجمل بمعنى يثقب شفة الجمل ويسحبه منها بحبل، وزيادة في الاحتياط يضع الجمّال كمامة على فمه لكي يحكم السيطرة على طاقته ويبعد قسوته وتهوره عن الآخرين[3] ولذلك وجدنا مثلاً يتحدث عن الخزم فيقول: «**زي الجمل اللي اتخزم**» أي فقد انطلاقه، أو تقيدت حركته..

وفي هذا المجال فقد لاحظ - كاتب هذه السطور - ظاهرة الهياج لدى الجمل وشاهده عن قرب، فقد رأى جملاً انقض بأسنانه على رجل استثاره، وأخذ ملابسه بين أسنانه، وواصل ضربه

(١) كلمة بعبع في المثل تعني الضجر وشدة التوتر والهياج فيصدر صوتاً بلفلفة.

(٢) والخزم بمعنى القيد تعني تقييد حركة الجمل وإحكام السيطرة على توتره وهياجه..

(٣) انظر المستطرف في كل فن مستظرف، الأبشيهي جـ ٢/٩٧ نشر مكتبة الجمهورية ١٣٨٥هـ.

بالأرض يميناً ويساراً، وعندما أسرع الناس لتخليص الرجل من بين أسنانه بطرقهم الخاصة في مثل هذه الظروف لم يعبأ الجمل بما حوله وظل يضرب الرجل يميناً ويساراً، وعندما تركه بين الحياة والموت تحول بهياجه إلى الناس الذين من حوله يحاولون تخليص الرجل، وجرى وراءهم وهم يفرّون في كل اتجاه، وهذه الملاحظة الشخصية يمكن أن تفسر الدلالة المثلية السابقة ويمكن أن تفسر الملاحظة المثلية القديمة: «**أحقد من جمل**»[1].

أما الملاحظة الأخرى لكاتب هذه السطور فهي أن الجمل لا يلجأ إلى العض أو التوتر عند مرحلة البلوغ فحسب، ولكنه يمكن أن يلجأ إلى هذا الهياج ثم الإيذاء عند الإحساس بالغربة، وتظهر هذه الحالة عند بعض الجمال... وهذه الظاهرة لا يمكن اكتشافها إلا بعد إتمام الشراء ثم يكتشف المشتري أنه قد وقع في خطورة، وعند ذلك إما أن يسرع بالتخلص من الجمل بالبيع لأنه سوف يكون مصدراً للإيذاء لكل من يقترب منه، وقد تستمر هذه الحالة، وقد يستطيع المشتري أن يهدىء من روع الجمل ويسوسه، وعندما يحس بالخوف فإنه قد يصرخ.. وعلى الجمّال أن يهدىء من خوفه بأن يربِّت على رقبته بين الحين والآخر، ويعيده إلى هدوئه..

---

(١) الدرة الفاخرة في الأمثال السائرة، حمزة الأصفهاني ٣٥١هـ، تحقيق عبد الحميد قطامش جـ١/ ١٣٤ طبعة دار المعارف.

أمثال الجمل والعلاقات بين الناس

الواضح أن نصوص الأمثال الشعبية مشحونة بالدلالات والإشارات التي تكشف عن ظروف المجتمع وأسلوب التعاملات بين الناس سلباً وإيجاباً، بمعنى أن هذا الحيوان بتركيبته الجسمانية وطباعه قد انعكست على علاقات الناس، وأن نصوص الأمثال تلقي ضوءاً واضحاً على طبيعة تركيبة المجتمع المصري على كافة أوجه النشاط وكافة المستويات.

فقد وجدنا الأمثال تدخل في المناسبات الشعبية باعتبارها إحدى أهم مصادر الثقافة الشعبية، ومن ثم وجدنا أمثال الجمل التي رصدت سلوك الناس حتى عند مواجهتهم لأحزانهم.. ففي «العديد» ـ وكان هذا اللون من الغناء الشعبي منتشراً في مصر عند الأوساط الشعبية ـ نجد أهل الميت وخاصة الزوجة التي تصرخ عند تشييع جنازة بعلها إلى مثواه الأخير تصرخ وتولول وهي تقول: «**آه يا جملي**» ودلالة هذا التعبير واضحة، وهي أن الزوج كان بالنسبة لها كالجمل الذي يحمل الأعباء والأثقال في صبر وهدوء ورضا، وهو تعبير يعني في المفهوم الشعبي أنها خسرت السند، وأن عليها أن تواجه أعباء حياتها بعد أن فقدت جملها..

أما على المستوى الطفولي فقد يذكر كاتب هذه السطور تلك اللعبة التي كان يمارسها في طفولته مع أقرانه، وتسمى لعبة «جمال الملح» وهي تتكون من ثلاثة أطفال أحدهم وهو الأقوى والأكبر يسجد على الأرض مرتكزاً على كفيه، والطفلان الآخران يضع كل منهما رجليه على ظهر الأول وهما في وضع متقابل على جانبي الطفل الأول مع تشابك أيديهما، بينما كل منهما يتدلى بجسمه على

جانب الطفل الأول، وعلى هذا الطفل أن يمشي ساجداً بحمولته من الطفلين الآخرين ويتمايل بهما كالجمل الذي يحمل زكائب الملح ونطلق على هذه اللعبة «جمال الملح» وهذه اللعبة هي جزء من مسامراتنا الطفولية ليلاً أمام بيوتنا . .

وفي مقابل هاتين الصورتين السابقتين نعرض صورة أخرى تعكس ضرباً من التضاغط الاجتماعي أو الصراع الثقافي على مستوى القمة الثقافية، فقد جاء في كتاب تهذيب الألفاظ العامية قوله: «ولقلة الفصحى وعدم شيوعها في القطر المصري نرى أصحابها مضطهدين في لغتهم من العامة، مرذولين بينهم، تضرب بهم الأمثال في التقعر، وللعامة فيهم أمثال تمثل بلاهتهم، ومن ذلك قصة الفقيه والحراث التي يلمزون بها الفقهاء الذين ينطقون بالقاف، ومن أمثالهم التي ينبزونهم بها قولهم: «كسر الجمل ولا كسر النحوي» فلهذا كله تغلبت العامة على الخاصة وألجؤوهم إلى متابعتهم في النطق بالقاف همزة أو جيماً خوفاً من هؤلاء الأوباش أن يسلقوهم بألسنتهم ويضربوا بهم الأمثال[1] . . .

والواضح أن هذه المشاهد على تنوعها تعكس بعضاً من التأثيرات الثقافية التي تركها الجمل على علاقات الناس وسلوكاتهم . .

ولعل أهم هذه التأثيرات ذلك الذي ارتبط بضخامة الجمل وما يمثله لدى الطبقات والفئات من رموز وأفكار، وما تفصح عنه من تمايز طبقي، وما يترتب على ذلك من سلوكات ومعاملات . .

وهذه الأمثال تسير في خطوط محددة بوضوح، ولا تحتاج

(١) تهذيب الألفاظ العامية، محمد علي الدسوقي، ص ٤٦، ٤٧ طبعة القاهرة ١٩١٣ م.

لكثير من التفسيرات، ولكنها تحمل الكثير عن الأوضاع الاجتماعية داخل المجتمع المصري ويتمثل ذلك فيما يأتي:

الأول: الاستعلاء الطبقي حيث يقول المثل: «**ما تفطرش جمالك مع جمال الطز**»[1] وهذا المثل بصياغته التحذيرية يكشف أساليب التعامل بين الطبقات ونوعية رد الفعل، وأن الطبقية لا تقتصر على البشر، ولكنها تمتد إلى ما يمتلكه البشر وهو ما يفرض على كل طبقة أو طائفة أن تتحرك في نطاق محدد لها سلفاً لا تتعداه ولا يجوز لها أن تقترب منه حتى في أبسط الأمور الشكلية..

الثاني: وفي المقابل نجد «أن الناس اللي تحت» لهم رد الفعل المناسب والذي يتفق مع قدرتهم وأسلوبهم في الانتقام من هذا الاستعلاء، ويتمثل ذلك في السخرية والتسفيه والتحقير فيقولون في أمثال الجمل على سبيل الشماتة: «**جمل وفي رقبته صرمة**» وليس المقصود بالطبع الجمل ولكن المعنى الواضح هم «الناس اللي فوق» وهل هناك تحقير أكثر من تلك «الصرمة»[2].. المعلقة في رقبة هذا الجمل أو بصريح العبارة تلك الصرمة المعلقة في رقبة هذا العظيم.

وهناك أيضاً المثل الذي يقول: «**الجمل لو بص لصنمه كان قطمه**»[3].. وهو ما يعني أن هناك نقصاً في طبيعة البشر ولا ينبغي أن يأخذنا الغرور أو الاستعلاء الطبقي بعيداً، لأن الحط والنقص ضمن مكونات البشر، والكمال لله وحده، وعلى هذا النحو يأتي المثل الذي يقول: «**الجمل بيقع**» والمثل الساخر الذي يقول:

---

(١) الطز: الأتراك في عهد الحكم العثماني حتى نهاية القرن التاسع عشر.

(٢) الصرمة: الحذاء البالي.

(٣) قطمه: قطعه.

«**الجمل يمشي ويحدف لورا يشوف عيوب الناس وعيوبه لا ترى**»[١] «بضم التاء في كلمة «ترى» وهو ما يعني أنّ على المغرور أو الكبير أن يلتفت إلى عيوبه قبل أن يتحدث عن عيوب الآخرين، وأنّ عيوبه واضحة للعيان، فهو «يمشي ويحدف لورا» أي مشيته محل سخرية، وقد يؤكد هذا المثل القول المأثور: «نعيب والعيب فينا»[٢]. والمعروف أن رجلي الجمل الخلفيتين مقوستان إلى الوراء فتبدوان وهو يمشي لمن يراه أنهما تتجهان إلى الخلف، وهذه الصورة المثلية تعبر عن السخرية من الكبار أو الذين ينظرون إلى الغير من وراء أنوفهم بينما هم يعانون من عيوب مكشوفة واضحة..

الثالث: يتمثل في صور الصراع الطبقي، وما أمثال الجمل في هذا إلا رمز للتنافس أو حتى للسخرية المريرة.. يقول المثل: «**شفت الحكاية المدهشة ساعة الخروف ما باس الجمل. الجمل وقع من كسفته انكسر**»[٣] وهو ضرب من التحقير ويقابل أمثال «الناس اللي تحت» ضرب من أمثال «الناس اللي فوق» فمن العريش نجد المثل الذي يتحدث بأسى وغيظ عن انقلاب الأحوال وتغير المواقف فيقول المثل: «**أجا الزمن اللي الجمال تنجاد من ديولها**»[٤].. بمعنى أن كبير القوم وعظيمهم أصبح تابعاً للصغار يقودونه ويوجهونه حسب إرادتهم...

وفي هذا الخط يقول المثل: «**قالوا: الجمل ركبوه قالوا:**

---

(١) يحدف: محرف يحذف، لورا: إلى الوراء، يشوف من شاف ورأى، كلمة «ترى» مبنية للمجهول، وهي موجودة على هذه الصورة لضرورة السجع، والمعروف أن المبني للمجهول من النوادر في الاستعمالات الشعبية.

(٢) أصله بيت الشعر: نعيب زماننا والعيب فينا وما لزماننا عيب سوانا.

(٣) باس: قبّل. انكسف: خجل.

(٤) آجا: جاء، تنجاد: تقاد، ديولها: ذيولها.

الحق عليه بيطاطي ليه؟» وكلمة الركوب لا تعني الدور الوظيفي للجمل، ولكن الركوب هنا يعني سيطرة الطبقات الدنيا على الطبقات العليا التي تنازلت عن سلطانها وسطوتها، فشجعت الوحوش من الناس على التطاول والإهانة، وهنا ينتقد المثل الطبقات العليا التي انهارت وتنازلت عن دورها السلطوي..

ولا شك أن هذه النماذج السابقة تعبر عن لون من ألوان التضاغط الاجتماعي أو الصراع الطبقي أو هو ضرب من ضروب التيارات التحتية التي تلعب دوراً غير مرئي في تيار العلاقات الاجتماعية.. ولا شك أيضاً أن هذا الحيوان بحكم تواجده ضمن إيقاع الحياة اليومية كوسيلة كانت هامة، بل ورئيسية في النقل في مصر قبل الوسائل الحضارية الحديثة كان يمثل رمزاً للتيارات المتحركة في المجتمع..

وإذا كنا قد لاحظنا هذا التضاغط على مستوى الفئات والطوائف فإن هناك أمثالاً مرتبطة بالناس تدور وتعبر عن مستوى العلاقات بين الأفراد، وينكشف من خلالها بعض السلبيات الفردية ضمن التعامل اليومي وهو ما يمثل المحور الرابع وهو ما نتحدث عنه في السطور التالية:

رابعاً: لدينا مجموعة من أمثال الجمل تكشف بعض الأخلاقيات وخاصة تلك التي تنتج عن المشاكل اليومية بين الأفراد ومن ذلك:

ـ التناقض: يقول المثل: «**زي الجمل ناعم ويأكل خشن**»[1].

(١) كلمة ناعم تعني وبر الجمل الذي يكسو كامل جسمه وهو أكثر نعومة من شعر الحيوانات

ـ الطمع: يقول المثل: «**زي الجمل حنكه في كدية وعينه في كدية**»[(١)].

ـ المبالغة: يقول المثل: «**قالوا الجمل طلع النخلة. آدي الجمل وآدي النخلة**»[(٢)] بمعنى أن الناس لا تؤمن بغير الواقع «والبينة على من ادعى» وهو ضرب من المستحيل في واقع الأمر..

ـ السخرية: يقول المثل: «**خيبة الأمل راكبة جمل**» ومعنى راكبة جمل أي أن هذه الخيبة ظاهرة للعيان ومفضوحة يراها القريب والبعيد.. وأحياناً يقال المثل بصياغة أخرى فيقول «**خيبة الأمل شايلة جمل**»[(٣)].

إن هذه العلاقات التي رصدتها أمثال الجمل ليست قيماً مطلقة بقدر ما هي سلوك يومي شائع ترصده الأمثال، وهو سلوك قابل للتغيير مع تغير الظروف. فهناك أشكال من التصاعد مقابل أشكال من التضاغط.. وهناك ألوان من التقارب في مقابل التباعد، وهناك حراك متواصل رغم التفاوت الطبيعي الذي يعيشه البشر من حيث الصحة والمرض والكفاءة وعدم الكفاءة والتوفيق والفشل وتغير

الأخرى وصوفها، وخشن: نبات الشوك المتناثر في الصحراء وينمو شيطانياً ويستطيع الجمل أن يأكله دون أن يصيبه أذى لأن شفته العليا مشقوقة فتحميه من الشوك..

(١) الكدية: بضم الكاف وسكون الدال: نبات له جذر واحد تخرج منه عدة أوراق وهو نبات شيطاني ينمو بارتفاع نبات الفجل أو أكبر قليلاً وهو ينمو بشكل متباعد، ولذلك فإن الجمل عندما يمد فمه ليلتقط كدية فإنه في نفس اللحظة يلقي بصره على الكدية الثانية التي يستعد لالتهامها. وقد فسرها الناس بالطمع ولكنها سلوك فطري لدى الجمل وكلمة «حنك» عربية وتطلق على باطن أعلى الفم من داخل «المعجم الوسيط».

(٢) آدي: هذه.

(٣) خيبة الأمل بمعنى الخذلان، وكلمة شايلة بمعنى حاملة هذا الحيوان الضخم أي أن هذا الخذلان كبير والمثل صيغة مبالغة.

الظروف وسرعة التطور وبطء الاستجابة لدى أحدهم، وعكس ذلك لدى الآخر، وكذلك الغنى والفقر وظروف الزمان والمكان، وهي أمور من سنن الكون وتقديرات المولى سبحانه وتعالى..

وامتداداً لتأثير الجمل على العلاقات بين الناس من المناسب أن نتوقف عند كلمة «زي» فهذه الكلمة العامية ليس لها أصل في العربية وهي بمعنى مثل، وهي بفتح الزاي وسكون الياء، وهي غير كلمة «الزي» بشدة مكسورة على الزاي وشدة مضمومة على الياء بمعنى الهيئة والمنظر.. وقد لاحظنا أن هذه الكلمة ربما كانت مصرية الأصل ولا توجد في الأمثال الشعبية في العالم العربي حيث إنهم يستخدمون كلمة مثل..

وهذه الكلمة موجودة في مجموعة من الأمثال وهي تعبر عن اتجاهات ثلاثة:

الأول: أن الأمثال التي استخدمت كلمة «زي» هي في الواقع تعكس علاقات الناس، ولذلك فقد أصبحت أمثال الجمال وسيلة للتوجيه الاجتماعي بكل عناصره من تعدد سخرية وتعبير عن رؤية خاصة.. الخ.

الثاني: أن شكل الجمل قد دفع الناس، أو بمعنى آخر أنه قد حرضهم على ضرب المثل الذي يتفق مع شكله وهيئته وسلوكه من ناحية، ومع نواقص السلوك البشري من ناحية أخرى، وكانت وسيلة الناس هي كلمة «زي» كأداة للتشبيه تناسب الذوق المصري..

الثالث: أن هذه العبارات التي تبدأ بكلمة «زي» أو «قالوا» لا يطلقها الناس من فراغ ولا تصدر عن وهم أو تقليد، ولكنها عبارات متولدة من البيئة المصرية التي تنزع إلى حب التشبيه بأقل قدر من الحروف «حرفين»..

وفي هذا المجال من المناسب أن نتوقف عند مثلين فقط:

أحدهما: يحمل صيغة العمومية.. فيقول: «**زي الجمل اللي بيخزن الدهن في حدبته لحد ما يجوع ياكله**»[١].. إن هذا المثل قد أوجد نوعاً من الشبه بين ظاهرة واضحة تحدث للجمل وهي أن سنامه «حدبته» عبارة عن مخزن للطعام يحتاج إليه الجمل في ظروف الصحراء العسيرة وجفوة البيئة وقسوتها. ويقول ادوارد لين عن هذه الظاهرة: «إن الجمل قادر على تحمل العطش والجوع بفضل تركيبته الطبيعية التي تسمح له بتخزين الماء والطعام.. فعندما لا يتوفر الطعام اللازم للجمل طوال عدة أيام متعاقبة يعتمد في تغذيته على دهن سنامه الذي يختفي تدريجياً في مثل هذه الظروف قبل أن تتقلص أوصاله»[٢].. إن هذه المعلومات التي سجلها العلماء لا تختلف عن التجربة الحياتية التي سجلها الناس في المثل السابق ونقلوها إلى السلوك البشري عن طريق التشبيه والتمثيل..

والمثل الثاني: يقول: «**زي البدوي يقول وشك والبل وضهرك والبل**»[٣] ويعني أن هذا التعبير المثلي أصبح لازمة من لوازم البدوي يرددها بطريقة تلقائية قد انتقل إلى أحدهم الذي أصبح لطول استخدامه للتعبير يردده تلقائياً كالبدوي.. ووجه الشبه موجود أصلاً في ظاهرة الجمال وانتقل إلى السلوك البشري..

وفي هذا المجال لا يفوتنا أن نتوقف عند مثل واحد من أمثال

---

(١) الحدبة: السنام، لحد: لحين.

(٢) عادات المصريين وتقاليدهم، ادوارد لين، ترجمة سهير دسوم ص ٤٥٢، وانظر الثروة الحيوانية، د. محمد يحيى درويش ص٢٥١، وانظر الانتاج الحيواني د. كامل عبد العليم ص١٧٦.

(٣) ضهر: محرف ظهر. والبل: محرف الإبل.

الجمل ولكنه يحمل الكثير من المعاني والدلالات ويعبر عن طبيعة التعامل بين الناس، والحكومة المصرية في الأزمنة السابقة، يقول المثل: «**قط الحكومة جمل**» بمعنى أن الحكومة عندما تتعامل مع الجماهير فإنها تبالغ كثيراً وتتحامل، وهي طبيعة ذات اتجاه بيروقراطي تسلطي، ويعكس هذا المثل بوضوح نوعية العلاقة بين الحاكم والمحكوم وهي علاقة قائمة على التحامل والعنف كما يلقي ضوءاً على مشكلات الإدارة والحكم في مصر.. فالإدارة ليست في خدمة الشعب ولكن في خدمة البيروقراطية.. كما أن هذه المبالغة التي تجعل من القط جملاً إنما تعكس أسلوب التباعد والشك بين الطرفين، وانعدام التفاعل والانسجام بينهما والمسؤولية هنا تقع على الحكومة صاحبة السلطة.. فكيف يكون قط الحكومة جملاً؟ وبأي منطق قانوني أو دستوري يقوم هذا؟ إن هذه الكلمات الثلاث التي يتكون منها المثل يمكن أن تفسر الكثير من العلاقة بين الحاكم والمحكوم تلك العلاقة التي لا تقوم على الرعاية ولكنها تقوم على السلطة والسطوة ومن ثم يصبح: «قط الحكومة جمل» بمعنى أنه لا وجود إلا للسلطة المطلقة، وهذا التعبير في واقع الأمر ليس مما يشيع بين دوائر الحكومة ولكنه تعبير عن الرأي العام الشعبي بحكم التجربة والممارسة.

إن هذه الكلمات عبارة عن ضوء كاشف لتلك العلاقة بين الحاكم والمحكوم..

أمثال الجمل في الصحافة

على الرغم من أن الجمل لم يعد له وجود فعلي في الحياة العامة في مصر، بل إن دوره الصحراوي ربما في سبيله إلى التراجع مما قد يجعله حيواناً متحفياً ولكن ـ وهذا هو الذي يشد الانتباه ـ كاتب هذه السطور منذ أن بدأ يلتفت إلى موضوع الجمل في الأمثال أخذ يلاحظ أن أخبار هذا الحيوان يتوالى نشرها في أوقات متقاربة إلى حد ما، كما أخذ يلاحظ أن الكثير من هذه الأمثال تقتحم الكتابة الصحفية في التحقيقات أو الكتابات اليومية كالعمود الصحفي أو المقالات أو الكتابات السياسية حيث يرددها الجميع بتلقائية، وهو ما يشير إلى أن هذا الحيوان بثقافته المثلية ما زال كامناً في اللاشعور ضمن المخزون الثقافي الشعبي على كافة المستويات..

ولا شك أن القيم التي ارتبطت بهذا الحيوان هي التي تقوم بدورها حتى الآن على المستوى الثقافي والإعلامي، ذلك أن هذه القيم ليست مرتبطة بزمان معين أو مكان محدد، ولكنها عبارة عن قيم إنسانية عامة كالصبر وقوة الاحتمال والعزة وسلاسة الانقياد والفخامة، ولما كانت هذه القيم قد ارتبطت بهذا الحيوان في مرحلة زمنية معينة فقد كان على الناس أن يستردوا هذه القيم ويبرزوها في معاملاتهم اليومية برموزها، وإذا كان الجمل قد ساعد على نشر هذه القيم في مراحل سابقة، فإننا نجد أن هذه القيم تقوم الآن «برد الجميل» إن صح هذا التعبير لهذا الحيوان وذلك بالإبقاء على تواجده شائعاً بين الناس..

وقد لاحظنا أن أمثال الجمل تأتي في مناسبات مختلفة، بعضها له صفة العمومية، وبعضها في مناسبات خاصة..

ففي المناسبات العامة يكفي أن أشير إلى أن تحقيقاً أسبوعياً يكتبه الصحفي عزت السعدني يوم السبت لا يخلو من المثل الذي يقول: «**لا ناقة لي فيها ولا جمل**» بل إن تحقيقاً كتبه في أهرام ٢٧/٩/١٩٩٧ عن الخوف من الإرهاب في الصعيد ذكر فيه هذا النص مرتين، وهو ما يدل على أن المثل يلح على الظهور عندما تأتي المناسبة وهي الخوف من الإرهاب الذي يطول أبرياء لا ذنب لهم «ولا ناقة لهم ولا جمل»..

وقد جاء في جريدة الوفد ٩/١٠/١٩٩٧ ضمن مقال للصحفي ثروت البعثي في الصفحة الرياضية يقول: «... وجبهة ثالثة أخذت موقفاً سلبياً وتركت الجمل بما حمل للمجلس الأعلى للشباب والرياضة الذي شعر بأنه لا أمل في الإصلاح»..

وفي المناسبات الخاصة: يكفي أن أسجل فقرة جاءت ضمن مقال في جريدة «أخبار اليوم» ٥/٧/١٩٩٧ للكاتب الصحفي فتحي غانم حيث يروي حكايته مع قصة شهرزاد التي نشرها في مجلة «آخر ساعة» في الخمسينيات وكان يأمل أن تتحول إلى فيلم عالمي وتبخرت أحلامه وقال تعقيباً على ذلك: وتحولت شهرزاد من ذروة الأحلام إلى «خيبة أمل راكبه جمل» ولم يعد أحد يذكرها..

وهذا ينقلنا إلى مناسبة أخرى حيث إن «أخبار الأدب» التي يرأسها الأديب جمال الغيطاني نشرت في نفس اليوم ٥/٧/١٩٩٧ خبراً يقول سافر حجازي ـ أحمد عبد المعطي حجازي[1] الكاتب والشاعر المعروف ـ إلى كولومبيا تاركاً الجمل بما حمل «الشاعر الذي يواصل تمثيل الشعر العربي في المحافل الدولية في الوقت الذي لم يفز فيه بجائزة الدولة التقديرية»..

(١) من شعراء مصر المحدثين ومن كتاب جريدة الأهرام حالياً.

وقس على ذلك مجموعة لا بأس بها من نصوص الأمثال التي تظهر بين الحين والآخر ضمن الكتابات الصحفية وفي العديد من الأحوال العامة والخاصة ومنها:

* **اللي يعمل جمل ما يبعبعش من العمل.**
* **آدي الجمل وآدي الجمّال.**
* **الباب يفوِّت جمل.**
* **اللي سرق البيضة يسرق الجمل.**
* **ما قدرش على الجمل اتشطر على الجمّال.**
* **ما شفتش الجمل؟ قال: ولا الجمّال.**
* **قالوا: الجمل ركبوه قالوا: الحق عليه بيطاطي ليه؟**

ومن ناحية أخرى فإن وجود هذا الحيوان ثقافياً لا يتوقف عند نصوص الأمثال المبثوثة ضمن التحقيقات أو المقالات أو غيرها، ولكننا نجد بين الحين والآخر أخباراً عن الجمل، وغالباً ما تكون مصحوبة بصورة، وفي هذا المجال كتب د. حسن رجب في يوميات جريدة الأخبار ٢٥/٧/١٩٩٧ حيث اشترك في لجنة التحكيم في مجال الأفلام التسجيلية والبرامج الثقافية الخاصة في مهرجان التليفزيون وشاهد مع زملائه ما يقرب من ١٢٠ عملاً تليفزيونياً، ومع ذلك لم يشد انتباهه إلا موضوع عن الجمل ويقول: «ومن مفاجآت هذا المهرجان المستوى الرائع الذي بلغه انتاج عدد من الدول العربية الشقيقة سواء من القطاع العام أو الخاص.. ويضيف: ومن أفضل الأمثلة على ذلك البرنامج الخاص «في أثر أخفاف الإبل» الذي قدمته شركة إنتاج كويتية خاصة، وفاز بالجائزة الأولى في مجاله، لم يترك البرنامج شاردة ولا واردة عن الإبل إلا

سجلها.. أنواع الإبل.. كيف تتزاوج وكيف تلد.. كيف يحتال الرعاة حتى يجعلوا ناقة أماً بديلة لرضيع يتيم.. دروس عامة ودروس خاصة في التراث للعرب خاصة الذين لم يعد أغلبهم يرى الإبل إلا في حديقة الحيوان»..

وفي أهرام ٢٢/٨/١٩٩٧ تحت عنوان «جمال الصحراء تغزو ألمانيا بمناسبة إقامة أول سباق للهجن يقام في برلين في مضمار هوبيجارتين للفوز بكؤوس ست بينها «كأس الشيخ زايد» رئيس دولة الإمارات العربية المتحدة، وقد نشر كخبر في أخبار التليفزيون المصري ـ القناة الأولى ـ في ١٧/٨/١٩٩٧ مرفقاً بصورة في إطار الأسبوع الثقافي الذي يرعاه صاحب السمو الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان..

ونشر في ملحق أهرام ٢٥/٤/١٩٩٧ عن سباق الهجن في المملكة العربية السعودية بعض المعلومات عن الإبل، ويذكر أن «الإبل يبلغ عددها حسب آخر الإحصائيات حوالي ٦٠٠ ألف رأس موزعة بنسبة ٤٦٪ في المنطقة الوسطى، ٢٧٪ في المنطقة الشمالية، ٢٢٪ في المنطقة الغربية من المملكة ـ ويضيف: ـ ويقام سنوياً سباق للهجن، وترتفع أسعار الهجن قبل السباق، وقد وصل سعر ناقة إلى أكثر من مليون ريال، ويعتبر سباق الهجن من السباقات المحببة لأهل الجزيرة العربية، ويحرصون على مشاهدتها سنوياً..».

ونشر في أهرام ٣١/٧/١٩٩٨ تحت عنوان «تدريب الإبل في سلطنة عمان» يقول أحد أشهر مربي الهجن: «في المرحلة الأولى تسمى التسريح ويتم فيها تدريب الناقة بالمشي لمسافة كيلو مترين، وتتتابع المراحل فتبدأ مرحلة الركض لمدة شهر، ثم الركض السريع، ثم عملية «التفحيم» أي تعويدها على الركض بالراكب،

ويبدأ تدريب الناقة عندما تبلغ من العمر عاماً ونصف عام ويستمر تدريبها لمدة أربعة أشهر وعلى مراحل» . .

وفي سباق الهجن المصري الذي يقام سنوياً في العريش يشترك فيه الكثير من الدول العربية كالمملكة العربية السعودية والكويت ودولة الإمارات وقطر والبحرين وعمان والأردن والمغرب . .

وبالإضافة إلى ما سبق تولي دولة الإمارات العربية المتحدة لسباق الهجن السنوي اهتماماً خاصاً حيث يحرص الشيخ زايد على تنظيم هذه السباقات وحضورها وتشجيعها ، وترصد لها الجوائز المادية والعينية حيث إنها تعبر عن روح الشعب ووجدانه وترتبط بالماضي . .

ولا يقتصر الاهتمام الصحفي والإعلامي المصري على نشر أخبار الجمل في مصر ، ولكنه يقدم أخباراً عن الجمل في العالم العربي وخارج العالم العربي . .

ففي أهرام يونيو ١٩٩٨ كتب كارم يحيى عن رحلة «ابن الحسن والناقة الذلول إلى عرب القرن الحادي والعشرين» وهي عن شاب يمني يدعى محمد علي الحسن قام برحلة على الناقة من اليمن إلى السعودية ثم إلى الكويت وبغداد والأردن وسورية ولبنان ثم عاد إلى سورية ثم إلى الأردن ثم إلى مصر ، ويتجه منها إلى ليبيا وبقية دول المغرب . ويرى هذا الرحالة أن الجمل بحد ذاته حضارة متنقلة . ولقد أردت ـ كما يقول ـ أن ألفت نظر الشارع العربي إلى أننا نمتلك حضارة . .

أما في خارج العالم العربي فقد نشرت جريدة الوفد ١٤/٨/ ١٩٩٧ خبراً عن الجمال ومرفق معه صورة . . ويفيد الخبر أن المزارع الروسية الكبرى في مناطق الجنوب قد بدأت في استبدال

قطعان الماشية والأغنام بالجمال، حيث أكد المزارعون أن الجمال أسهل في التعامل وأكثر انتاجاً للصوف فضلاً عن سهولة العناية بها . .

وأذاعت هيئة الإذاعة البريطانية (B.B.C) بتاريخ ٢٦/ ٧/ ١٩٩٧ ضمن نشرة الأخبار التي تبثها على مدار ساعات الإرسال خبراً عن أن الجيش العراقي لجأ لاستخدام الجمال لنقل المعدات في ساحة المواجهة في حرب الخليج ١٩٩٠/ ١٩٩١ للهروب من رصد الرادار، واستخدم في هذا العمل أكثر من خمسة آلاف جمل . .

ولا شك في أن هذه الإشارات الخبرية في الصحافة والإعلام لا تتوقف عند دورها الإعلامي ولكنها تعني أن هذا الحيوان لم يتوقف دوره بعد، بل إن هناك الكثير من وجوه الإفادة، حيث إنه يمكن أن يضيف أو يساعد في عمليات الانتاج، إذ إن وبره يعد من أرقى أنواع الصوف على المستوى العالمي فضلاً عن لحومه وألبانه وجلوده . .

ومن ناحية أخرى فإن هذه الإشارات الإعلامية قد تهدف إلى بعض الجوانب السياحية التي تمثل دوراً في عمليات الدخل بل ـ كما يقال ـ تمثل قاطرة الحضارة والتطور بما تدرّه من دخل على كافة المستويات الفردية والجماعية . .

أمثال الجمل في سيناء

أفردنا هذا العنوان ضمن الحديث عن أمثال الجمل المصرية ذلك أن الجمل كما قلنا حيوان صحراوي، وهو الوسيلة الوحيدة للتنقل عبر الصحراء «ولولاه ما استطاع العربان سكنى الصحراء ولاستسلموا لحياة الخضوع.. لذلك يقال في معظم الأحيان: إن الله قد خلقه خصيصاً كي يجعل الصحراوات قابلة لسكنى البشر. وعندما يجد العربي نفسه بلا ماء ولا غطاء طريداً في الصحراء وعندما يرى جياده وأبقاره تنفق من التعب أو الجوع فسوف تبقى له جماله وسوف تكفيه، فهي تحمله على ظهورها، وتطعمه من لبنها، وتتحمل الجوع والعطش، وتواجه هذه العزلة الشاسعة لتحميه شر أعدائه»[(١)].

ثم دخل هذا الحيوان إلى الريف وشارك في الانتاج الزراعي نقلاً وتسويقاً، وفي جميع هذه الأحوال يظل هذا الحيوان صحراوياً في الأساس. ولما كنا لا نستطيع التجول في أنحاء الصحراء المصرية والتي تمثل ٩٥٪ من المساحة الكلية فقد لجأنا في هذه السطور إلى شبه جزيرة سيناء للحديث عن الجمل في سيناء كنموذج للحياة الصحراوية، وطبيعي أن يكون هذا الحيوان مكوناً طبيعياً من مكونات النشاط البشري، ولذلك فإن «البدو في سيناء يفضلون ركوب الهجن على ركوب الخيل، لأنها أكثر صبراً على العطش والحر»[(٢)].

(١) العربان ودورهم في المجتمع المصري في النصف الأول من القرن التاسع عشر، د. إيمان محمد عبد المنعم، ص ٢٤٦، سلسلة تاريخ المصريين، طبعة هيئة الكتاب ١٩٩٧.

(٢) سيناء وطني، دراسة في تاريخ سيناء وجغرافيتها وآثارها وصور الحياة فيها، إعداد قسم الإعلام بالثقافة الجماهيرية، طبعة أولى ١٩٨٢ ص ٧٧.

وفي هذا المجال نتوقف عند ظاهرة سلوكية للجمل الصحراوي لا توجد عند الحيوانات الزراعية.. فالمعروف أن النباتات الصحراوية تنمو بطريقة شيطانية أو عشوائية فتوجد متناثرة هنا وهناك وعلى مسافات قد تتباعد وتتقارب، والجمل عندما يلتقط هذه النباتات فإنه يلتقطها بالأسلوب الذي يناسبه ويتفق هذا مع التناثر الخضري الصحراوي، فعندما يلتهم «كدية»[1] ففي الوقت نفسه تكون عينه على كدية أخرى للانتقال إليها. والمثل يقول: «**زي الجمل حنكه في كدية وعينه في كدية**» وهذا الأسلوب الفطري الذي يمارسه الجمل في عالم الصحراء قد ينتقل به إلى الحياة الريفية التي تزرع فيها النباتات بشكل منتظم ولا مجال للعشوائية، وعندما تتاح للجمل فرصة الانطلاق فإنه يعود إلى طبيعته الصحراوية ويتعامل مع المزروعات بطريقته العشوائية فيلتهم من هنا ويلتهم من هناك ويفسد أكثر مما يأكل، ولذلك وجدنا هذا المثل الذي يرصد هذا السلوك ومن ثم يتعامل معه الفلاح من هذا المنطلق، بينما يفضل الجمل أكل أطراف النباتات والتنقل في أرجاء المرعى..

والعلاقة بين البدوي والجمل علاقة وطيدة فنجد أن الجمل يدخل في كثير من التعاملات اليومية، ولا شك أن قسوة الصحراء تفرض على البدوي الارتباط الشديد بهذا الحيوان فهو الحصن والأمان..

وفي السطور التالية نشير إلى دور الجمل ضمن المنظومة الحياتية لدى البدو، تلك الحياة التي تتسم بالشدة والتناحر والفقر وقسوة الطبيعة التي أفرزت المثل الذي يقول على لسان السيناوي

---

(١) الكدية: بضم الكاف وسكون الدال نبات فطري عبارة عن جذر تتفرع منه أوراق قريبة من أوراق الفجل وأكبر قليلاً منها.

«ربيع مصر رايح في طريقها»[1].. والمعنى أن قافلة الجمال سارت من سيناء إلى القاهرة أو الريف وهناك أخذت كفايتها من الأكل، ودبت في أوصالها الحيوية وسرعة الحركة فظهرت عليها آثار النعمة، وعند عودتها ضاع ذلك في الطريق نظراً لطول المسافة بين الريف والقاهرة والعريش، وعادت تقاسي آلام الجوع والعطش..

والحياة البدوية منظومة حياتية ذات طبيعة خاصة تتفق مع الزمان والمكان والبشر وهذا الثلاثي يكوّن الحياة البدوية. وفي السطور التالية نعرض للجمل ضمن هذه المنظومة ذات الطابع الخاص..

«فعندما يقع قتال بين القبائل يركب أفراد القبيلة الهجن ويذهبون إلى عدوهم حتى يصلوا إلى مكان قريب، ثم يتركوا الإبل على الأرض ويتركوا من يحرسها[2] كما يدخل الجمل ـ على سبيل التعويض ـ ضمن القضايا والمنازعات التي تثور بين الناس. ففي تقاليد «رمي الوجه» وهو ما يعني الاستنجاد برجل ذي مكانة من أجل وقوع شر أو خصومة، فإذا استمر القتال بعد رمي الوجه صاح صاحب الوجه قائلاً: «فلان قطع وجهي» ويكون الجزاء أخذ بعض الإبل التي يملكها المعتدي، وقد تصل العقوبة إلى أربعين جملاً، أما عن القتل فتكون الدية أربعين جملاً وناقة هجين وهكذا الحال بالنسبة لجزاء الجروح..

وبالنسبة لأحكام القضايا العاطفية والنسائية يكون التراضي بالنظام الآتي:

---

(١) رايح من الرواح أو الضياع والفقد.

(٢) سيناء وطني، مصدر سابق ص٥٣.

في حالة شرود شاب وشابة من قبيلتين مختلفتين تكون الغرامة بين خمسة جمال إلى خمسة عشر جملاً، وفي حالة شرود الزوجات تتراوح العقوبة بين أربعين جملاً أو عشرة جمال أو ستة جمال أو أربعة أو جملين أو حتى جمل صغير حسب خطورة الحالة..

والبدو يتطيرون من رغاء الإبل ويعتقدون في العين الشريرة، ولذلك يعلقون الخرز الأزرق في أعناق الإبل.. وشريعة الإبل صارمة للغاية حتى أن الإبل يمكن أن تترك في المراعي وحدها فلا يجسر أحد على أن يمسّها، وفي ظروف معينة يمكن للبدوي أن يستعمل إبل غيره مثل الملسوع أو العطشان أو الفار من الخطر فمن حقه أن يركب أي ناقة يجدها دون أن يغضب صاحبها[1]..

والفقرات السابقة تكشف عن طبيعة دور الجمل في المنظومة البدوية، أما الفقرة الأخيرة فهي تكشف عن طبيعة الأخطار التي تحيط بالبدوي، وقد يتعرض دون أن يدري للجوع والعطش، ولكي يبقي على حياته فمن حقه أن يستخدم إبل غيره ـ دون إذن منه..

وفي القناة الأولى بالتليفزيون شاهدت برنامجاً عن السياحة جاء فيه على لسان أحد أبناء العريش يدعى «عيد» قوله: إن الجمل يعبر عن قيم عديدة أهمها الصبر، كما أنه «رفيق الصحراء في الشدة والرخاء» ويقول أيضاً: «معزّة الجمل إلى معزّة الإنسان»، أما الهجن فهي جمال مؤصلة، والجمل الناب هو الذي اكتمل طلوع نابه وبلغ من العمر سبع سنوات، أما الجمل القعود فيبلغ من العمر أربع أو خمس سنوات..

(١) الفقرات السابقة من كتاب سيناء وطني ص ٧٢، ٧٣، ٧٤، ٧٦.

وجاء في كتاب «سيناء وطني»[1] أن أهم أنواع الإبل في سيناء هو «الزريقان» ولونها يميل إل الزرقة و«الوضيوان» ولونها في صفرة لون الغزال، وتختلف أسماء الإبل باختلاف سنها لدى القبائل السيناوية وهذه الأسماء هي:

المباري ـ المفرد ـ اللبني ـ المربوط ـ واق ـ الجذع ـ السداسي ـ الجمل أو القعود (وهو ذكر الإبل من الرباع فصاعداً) ـ البكرة ـ الناقة ـ الهجين..

ومن ناحية ثانية فدور الإبل في البادية لا يتوقف عند النقل وحمل الأثقال فحسب، ولكنه يمتد إلى الجانب الترفيهي... ففي فترات راحتهم أو لهوهم يتسابقون على الإبل في أيام الأعياد والأفراح وأيام زيارة الأولياء وعند استقبال الضيوف[2].. وهي أمور حياتية يومية.. ومما يدل على أهمية الإبل عند البدو على ما عداها من الحيوانات تلك العلاقة التي تضعها كل قبيلة على إبلها، فلكل قبيلة خاتمها الخاص تضعه فوق إبلها بكيّ الرقبة أو الرأس وغيرها أما البقر والخيل فلا علامة[3]..

وفي عهد محمد علي باشا[4] قام ابنه إبراهيم باشا بإصلاحات في سيناء ونظم بها لأول مرة البريد على الجمال حتى غزة وجعل محطاته ـ القنطرة شرق قطية ـ بير العبد ـ بير المزار ـ العريش ـ الشيخ زويد ـ خان يونس ـ غزة ـ وقد أصبحت فيما بعد محطات

(١) ص ٧٦.
(٢) المصدر السابق ص ٧٦.
(٣) سيناء الحرب والمكان، محمود المراغي، ص ٥٩، سلسلة روز اليوسف، ديسمبر ١٩٧٣.
(٤) حكم مصر من ١٨٠٥ ـ ١٨٤٨.

سكك حديد فلسطين[1]. .

وقد أردنا بهذه الإشارات المتنوعة أن نلقي ضوءاً على دور الجمل في الحياة البدوية في سيناء حتى قال أحد أبناء العريش: «معزّة الجمل إلى معزّة الإنسان» بمعنى أنها تساوي معزة الإنسان. وهذه الإشارات يمكن أن تفرز العديد من الأمثال، فضلاً عن أن أهمية دور الجمل في الحياة البدوية بشكل عام يمكن أن تزود الثقافة الشعبية بالنصوص المثلية التي ترصد وتسجل هذه العلاقة بين البشر والجمل. . ولا يستطيع أن ينشط إلى جمع هذه النصوص غير أحد أبناء سيناء. . .

وفي هذا المجال نرى أنه من المفيد أن أشير إلى تجربة شخصية[2] فقد استطاع كاتب هذه السطور خلال يومين من الإقامة العابرة أن يجمع بعض نصوص الأمثال الخاصة بهذا الموضوع ونكتفي في هذا العرض بالوقوف عند أربعة أمثال هي:

* حن حوير بكاني حنين أمه

والحوير ابن الناقة، ويشير المثل إلى لهفة الناقة على وليدها، ثم إن حنينها ولهفتها قد أثار شجني وبكائي، وهذا المثل البدوي لا يعرفه أبناء الريف الذين يستخدمون الجمل، ذلك أن الجمل الموجود في الريف من الذكور، والريفيون لا يستخدمون الإناث، وليست لديهم في الحياة الريفية تلك الظروف المناسبة لكي تحمل

(١) سيناء وطني ص ٢٣.

(٢) اشترك كاتب هذه السطور في مؤتمر الهجن الذي انعقد بمناسبة الاحتفال بسباق الهجن في العريش في ٢١/١١/١٩٩٦ والتقى مصادفة بأحد زملائه من أبناء العريش الذي زوده ببعض نصوص الأمثال بشكل عفوي وفي فترة وجيزة لا تتعدى ساعات فكيف يكون الكم مع المعايشة لفترة مناسبة؟

الناقة وتلد كما هو موجود في الصحراء، ولذلك فإن كل الجمال في الريف تأتي عن طريق البيع والشراء، وليس عن طريق التوالد...

*** أجا الزمن اللي الجمال تنجاد من ديولها**

والمعنى الذي يشير إليه المثل هو أن الجمال وهي هنا ترمز للعزة والرفعة وعلو الشأن، قد انقلبت بها الأحوال فبعد أن كانت تقاد من رؤوسها المرفوعة في اعتداد وعزة أصبحت تقاد من أذيالها. والواضح أن القضية لا ترتبط بالجمل ولكنها ترتبط بانقلاب الأحوال بين الناس، حيث أهين كبار القوم وأصبحوا أذلاء أو تابعين للصغار..

* السلب مداد

ينتشر هذا المثل في صيغة تهديد بمعنى أن «الأيام بيننا» والسلب والمفرد سلبة حبل غليظ تربط به الأحمال عن طريق التحزيم حول العدة على ظهر الجمل، والسلب جزء من مفردات الجمل ولوازم الجمل إذ لا يمكن وضع الأثقال على ظهر الجمل دون أن تربط إلى العدة، بعكس الحمار الذي يمكن أن يحمل الأشياء على البرذعة دون رباط..

* يا محنة الوالدة ما بعدها محنة

الوالدة هنا هي أم الجمل الصغير عندما تفقده فهي تعيش في محنة ليس لها مثيل، وهو أيضاً مثل بدوي لا يشيع في الريف..

وتعليقنا على هذه الأمثال الأربعة نقول فيه إن ثلاثة منها لا يأتي ذكر الجمل مباشرة مما قد يشكل غموضاً لدى المستمع أو القارىء، فقد يتساءل القارىء العادي عما هي هذه الوالدة التي تعيش في محنة أو عن الضمير في المثل الذي يقول «ربيع مصر

رايح في طريقها» ولكن هذه الأمثال في البيئة البدوية تدخل ضمن لغة الحوار اليومي بين البدو. . وهذا الحوار يعتمد في بعض الأحيان على الضمير أو مجرد الإشارة المفهومة سلفاً لدى المستمع، ومن ثم فليست لديهم حاجة للتصريح، لأن لغة الاختصار هي السائدة. .

وأخيراً، فقد عبر البدوي عن سعادته وإعجابه بالإبل بطريقته الخاصة وتتمثل في تلك الكسوة التي يضعها على الجمل، حيث يزينها بالرسوم والألوان الزاهية والشرابات المتدلية ـ الشراشيب ـ وأضافوا إليه «الغدار» لزينة الرأس أما «اللمبركة» التي يزين بها صدر الجمل فهي تمثل نموذجاً جميلاً لفن الصناعات الجلدية على حد قول عثمان خيرت[1] فيبدو الجمل كعروس في أبهى حللها.

(١) مجلة الفنون الشعبية، العدد الخامس، فبراير ١٩٦٨، ص ٨٣.

بين القديم والحديث

تحدثنا في السطور السابقة عن الأمثال القديمة، واستعرضنا ما تحتويه من أفكار منتزعة من البيئة، وألقينا الضوء على رؤية الناس للجمل من خلال نصوص الأمثال. وفي هذا المجال قد يكون من المناسب الوقوف أمام أمثال قادمة من الماضي وما زالت تشيع بين الناس على المستوى الشعبي شفوياً، وسجلتها مجموعات الأمثال الحديثة، ونحن في هذه السطور نعتمد على وضع الأمثال القديمة ومعها تفسيرات القدماء، وبجانبها الأمثال الحديثة وهي القادمة من الماضي ومعها تفسيرات المحدثين، وهو ما قد يجيب عن التساؤلات المثارة.. فلماذا بقيت هذه الأمثال دون غيرها؟ ولماذا اهتم المحدثون بها؟ وهل بقيت بصورتها وصياغتها القديمة أو جرى عليها ضرب من التغيير؟..

ففي الميداني يقول المثل: «**أخلف من بول الجمل**»، بمعنى أن الجمل يبول إلى الخلف ويقول المثل: «**أخلف من ثيل الجمل**»[1] بمعنى أن وعاء قضيبه يخالف الجهة وفي كتاب المردد: «**مثل بول الجمل كلجالو الورا**»[2] وفي المثل المصري: «**شخاخ الجمل تملي لورا**»[3] ويقول المثل الجزائري: «**يرجع بالرولي كعطن البعير**» بمعنى يرجع إلى الوراء كبول البعير[4].

والمثل القديم والحديث يعتمد على الملاحظة البشرية، وهذه

---

(١) مجمع الأمثال جـ١/٢٤٧.

(٢) المردد من الأمثال العامية الموصلية، محمد رؤوف الغلامي، ص ١٤٠. طبع ١٩٦٤.

(٣) جمع ميداني.

(٤) الأمثال الشعبية الجزائرية، بالفرنسية، قادة بوتارن وترجمة عبد الرحمن الحاج صالح.

لا ترتبط بفترة زمنية معينة ولكنها ترتبط بطبيعة التكوين الجسماني للجمل واستمرار هذه الملاحظة تعني أنها من الظواهر البارزة والنادرة حتى أن الجمل يختلف عن الحيوانات الأخرى...

وفي الميداني: «**الجمل في شيء والجمّال في شيء**»[١] والمثل المصري الحديث يردد نص الميداني كما هو[٢]، وفي العصور الوسطى كان يقال بصياغة الميداني أيضاً[٣] وفي كتاب «الأمثال العامية»[٤] «**الجمل في نية والجمّال في نية**» بمعنى أنه بينما يعاني الجمل من ثقل الأحمال فإن الجمّال يفكر في سرعة الوصول إلى المكان المطلوب وما سوف يتقاضاه، وهذه الصورة المثلية الممتدة من القرن الخامس الهجري مروراً بالقرن الثامن وحتى أيامنا هذه لا توحي بالتواصل الفكري فحسب، ولكنها تعني أن علاقة الناس بهذا الحيوان لم تتغير، وأنه كما يقولون في اللغة الشعبية: «كل واحد مشغول بهمه» أو كما يقول المثل المصري: «كل قتاية مدايقة باللي فيها».

وفي الميداني: «**توطن الإبل وتعاف المعزى**»[٥] بمعنى أن الإبل توطن نفسها على المشاق لقوتها، وتعاف المعزى لذلها

(١) مجمع الأمثال جـ١/ ٣٤٠.

(٢) جمع ميداني.

(٣) ذكره شرف الدين بن أسد ولد ٦٧٠ ومات ٧٣٨ ـ انظر «العادات والتقاليد المصرية من الأمثال الشعبية» جون لويس بوركهارت ترجمة كاتب هذه السطور ص ٢٢ ترجمة شرف الدين بن أسد المصري.

(٤) الأمثال العامية بمصر والشام في القرن ١٩/أناتول دي ميبوم طبعة ١٩٤٨، مكتبة الأزهر، أدب، وهو كتاب صغير يقع في ١٢٣ صفحة ومع كل مثل ترجمة بالفرنسية، وللكتاب مقدمة في صفحتين ونصف بالفرنسية، المثل رقم ٢٩٥.

(٥) مجمع الأمثال جـ١/ ٢٥٢.

وضعفها. وفي كتاب «الأمثال العامية في نجد»: «**العنز ما تقرن بالجمل**»[1] ويضرب للصغير لا يقوى على مجاراة الكبير، وهذا المثل قد حوله المصريون إلى نص ساخر يقول: «**واحد شيلوه معزه زرط. قال: أنا موالف على شيل الجمال**»[2] للسخرية من الادعاء الكاذب..

إن هذه الأمثال التي علقت بألسنة الناس لقرون عديدة تحمل مواصفات خاصة فليست لها علاقة بأماكن معينة أو أحداث تاريخية خاصة، ولكنها تهتم بتفاعل العلاقات بين الناس وانعكاس طباع الجمل على هذه العلاقات، بينما نجد أن هناك أمثالاً تاريخية لا يمكن أن تستمر بين الناس فالمثل الذي يقول: «**ويشرب جملها من الماء**» ارتبط بحادثة معينة تمت في ظرف معين، ولكنه ـ المثل ـ يظل موجوداً كظاهرة تاريخية تحمل دلالة اجتماعية..

فإذا انتقلنا إلى مرحلة تاريخية تالية فقد يكون من المفيد أن نعرض لبعض النصوص التي سجلها الأبشيهي (٧٩٠ ـ ٨٥٠هـ) وما زالت شائعة حتى هذه الأيام بنفس صياغات الأبشيهي، وهو ما يعني أن لغة الأبشيهي قد تغيرت عن لغة الميداني، فقد سجل الأبشيهي أمثاله باللغة الشعبية التي كانت سائرة بين الناس في عصره.

لقد سجل الأبشيهي خمسة أمثال عن الجمل وهي موجودة كلها في مجموعات الأمثال الحديثة، واللافت للنظر أنها موجودة بصياغات الأبشيهي حتى ليمكن القول إن الأبشيهي ابن القرن الثامن الهجري موجود بيننا في القرن الخامس عشر بأمثاله.

يقول الأبشيهي: «**جمل موضع جمل يبرك**»[3] هذا المثل

(١) الأمثال العامية في نجد، محمد العبودي، ص ١٨٧، طبعة الحلبي.

(٢) نص ميداني، شيل: حمل، زرط: أصدر صوتاً من دبره، موالف: معتاد.

(٣) المستطرف ص ٣٤.

موجود في مصر والشام بنفس الصياغة[1] وفي أمثال المجمع للميداني: «**جمل موضع جمل**» وهذا المثل يرتبط بمحطات الجمال التي كانت القوافل تحط فيها للراحة وتغادر قافلة المحطة وتحل محلها أخرى. ويظهر هذا بشكل واضح في موسم الحج وحتى أربعينيات القرن العشرين كانت هذه المحطات ثابتة في أماكن محددة وعلى مسافات مناسبة وقد أشرنا إلى ذلك في الحديث عن رحلة الحج..

وفي الأبشيهي: «**جمل بحبة قال: وأين الحبة**»[2] عن شخص يريد أن يأخذ الجمل مجاناً أو بثمن ضئيل. وهذا المثل موجود في الأمثال الموصلية بصياغة: «**الجمل بفلس والفلس ماكو**»[3]، وفي الأمثال السورية: «**الجمل بفلس والفلس ما يلتقى**»[4]، وفي الأمثال العامية بمصر والشام: «**الجمل بفلس وفلس ما فيه**»[5]، والفلس والحبة عملتان قيمتهما ضئيلة، ولكن الصياغة واحدة وتحمل بعداً تاريخياً..

وفي الأبشيهي: «**قالوا للجمل زمر قال: لا شفايف ملمومة ولا أيادي مفرودة**» وهو موجود في مصر عند تيمور[6]. «**قالوا للجمل زمر قال: لا شفايف ملمومة ولا صوابع مفسرة**»، «**قالوا للجمل غنّ: قال لا حس حسن ولا حنك مساوي**» وفي الموصل[7]

---

(١) وحدة الأمثال العامية في البلاد العربية، محمد قنديل البقلي ص ٢٦٣ طبعة الأنجلو ١٩٦٨ ويوجد المثل بنفس الصياغة في أمثال شرف الدين بن أسد في القرن الثامن هـ.

(٢) المستطرف، مصدر سابق ص ٣٤.

(٣) المردد من الأمثال العامية الموصلية، محمد رؤوف الغلامي.

(٤) نقلاً عن الأمثال البغدادية المقارنة، عبد الرحمن التكريتي.

(٥) الأمثال العامية بمصر والشام في القرن ١٩، أناتول دي ميبوم، مصدر سابق، المثل رقم ٣٦١.

(٦) الأمثال العامية، أحمد تيمور، طبعة دار الكتاب العربي بمصر ١٩٥٦، ص٣٩١، ٣٩٢.

(٧) وحدة الأمثال العامية في البلاد العربية، محمد قنديل البقلي، مصدر سابق، ص ١٧٨.

«**قالوا للجمل عقبتك عوجا قال: أش أكو بيي شي عدل**» ويقال ذلك على سبيل الاستهزاء..

وفي الأبشيهي: «**لو نظر الجمل لصنمه كان كدمه**» وهذا المثل شائع في أنحاء العالم العربي ـ في بلاد الشام والموصل والجزائر والمغرب ومصر بصياغات مختلفة. ونقتصر هنا على صياغتين إحداهما مصرية شامية تقول: «**لو شاف الجمل حدبته لوقع وانكسرت رقبته**»[1] وهي تتفق في المعنى مع صياغة الأبشيهي، أما الصياغة الأخرى فهي تخص أبناء المغرب العربي تقول: «**الجمل ما يشوفش حدبته يشوف حدبة خوه**»[2] بمعنى أن الإنسان لا ينظر إلى عيوبه ولكنه ينظر إلى عيوب الآخرين..

وفي الأبشيهي يقول المثل: «**راحت على جمل وجات على قطة قال: ما لدي الشيلة إلا دي الحطة**» وفي تيمور[3]: «يا دي الشيلة يا دي الحطة رحت على جمل وجيت على قطة»..

إن هذه النصوص التي أوردها الأبشيهي لا تختلف عن النصوص الحديثة. والأبشيهي بهذه الصياغة المثلية كان يمثل مرحلة لغوية تطورت عن عربية ثقافية قاموسية إلى لغة عربية بسيطة ما زالت تشيع بين الناس حتى هذه الأيام، سواء على المستوى اللفظي أو على مستوى تركيب الجملة فتعبير «لا.... ولا» لا نلحظه في العصور السابقة، وكذا الكلمات راحت، جت، الشيلة، ملمومة، مفرودة، حنك... إلخ.. كلها كلمات تجري على ألسنة الناس على كافة المستويات الشعبية وغير الشعبية رغم أنها كلمات ذات

(١) الأمثال العامية، أحمد تيمور، مصدر سابق، ص ٤٥٢.

(٢) وحدة الأمثال العامية، البقلي، مصدر سابق، ص ٨١.

(٣) الأمثال العامية، أحمد تيمور، مصدر سابق، ص ٥٣٦.

جذور عربية مثل راح من الرواح وجت من المجيء، ملمومة من لمّ.. إلخ. وهو ما يشير إلى أن اللغة الشعبية هي في واقع الأمر عربية الجذور تصرّف فيها العوام بما يتفق مع إمكاناتهم الصوتية، وهذه الملحوظة قد رآها كاتب هذه السطور في مجموعة أمثال شرف الدين بن أسد في القرن السابع الهجري[1] حيث وجدنا شكلاً من أشكال التعبيرات الجديدة عربية الجذور شعبية الاستخدام..

ومن ناحية أخرى فإننا نلاحظ أن الأفكار في هذه الأمثال لها علاقة بأسلوب التعامل اليومي وهو ما يعني تواصل الدور الوظيفي للجمل منذ القديم حتى هذه الأيام، وأنه لم يحدث تغير حقيقي إلا منذ منتصف القرن العشرين حين دخلت وسائل المواصلات الحديثة لتحدَّ من دور الجمل..

كما أن هذه الأمثال الممتدة عبر التاريخ لم تقتصر على قطر دون آخر، ولكنها منتشرة على مستوى العالم العربي، فوجدنا المثل في الموصل في شمال العراق، ووجدناه أيضاً في المغرب والجزائر ومصر، وطبيعي أن يكون منتشراً في البلاد الأخرى ما بين العراق في المشرق العربي وما بين المغرب في المغرب العربي، وهذا يدل على أن التوزيع البشري للسكان على مستوى العالم العربي عبارة عن محطات بشرية في هذا العالم الصحراوي المترامي الأطراف..

كما أن العالم العربي لم يكن محصوراً في تلك الحدود المصطنعة، والتي رسمها الاستعمار الأوروبي الحديث، ولكن

---

(١) ولد شرف الدين بن أسد المصري حوالي ٦٧٠هـ، انظر كتاب.. «العادات والتقاليد المصرية» ترجمة كاتب هذه السطور، سلسلة الألف كتاب الثانية رقم ٧٣ وقد أعيد طبع هذا الكتاب في سلسلة «مكتبة الأسرة» وصدر في يونيو ١٩٩٧ ثم أعيد طبعه للمرة الرابعة في عام ٢٠٠٠م.

الإنسان العربي كان يتحرك دون قيود أو عوائق في الوطن العربي أو ما كانت تسمى دار السلام، والتي تبدأ من أقصى الشرق إلى أقصى الغرب، وكان الناس يتنقلون بحرية وأمان ودون إحساس بالغربة ويتزاوجون ويستقرون حيث يطيب لهم الاستقرار. وهكذا فقد انتقلت الأفكار من القديم إما عن طريق الرواية الشفوية، أو عن طريق الوثائق المكتوبة إلى كل الأنحاء..

وفي هذا الامتداد الصحراوي الشاسع لم تكن هناك وسيلة مناسبة لربط هذه الأطراف المتباعدة ودمج الناس مع بعضهم إلا الجمل الذي كان يقطع هذه المسافات بسهولة ودون مشكلات أو أخطار كبيرة..

وطبيعي أن يتولد عن هذا الامتزاج البشري حدوث تبادل بين الأقطار المتباعدة وبين المثقفين والعامة طوال التاريخ، وقد ظهر هذا بوضوح في أمثال الجمل. كما أن بقاء هذه الأمثال طوال هذه القرون دون تغيير جذري في بنية المثل أو موضوعه تشير إلى أن المجتمعات العربية تعيش في أسلوب حياة تقليدي مشدود إلى الماضي، كما أن المجتمعات تحاول أن توظف أشكال التعبير الموروثة ضمن إيقاع الحياة المعاصرة، حيث إن نسبة من هذه الأشكال التعبيرية لم تفقد دورها أو حيويتها، ومن ثم لم ينصرف عنها الناس على كافة المستويات..

ولعل تلك الإشارات التي سجلناها على المستوى الصحفي في مصر تؤكد هذه الملحوظة. أما الدليل النصي في أن أمثال الأبشيهي ما زالت تتردد بيننا على المستوى الشفوي وعلى مستوى المثقفين، فمن منا لم يسمع المثل الذي يقول: «**يادي الشيلة يادي الحطة راحت على جمل وجت على قطة**» أو المثل الذي يقول:

«**الباب يفوّت جمل**» كأسلوب للطرد، والمثل الذي يقول «**خيبة الأمل شايلة جمل**» أو المثل: «**راح الجمل بما حمل**» ومن منا لم يسمع المثل الموجود في الميداني بنصه والذي يقول: «**الجمل في شيء والجمّال في شيء**».

الفصل الخامس

- ظواهر أدبية
- الجمل وصياغة المثل
- ظواهر أدبية في المثل القديم
- ظواهر لغوية وأدبية في المثل الحديث
- ظواهر لغوية

ظواهر أدبية

- الحوار
- الألغاز
- الخلفية السلوكية
- الخلفية الاجتماعية
- الخلفية الجغرافية
- الخاتمة

المعروف أن الجمل هو الحيوان الوحيد الذي استطاع أن يساعد سكان هذه المنطقة الممتدة من الخليج العربي إلى المحيط الأطلسي في التغلب على عائق المسافات في الصحارى والوديان. فقد عمل هذا الحيوان على ربط هذه المناطق الشاسعة ببعضها فيما قبل الإسلام وبعده حيث عمل على خروج الهجرات العربية إلى الشام ومصر والسودان ومنطقة الشمال الإفريقي وفي أواسط إفريقيا..

وطبيعي أن يكون هذا الجمل من العناصر الهامة التي ساعدت على الترابط الاجتماعي والفكري والثقافي والسياسي في هذه المنطقة، وطبيعي أيضاً أن يكون الجمل مصدراً كبيراً للمصطلحات العديدة التي غزت مفردات اللغة العربية ووسعت من رقعة ثرائها. فلقد تولدت كلمات كثيرة عن ملاحظة الناس لسلوك الجمل وتكوينه الجسماني، ثم انتقلت هذه المفردات إلى الاستخدام العام، وأصبحت عنصراً أساسياً في بنية اللغة العربية.. وعلى الرغم من تغير الظروف بعد انتشار الإسلام شرقاً وغرباً من حيث الزمان والمكان، وارتحال القبائل العربية في صورة موجات من الهجرة، إلا أن الكثير من هذه الكلمات والمصطلحات ظلت تؤدي دورها بالنسبة لهذا الحيوان منذ مولده حتى آخر حياته، بما يساعد على دقة التعامل الأمثل مع هذا الحيوان أو لأنها انتقلت إلى الاستخدام العام..

ويكفي هنا أن نعرض باختصار بعضاً من تلك المسميات التي

سجلها الثعالبي[1] كما يأتي:

إما بشكل مفرد كوصف الحال: فيقول: ولد الناقة: حوار، العود: الجمل المسن، الناب: الناقة المسنة، نهك الناقة حلباً إذا حلب لبنها كله، برك البعير، جلد الإبل... إلخ. وقد سجل الثعالبي في هذا ٩٨ مفردة «مصطلحاً» عن أوصاف الإبل وأسلوب التعامل معها..

وإما في فصول وتحت عناوين خاصة.. وقد أورد تحت كل عنوان مصطلحات تتراوح بين أربعة، ٥٣ مصطلحاً ويبلغ عدد هذه المصطلحات ٢٤٦ مصطلحاً، أما العناوين فعددها ١٨ عنواناً نرى من المفيد أن نذكرها هنا ذلك أنها تحمل دلالات معينة وترصد تفاصيل تدل على طبيعة دور هذا الحيوان في الحياة البدوية. وهي:

* ترتيب سمن الناقة
* ألوان الإبل
* فيما يركب عليه
* فحول الإبل وأوصافها
* أوصافها في اللبن والحلب
* أوصاف النوق
* تفصيل ضروب سير الإبل
* في سائر أوصافها
* ترتيب سير الإبل عن الأصمعي
* ترتيب سير الإبل
* أصوات الحركات
* تفصيل سير الإبل إلى الماء في أوقات مختلفة
* في القوافل
* في الانقطاع عن المشي
* تفصيل جماعات الإبل وترتيبها
* ترتيب سن البعير
* في الهنة تجعل في أنف البعير

ولا شك أن هذه العناوين التفصيلية توضح نوعية الاهتمامات التي كانت تشغل بال أصحابها، حتى أن الشخص الذي يسرق الإبل

(١) فقه اللغة وسر العربية، أبو منصور عبد الملك الثعالبي، طبعة مطبعة الاستقامة عام ١٩٥٩.

يسمى ضارب، والمنسم للبعير بمنزلة الظفر للإنسان، واللغام للبعير كاللعاب للإنسان، شِيْب حكاية جرع الإبل الماء. . . إن الاهتمام بهذه التفاصيل الدقيقة يعكس ضرورة هذا الحيوان للعرب.

وفي هذا المجال قد يكون من المفيد أن نستعرض بعضاً من تلك المصطلحات الخاصة بالجمل والتي انتقلت إلى الاستعمال العام وما زالت تؤدي دوراً في الحياة العامة حتى هذه الأيام. .

فكلمة «عضال» بمعنى المنع والتضييق، وقال الأزهري: وأصله من عضلت الناقة إذا نشب ولدها فلم يسهل خروجه[1]، ونحن نستخدم هذا المصطلح فنقول: «داء عضال» بمعنى مرض عسير أعيا الأطباء، ويقال: ناقة عزوز قليلة اللبن. ونقول هذا الأمر عزيز المنال، ويقال: «حمائم الإبل»[2] واحدها حميمة بمعنى في خيار الأشياء، وفي أيامنا هذه تستخدم حميمة بمعنى رقيقة أو مشاعر فيها دفء. وإذا بلغت الناقة في حملها عشرة أشهر فهي عشراء[2]، ونحن نقول ـ في الريف ـ للجاموسة أو البقرة عشر بمعنى حامل، وهو تعبير شائع بين الفلاحين، وعندما يشتد وجد الناقة على ولدها فهي «والِهٌ» ونحن نردد هذه الكلمة بنفس معناها القديم، والنسال والنسيل هو ما يتساقط من وبر البعير، ونحن نردد هذه الكلمة فنقول سجادة «منسِّلة» أي سقط وبرها، وتطلق «شمردلة» على الناقة حسنة الخلق الفتية، وفي بلدتنا ـ زفتى ـ عائلة شمردل، ويقال: «مخطم البعير» للأنف، ونحن نقول على المستوى الشعبي «خطمه» بمعنى «أنفه»، وإذا كان فحل الإبل قليل اللحم فهو مقدد، ونحن نطلق على المستوى الشعبي ـ على رغيف الخبز الجاف ـ

(١) فقه اللغة، النيسابوري، مصدر سابق.

(٢) فقه اللغة، النيسابوري، مصدر سابق.

عيش مقدِّد، والناقة إذا توجهت إلى الماء فهي «قارب» وأطلقنا ذلك على القارب في الماء الذي ينقل الناس من شاطىء النيل إلى الشاطىء الآخر، وإذا بلغت جماعات الإبل المائة فهي «هنيدة» واسم هنيدي شائع بين الممثلين، أما قافلة الجمال التي تحمل أزواد قوم خرجوا لمحاربة أو إغارة فهي القيروان، ومدينة القيروان المغربية مشهورة، والبعير إذا استحكم هرمه فهو كحكحٌ، ويتردد بيننا حتى الآن فيقال عجوز مكحكح، وهكذا كلمة سليل، والعقال، ومراح، كشط.. إلخ.

وهكذا فقد زود هذا الحيوان اللغة العربية بالعديد من الكلمات وما زال بعضها يؤدي دوراً في الحياة العربية في لغة التخاطب بين الناس، سواء على المستوى العام للغة الثقافية أو على مستوى لغة التخاطب بين الناس..

وفي هذا المجال فقد أحصينا ما ذكر الثعالبي صاحب فقه اللغة وسر العربية عن الجمل وقد بلغ ٣٢٨ كلمة أو مصطلحاً ـ أشرنا في السطور السابقة لبعض منها ظل متداولاً بين الناس حتى هذه الأيام، ولكن هناك الكثير من هذه المصطلحات التي أصبحت تاريخية نذكر منها «العبطموس» وهي الناقة حسنة الخلق، وناقة «عيطل» إذا كانت طويلة في حسن، وناقة «قيدود» إذا كانت طويلة، وإذا كانت الناقة قليلة اللبن فهي «بكيئة» و«دهين».. وإذا كانت كثيرة اللحم فهي «عَنْتَريس»، وإذا لم يدع الجمل جهداً عند الجري فذلك «الادرنفاف».. وهكذا نلاحظ هنا أن هذه المصطلحات التي بطل استخدامها تتفق مع تغير الظروف والأزمان، وأيضاً انعدام استخدام الجمل في حياة العامة حتى لقد تحول هذا الحيوان إلى حيوان متحفيّ ويوجد منه في حديقة الحيوان، وما بقي من هذه المصطلحات هو ما يتعلق بالمسمى كالجمل والإبل..

ومن ناحية أخرى فإن هذه المفردات لها دلالات عدة مرتبطة بإيقاع الواقع الاجتماعي، ولذلك فإن الوقوف عند كل مفردة من هذه المفردات يستغرق صفحات كثيرة، ولذلك فنحن نتوقف عند مفردة الإبل والجمل..

فمفردة ـ الإبل ـ أكثر شيوعاً في العالم القديم، وذكرت في القرآن الكريم، فقد أورد الميداني وأما قولهم «ما آبله» أي ما أكثر إبله، ثم قوله: وإنما يقولون: تأبل إبلاً إذا اتخذها، ففي كل واحد منهما خلل وذلك في قولهم: ما آبله ليس من الكثرة في شيء إنما هو تعجب من قولهم أبل الرجل يأبل فهو أبل وآبل أي حاذق بمصلحة الإبل. وفلان من آبل الناس أي من أشدهم تأنقاً في رعية الإبل وأعلمهم بها. فقولهم: ما آبله معناه ما أحذقه وأعلمه بها. والتأبل إنما هو امتناع الرجل من غشيان المرأة ومنه الحديث: لقد تأبل آدم على ابنه المقتول كذا عاماً، وتأبلت الإبل: اجتزأت بالرطب من الماء، والصحيح في اتخاذ الإبل واقتنائها قول الطفيل الغنوي:

فأبّل واسترخى به الخطب بعدما أساف ولولا سَعْيِنا لم يؤبِّل

أي لم يكن صاحب إبل ولا اتخذها قدوة[1] وقال ابن بري: إن أبَّل في البيت بمعنى كثرت إبله وأساف هنا: قل ماله وابَّال: يرعى الإبل وفي الآية ﴿أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت﴾[2] وكلمة إبل ترادف كلمة جمل، ففي المعجم الوسيط الإبل: الجمال والنوق، لا واحد له من لفظه مؤنث.

(١) مجمع الأمثال للميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد النيسابوري ت ٥١٨هـ جـ١ ص ١١٥ منشورات مكتبة الحياة، بيروت ١٩٨٥.

(٢) لسان العرب، ابن منظور المصري، جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي، ولد ٦٣٠ هـ وتوفي ٧١١ بالقاهرة، مادة أبل، طبعة دار المعارف بمصر ١٩٨١.

أما كلمة **جمل**: ففي لسان العرب[1] الجمل: الذكر من الإبل وقال الفراء: الجمل هو زوج الناقة وفي التنزيل: ﴿حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾. والجمل: الجماعة من الناس، وفي الحديث: «لكل أناس من جملهم خُبْرٌ» ويروى «جميلهم» على التصغير يريد صاحبهم، ويروى: لكل أناس في بعيرهم خُبْرٌ، فاستعار البعير والجمل للصاحب. وفي الحديث: «إن الله جميل يحب الجمال» أي حسن الأفعال كامل الأوصاف. ومن أمثال العرب: «**اتخذ الليل جَمَلاً**» إذا سرى الليل كله، «واتخذ الليل جملاً» إذا ركبه في حاجته، ويضرب أيضاً لمن يعمل بالليل عمله من قراءة أو صلاة أو غير ذلك..

ولا شك أن اتخاذ الليل جملاً يعني العمل الشاق المتواصل ونرى فيها أيضاً مدى تأثير هذا الحيوان على السلوك البشري..

ومن ناحية أخرى فكلمة الجمل بضم الجيم وسكون الميم وفتحها يعني الحبل الغليظ، والجمل بضم الجيم والميم: الجماعة من الناس، وهذه تنقلنا إلى كلمة أخرى قريبة منها وتدعونا إلى التساؤل عما إذا كانت هناك علاقة بينهما، وهذه الكلمة هي كلمة «جبل» فيقال جبل جبلاً بفتح الجيم والباء: غلظ وضخم فهو جبل، والجبل بفتح الجيم وسكون الباء: الأمة، الجماعة من الكثير، والجبل ما علا من سطح الأرض واستطال، ويقال: فلان جبل بمعنى ثابت لا يتزحزح. وفلان جبل: أي سيد القوم.. والفرق بين الكلمتين حرف واحد ولكن المعنى متقارب، فكلمة جبل هو ما غلظ وضخم، والجمل حيوان ضخم الجسم، ومما يؤكد ذلك أن الكلمتين تتكون كل منهما من ثلاثة حروف كما أنه يمكن الربط بينهما مكانياً، فالجمل حيوان صحراوي وجبلي أيضاً، وفي

(١) المصدر السابق، حرف الجيم، ص ٦٨٣.

القاموس أيضاً الجبل بضم الجيم وسكون الباء: الشجر اليابس، والجبيلة بمعنى القبيلة وهو ما يشير إلى أن الكلمة استخدمت عدة استخدامات للدلالة على بعض الظواهر الطبيعية المحيطة بالبدوي كالجبل والجمل والشجر اليابس والقبيلة وتلمح فيها أيضاً ضرباً من الاشتقاق، وهي أيضاً مكوّن رئيس للحياة البدوية..

وهذه الملاحظات تنقلنا إلى دلالة أخرى وهي أن هذه الكلمة ربما كانت من الكلمات القديمة، وهي من أوائل الكلمات التي تكونت في اللغة العربية، حيث ترجع إلى بدائية الحياة البدوية وفقرها اللغوي في القديم، وهذه تقدم فكرة عن البداوة الأولى في الجزيرة العربية حيث يلجأ البدوي إلى الكلمة الواحدة ذات الحروف القليلة فيغير حرفاً لكي تدل على ظاهرة أخرى في نفس البيئة (جمل جبل) أو يضيف حرفاً أو يغير ويضيف حرفاً (جبيلة ـ قبيلة) وهي أمور تعبر فيما نعتقد عن التطور الطبيعي للغة...

لقد أحصى كاتب هذه السطور كلمة «إبل» في كتاب «مجمع الأمثال» فوجد أنها تكررت ٢٧ مرة. أما كلمة «جمل» فقد تكررت ٢٩ مرة، وهو ما يعني أن كلمة جمل هي الأكثر شيوعاً في القديم وبشكل نسبي، بينما في العصر الحديث فإن كلمة «جمل» هي التي تتردد في أنحاء الوطن العربي شرقه وغربه. أما كلمة «إبل» فإنها محدودة الانتشار وهي قاصرة على مناطق البادية في الصحراء، وكذلك الحال بالنسبة لكلمة «ناقة»، وهي أنثى الجمل، فإنها تقتصر في انتشارها على مناطق البادية في الصحراء وليس لها وجود في مناطق الريف أو في المدن حيث إن الاستخدام الفعلي كان يقتصر على الجمل الذي ينقل الأحمال من مكان إلى آخر..

أما كلمة **الهجين**: ففي «لسان العرب» الهجان من الإبل: البيض الكرام، ويستوي فيه المذكر والمؤنث، وفي المثل: «جلت

الهجان عن الولد» فعلى التفاؤل، وفي معجم الوسيط(١): الهجين: ضرب من النوق خفيف الجسم سريع السير. والهجانة أحسن البياض في الرجال والنساء والإبل(٢). ولا شك أن ما أشار إليه تعريف معجم الوسيط هو ما يفسر شيوع سباقات الجمال على مستوى العالم العربي(٣) تحت مسمى سباقات الهجن حيث يتم اختيار نوعية من النوق خفيفة الجسم سريعة الركض تستطيع أن تسابق غيرها في حلبة السباق.

إن هذه المفردات التي دارت حول الجمل، وأسهم في خلقها كان لها تأثير عميق في تحديد رؤية الناس للعالم ليس فقط على مستوى المفردات وما تشير إليه من أشياء في الواقع المادي أو دلالات ومعانٍ في الواقع الذهني، وإنما أيضاً على مستوى التراكيب اللغوية وطريقة ترتيب المفردات، ذلك أن التراكيب اللغوية عبارة عن مفردات ممتزجة في تركيب وبترتيب معين لتؤدي انطباعاً معيناً لدى الناس.. وعند هذه الفكرة فإنه يمكن الوقوف عند تطور الاستخدام أو تأثير التكوينات اللفظية أو الأسلوبية على السلوك الاجتماعي في المجتمعات العربية والإسلامية حتى هذه الأيام..

لقد استخدمت المسميات العديدة للجمل أو تلك المصطلحات التي دخلت إلى اللغة العربية ضمن أصولها وكانت من عوامل تراثها في قضايا حياتية أخرى مشابهة لتلك الأحوال التي رصدها الناس للجمل.

(١) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية.
(٢) فقه اللغة وسر العربية/ الثعالبي/ مصدر سابق، مطبعة الاستقامة ١٩٥٩، ص ١٢٣.
(٣) سباق الهجن الدولي وقد حضرت إحدى هذه السباقات في ٢١/ ١١/ ١٩٩٦ في العريش ويوجد أيضاً سباق الهجن الدولي في مهرجان الجنادرية بالسعودية.

وعلى سبيل المثال فإن كلمة «حنين» تولدت عن حنو الناقة الشديد على ولدها، والمثل المشهور في العريش يقول: «**حَنّ حوير بكاني حنين أمه**» والحوير: الجمل الصغير بمعنى أن حنين الأم على وليدها الصغير أثار بكائي. وكلمة «الحنين» هذه تولدت عن ملاحظة سلوك الناقة مع وليدها، وهو سلوك أثار دهشة المشاهد، وانتقلت كلمة «حنين» إلى الاستخدام العام، ومن ثم فقد أصبحت الناقة بحنوها الذي أثار الانتباه عبارة عن نموذج وأصل لهذا السلوك الفطري. والعجيب أن شدة الحنين هذه تتصاعد لدى الناقة إلى أقصى درجاتها، ولكن بشكل مختلف وهو المحنة فيقول المثل السيناوي: «يا محنة الوالدة ما بعدها محنة» والوالدة هنا هي أم الجمل الصغير الذي فقدته ففقدت صوابها، ودخلت في دوامة المحنة في أقصى درجاتها..

* * *

وقبل الحديث عن بعض الظواهر الأدبية في نصوص الأمثال فقد يكون من المناسب أن نسجل عدة سطور عن فن ارتبط بالجمل ارتباطاً شديداً وهو ما قد يفسر بعض أشكال النصوص المثلية وهذا الفن هو فن المواليا..

فإذا ذكر «المواليا» ـ فن الموال بالتعبير الشعبي ـ فإن أول ما يخطر على الذاكرة ذلك الحيوان الذي يعد مصدراً لهذا الفن وهو الجمل، ذلك أن المواليا هو الغناء على ظهور الإبل.. فالحداء هو الغناء للإبل أثناء سيرها أو أثناء شربها، وهذا الغناء ـ فيما يروى ـ يساعد الإبل على تحمل مشاق الطريق وطول المسافات والأحمال التي تثقل كاهلها..

ومن الحكايات الطريفة التي يرويها البدو عن تأثير الحداء

على الإبل أن أميراً مرَّ بشيخ عرب فرآه قد قيد عبداً بالحديد فقال الأمير: ما الذي جناه هذا العبد حتى استحق هذا الجزاء؟ فقال الشيخ: اتبعني. ثم أخذه إلى مراح الإبل فرأى الإبل منهكة لا تستطيع حراكاً، فقال للعبد: غنِّ لها فغنى العبد فنهضت الإبل من فورها متحمسة كأن لم يكن بها شيء. فقال الشيخ: هذا العبد أتى بالإبل من مكان بعيد وهي تحمل أثقالاً وأخذ يغني لها حتى ضاعفت سيرها ووصلت إلى هذه الحال من التعب[1]. ويسجل أحد العلماء أن هناك من الشعر ما يصاحب بعض الآلات الموسيقية استحثاثاً للإبل على السير أو تجميعاً للقطعان المتناثرة في المراعي، أو الشاردة في شعاب الصحراء[2]...

إن فن الحداء يشير إلى طبيعة هذا الحيوان ومشاعره المرهفة ولعل أبرزها صفة الحنان التي شدت انتباه العلماء فيقول أحدهم: كلمة الحنان تعني الشفقة والرحمة والمحبة، وأصلها من حنين الناقة على ولدها[3]..

ويقول بوركهارت: إن العرب على اختلاف أمصارهم سواء منهم عرب العراق أو الشام أو شبه الجزيرة أو مصر يغنون ألحاناً ذات طابع مشترك بين هذه الأقوام جميعاً، وهي تختلف تمام الاختلاف عن ألحان المغاربة والعرب الزنوج ـ على أن هناك ضرباً من الغناء تشترك فيه هذه الشعوب جميعاً ألا وهو «الحداء» غناء يسوقون به الإبل في مسيرها ليلاً على الأخص، والحداء أحب ضروب الغناء إلى البدو في الصحارى العربية، وقد سمعته على

(١) سيناء وطني، إعداد قسم الإعلام، طبعة أولى ١٩٨٢، ص ٦١.
(٢) دفاع عن الفولكلور: د. عبد الحميد يونس، ص ٢٦١، طبعة هيئة الكتاب ١٩٧٣.
(٣) صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، سورة مريم.

ضفاف الفرات كما سمعته على ضفاف العطبرة[1].

* * *

إن أول ما يمكن ملاحظته في أمثال الجمل هو أن اللغويين كانوا يلجأون إلى ضرب الأمثال للاستشهاد عند التفسير اللغوي وهو ما يعني شيوع هذه النصوص حتى إنها أصبحت مادة صالحة للاعتماد عليها عند الاستشهاد فقد جاء في تفسير اللسان قول شمر: الجمل والناقة بمنزلة الرجل والمرأة، وفي حديث السيدة عائشة عندما سألتها امرأة: أأخذ جملي؟ تريد زوجها وهذا الربط بين الزوج والجمل لم يتوقف عند القدماء ولكنه ممتد حتى أيامنا هذه، ففي الريف وفي الأحياء الشعبية نجد أن المرأة عند وفاة زوجها فإنها تبكي وتنوح مرددة التعبير «يا جملي» وهو ما يشير إلى أنه كان الحامي والسند والمثل الشعبي يقول: «**ابن الجمل والناقة**»[2] على الشخص الأصيل من جهة الأب والأم..

ولا شك أن ضرب الأمثال بالجمال تعد امتداداً لعادة العرب بضرب الأمثال بالبهائم والحيوانات والطيور وغيرها، وقد أشار إلى ذلك أحدهم فقال «ما زال الناس يضربون الأمثال بالبهائم والطيور والحشرات والهوام وهذه أمثال العرب بين أيديهم في حواضرهم وبواديهم، وفي القرآن الكريم ﴿إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلاً ما بعوضة فما فوقها﴾ [البقرة: ٢٦]، وفي تفسير سورة إبراهيم يقول: «العرب تقول: شر الإبل العنود»[3].

(١) رحلات بوركهارت في بلاد النوبة والسودان، فؤاد أندراوس، ص ٢٧٥ طبعة ١٩٥٩ م.
(٢) وحدة الأمثال العامية في البلاد العربية، محمد قنديل البقلي، طبعة ١٩٦٨ نقلاً عن كتاب أمثال المتكلمين من عوام المصريين لمحمود عمر الباجوري.
(٣) صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني ج ١، ٤٦.

ويبدو من خلال المتابعة أن الجمال كانت أكثر الحيوانات استئثاراً بنصوص الأمثال ويرجع ذلك ـ فيما نعتقد ـ إلى دورها في شؤون الحياة العربية سلماً وحرباً، بل إن الجمال كانت تستمد مكانتها من مكانة أصحابها، ويكفي في هذا المجال أن نشير إلى قصة طريفة فقد «أتى وائل بن حجر إلى النبي ﷺ فاقتطعه أرضاً، وقال لمعاوية: اعرض هذه الأرض عليه واكتبها له، فخرج معه معاوية في هاجرة شديدة، ومشى خلف ناقته فأحرقه حر الشمس فقال له: أردفني خلفك على ناقتك. قال: لستَ من أرداف الملوك. قال: فأعطني نعليك قال: ما بخل يمنعني يا ابن أبي سفيان، ولكن أكره أن يبلغ أقيال اليمن أنك لبست نعلي، ولكن امش في ظل ناقتي فحسبك بها شرفاً»[1]. .

إن هذه المشاهد والروايات يمكن أن تقدم لنا خلفية تساعد في إلقاء الضوء على بعض الملامح الأدبية في نصوص الأمثال القديمة والحديثة. .

والمعروف أن الأمثال من أوسع المأثورات الشعبية انتشاراً بين الناس، حيث إنها تعيش بينهم في كل الظروف والأزمنة وعلى كل المستويات الثقافية وحتى بين الأميين، ذلك أنها تدخل ضمن إيقاع الحياة اليومية، والأمثال عبارة عن صياغات متداولة بين الناس قديماً وحديثاً ذات تركيبات أسلوبية معينة، وقد سجل العلماء بعض هذه التركيبات في حينها، فأصبحت صياغات ثقافية تاريخية تحمل دلالات الزمان والمكان، وربما بقيت على المستوى الشعبي الشفاهي إلى فترات زمنية تالية قد تمتد إلى مئات السنين. . ويكفي أن نذكر مثلين ذكرهما الأبشيهي وما زال الناس يرددونهما على

(١) المستطرف، الأبشيهي جـ١/ص١٢٩.

المستوى الشفاهي رغم أنهما انتقلا زمن الأبشيهي إلى مستوى التسجيل العلمي وهما:

- **«كل أكل الجمال وقم قبل الرجال»**.

- **«قالوا للجمل زمر. قال: لا شفف ملمومة ولا أيادي ممدودة»**.

وهكذا فإن الأمثال القديمة ما هي إلا نصوص شفاهية سجلها العلماء في حينها، فانتقلت إلى عالم الوثائق العلمية وظل البعض منها يتداوله الناس..

الجمل وصياغة المثل

من تحصيل الحاصل أن نقول إن الجمل له دور فاعل ومؤثر في الحياة العربية قبل الإسلام وبعده في السلم والحرب، فهو الوسيلة الوحيدة المناسبة لنقل البشر والبضائع خلال الصحراء من مكان إلى آخر، وقد وجدنا ملامح هذا الدور لا بالنسبة لمتابعة أحداث التاريخ أو العلاقات اليومية فحسب، ولكن أيضاً على المستوى اللغوي بشكل عام، وأيضاً على مستوى المثل بشكل خاص، وقد وجدنا أن أحد التعريفات التي ذكرها القدماء مستمدة من مشاهدة إحدى عادات الجمل، فيقول ابن النديم في الفهرست تحت عنوان معنى المثل: «قال يعقوب: إن البعير إذا حمل عليه فأثقله الحمل مد عنقه واعتمد على ذقنه فلا يكون له في ذلك راحة».. يقال للرجل إذا تكلف أمراً أو نزل عليه فضعف عنه

(١) الفهرست، ابن النديم. أبو الفرج محمد بن إسحاق ت ٣٨٠ هـ، ٩٩٠م، ص٨٤ طبعة الرحمانية ١٣٤٨هـ ويعقوب هو يعقوب بن السكيت ت ٢٤٦ هـ وكان في حضرة الأثرم ت ٢٣٠ هـ.

فاستعان بأضعف منه عليه. هذا معنى المثل[1] وقد عرف يعقوب المثل تعليقاً على سؤال لم يجب عليه الأثرم.. وهذه الإشارة تعني أن علماء اللغة قد عرفوا مصطلح «مثل» من خلال مشاهدة حالة الجمل وهو يقوم بحمل ثقيل فاعتمد على ذقنه...

ظواهر أدبية في المثل القديم

أول هذه الظواهر أن الجملة المثلية القديمة قصيرة ومركزة، وهي لا تتعدى ثماني كلمات في بعض الأمثال والتي لا تتعدى عدد أصابع اليد الواحدة، ومن ذلك المثل: «لا أحسن تكذابك وتأثامك تشول بلسانك شولان البَرُوق»[1] وكلها تدور بين ثلاث كلمات وأربع وهو ما يتفق مع طبيعة العربي الذي يميل إلى التركيز..

وثاني هذه الظواهر أنها تنزع إلى الحكمة أو وصف ظاهرة أو تقديم نصيحة أو عقد مقارنة باستخدام أفعل التفضيل كالمثل: **«أشهر ممن قاد الجمل»**[2].

أما أبرز هذه الظواهر فهي تلك الحكايات التي تصاحب النص المثلي.. أو ذلك المثل الذي يأتي كخاتمة لحكاية. ويمكن ملاحظة أن نسبة كبيرة من أمثال الجمل مصحوبة بحكايات ترصد ما يدور من تفاعلات يومية بين الأفراد..

ويمكن أيضاً ملاحظة أن هذه الحكايات كثير منها ليس لها علاقة بالخيال الأسطوري رغم بعض التداخلات هنا وهناك، ذلك أن أغلب الحكايات التي ارتبطت بالأمثال هي حكايات ذات عناصر من الحياة الواقعية قد أثرت الصياغات الأدبية في مفرداتها وعناصرها، وقد لاحظنا أن الحكايات التي تنتهي بمثل يقوم المثل

(١) الميداني، جـ٢ ص٢٢١، بيروت، مكتبة الحياة.
(٢) الميداني جـ١/٥٤٢.

بتفسير المغزى من القصة أو تكثيف الهدف، ويمكن اعتبار أن المثل هو قصة في صورة مركزة. .

وفي نفس الوقت فإن النص المثلي قد لا يمكن استيعابه أو الوقوف على مغزاه إلا من خلال القصة وكأن هناك تكاملاً وظيفياً بين الصياغة المثلية والبناء القصصي من ناحية، وبين الغرض أو الهدف من القصة من ناحية أخرى، أو أن هناك ارتباطاً وظيفياً بين طباع الجمل بشكله الجسماني وبين السلوك البشري. .

ومن ناحية أخرى، فإن هذه الحكايات قد تكون إحدى أساليب الترويح، أو الترفيه، أو هي جزء من أدب المسامرة والتسلية الذي انتشر في العصور التي تلت الفتوحات، وهي عصور الاسترخاء حيث ينزع الناس في فترات الراحة إلى اجترار الماضي وإدخاله كمادة للتسلية حيث أصبحت «أيام العرب» مادة محبوبة وتعبر عن الاعتزاز العربي أمام الحضارات الأخرى، ومن هنا اختلطت أشكال التعبير وتداخلت، فوجدنا القصة المثلية أو المثل القصصي، وقدم الجمل بسلوكه وطباعه مادة مناسبة وجاذبة للمسامرة وإمتاع النفس والتسلية تعتمد على أيام العرب أو أقاصيص الفتوحات أو تتحدث عن الصراعات بين القبائل أو تتحدث عن قصص الحب. .

ومن ناحية فإن الفتوحات الإسلامية لم تبدأ بشكل كبير إلا منذ العصر الأموي الذي امتدت فيه الفتوحات شرقاً وغرباً حتى الأندلس ودخول الأعاجم وانتشار الإسلام وما ترتب على ذلك من ظهور القادحين والمادحين، وانتشار أسلوب الوضع، ففي هذا الجو يمكن أن تشيع هذه الحكايات سواء كانت ذات أصول تاريخية، أو اختلط بها الخيال، أو حتى خيالية بعيدة عن وقائع التاريخ، أو تولدت عن ملاحظات عابرة أو استخدامات متباعدة. .

وحكايات أمثال الجمل يمكن أن تدخل ضمن حكايات الحيوان بشكل عام، وهي حكايات أقرب إلى الحكايات التعليمية، حيث تشرح وتفسر وترصد العلاقات، بحيث يمكن اعتبارها جزءاً مفسراً للاجتماع البشري والتاريخ في آن واحد، وهي تتميز بالصدق والتلقائية والبعد عن التزييف أو الدعاية، ولذلك فإن هذه الحكايات بأمثالها تكشف عن السلوك والأخلاقيات بكل سلبياتها وإيجابياتها . .

ظواهر لغوية وأدبية في المثل الحديث

ظواهر لغوية:

من البداية علينا أن نفرق بين اللهجة الشعبية وبين اللهجة العامية.. ذلك أن اللهجة جزء أساسي في اللغة الأم خضعت للظروف الاجتماعية المتغيرة من مكان إلى آخر، وخضعت لطبيعة المنطوق بين الناس، ومع ذلك فإن هذه اللهجة لا تنفصل عن اللغة الأم في البناء اللغوي ولا في البناء الفكري وإن ما يحدث من تغييرات يخضع للقدرات الصوتية التي تتفاوت بين البشر وهي ظاهرة إنسانية، ولا شك أن الشفوية هي التي تلعب الدور الأساسي في تغيير الكلمة، وعندما تتحول الكلمة إلى الورق فإن عملية الدمج بين الكلمات تنتهي..

واللهجة الشعبية سهلة التداول وقريبة من الناس، وهم عندما يسمعون كلمة عربية خالصة، وخاصة إذا كانت قاموسية أو بعيدة عن استعمالاتهم اليومية، فإنهم إما أن يقبلوها كما هي إذا توافقت مع ظروفهم الحياتية أو إمكاناتهم الصوتية، أو أنهم يلجأون إلى تطويعها لتتفق مع المحيط، فنراهم يقدمون حرفاً على آخر، أو يسقطون حرفاً، أو يستبدلون حرفاً بآخر، أو أنهم ينصرفون عنها ويستبدلونها بأخرى تتفق مع ظروفهم الصوتية. وفي هذا المجال فإن الشعبيين يتعاملون بلغة تساعد على إنجاز شؤونهم الحياتية بسهولة ويسر، ولذلك يميلون إلى استخدام اللفظ البسيط والواضح، ويبتعدون عن الغريب والمركب..

أما اللغة ـ أي لغة ـ فهي بناء متكامل مكتملة الأركان تحكمها قوانين وقواعد تحتوي على النظام الصوتي والصرفي والدلالي، وكذا النظام النحوي والنظام الأسلوبي، وهو النظام الخاص بالجانب اللغوي، وهو ما يرتبط بالتركيب داخل الجملة والعلاقات المقررة، والتي أكدها اللغويون بين الكلمات تقديماً وتأخيراً ونحواً وصرفاً، أو ما يسمى بالقواعد اللغوية، أما النظام الدلالي فهو ما يحمله المصطلح من دلالات مكانية وزمانية واجتماعية وما يتضمنه من معانٍ مرتبطة بهذه الدلالات ومشحونة برؤية الناس وتعكس تفكيرهم[1]..

بمعنى أن اللغة هي بناء متكامل من حيث كلمات ذات طبيعة خاصة تحمل معاني خاصة، مثل اللغة التركية التي تختلف تماماً عن اللغة العربية في مبناها ومعناها، بالرغم من أنها تحتوي على الكثير من الكلمات العربية، وأيضاً اللغة الأوردية المكتوبة بحروف عربية..

فهل هناك في أي من الأقطار في الوطن العربي ما يمكن أن نسميه لغة عامية مكتملة الأركان مستوفية للشروط اللغوية والدلالية؟

وفي السطور التالية سوف نحاول أن نجد الإجابة عن ذلك من خلال ما توفر لدينا من نصوص الأمثال الحديثة على مستوى العالم العربي، وفي هذا المجال سوف نكتفي باستعراض نص أو نصين من البلد الواحد وذلك على سبيل المثال..

---

(١) مصادر تفيد في علم الدلالات.
أ ـ القياس في اللغة العربية، إبراهيم أنيس.
ب ـ من طرق تنمية الألفاظ في اللغة، إبراهيم أنيس.
جـ ـ من أسرار اللغة، إبراهيم أنيس. وأيضاً يمكن الرجوع إلى مجلة مجمع اللغة العربية وجهود المجمع في هذا الموضوع.

فالمثل النجدي يقول: «**الجِمَلْ كروي والمحجان من الشجرة**»[1].

وكلمة كروي محرف كراء، والمحجان: عصا معطوفة الطرف، والمثل يعني أن الجمل كراء والعصا من الشجرة..

والمثل الكويتي يقول: «**الجمل جمل اكروي والمشعاب من شجرة**».

المشعاب: عصا لها رأس غليظ.

وبتحويل هذا المثل إلى العربية نقول: «الجمل كراء والعصا من الشجرة» فهل نجد اختلافاً بين عامية المثل المحلي وعربية المثل؟ وهل وجدنا اختلافاً في الأركان الأساسية لبناء اللغة العربية؟..

إن ما يمكن ملاحظته على المثل هو التحريف حيث بعض الكلمات مثل كلمة «كراء» تحولت إلى كروي أو اكروي. أما كلمة المشعاب وهي العصا الغليظة فهي في الأساس كلمة عربية وهي تطلق على العصا الغليظة، وفي الآية القرآنية ﴿ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِى ثَلَٰثِ شُعَبٍ ﴿٣٠﴾﴾[2] أي فروع، والعصا الغليظة هي فرع من الشجرة التي تشعبت إلى فروع، وهذه الكلمة موجودة في الريف المصري باسم «شعبة» بكسر الشين وسكون العين في المنطوق الشعبي..

أما البناء اللغوي ففي المثل الأول «النجدي» يتكون من جملتين اسميتين «مبتدأ وخبر» وكذلك الحال في المثل الثاني «الكويتي» مع إضافة تأكيد للمبتدأ في الجملة الأولى، وأما إضافة

(١) الأمثال العامية في نجد، محمد العبودي، ص٦٤ طبعة الحلبي بمصر ١٩٥٩م.
(٢) سورة المرسلات، الآية: ٣٠.

حرف زائد على كلمة «كروي» فهو يخضع لطبيعة اللهجة المحلية، وهي أمور متحركة مع تغير المنطوق الشفوي كما أنها لا تستطيع أن تؤثر في النظام الصوتي أو الدلالي أو الحرفي للغة..

والمثل الكويتي يقول:

«إذا طاح الجمل اكثرت سكاكينه»[1]، **«لي طاح الجمل كثرت سكاكينه»** اكثرت: محرف كثرت ومعنى المثل أن الجمل إذا سقط من الإعياء جرى الناس إليه لتقطيعه..

أما المثل البغدادي فيقول:

«البعير من يوكع تكثر سجاجينه»[2] وفي نص آخر: **«إذا وكع الجمل كثرت سجاجينه»**[3]..

وهذا المثل موجود في السودان وسورية أما في مصر والجزائر والمغرب فيقال: «البقرة إذا وقعت تكثر سكاكينها»..

وعندما يتحول النص إلى الصياغة العربية فإننا نقول **«إذا وقع الجمل كثرت سكاكينه» أو «البعير عندما يقع تكثر سكاكينه»**.

فما أوجه الاختلاف أو الخلاف بين النص العربي والنص العامي المحلي؟ وما الكلمات المحلية الغريبة التي دخلت في تركيبة النص؟

إن ما يمكن ملاحظته في هذا المثل أيضاً هو أنه قد طرأ عليه بعض التشوهات القليلة بحكم التأثير المحلي وبحكم النطق الشفوي.. ففي كلمة «وكع» فإن الكاف هنا تنطق بين حرفي الجيم

(١) من الأمثال العامية، خالد سعود الزيد، طبعة الكويت ١٩٦١.

(٢) الأمثال البغدادية، جلال الحنفي ص ٩٤ طبعة نيراد ٩٦٢.

(٣) الأمثال البغدادية المقارنة، عميد عبد الرحمن التكريتي، ط ١ طبعة بغداد/١٩٩٦.

والكاف وهي «ك» الفارسية، أما كلمة سجاجينه فهي محرف سكاكينه وهو ما يتفق مع المنطوق الشعبي الذي يميل إلى تحريف بعض الألفاظ إلى ألفاظ متقاربة نطقاً، فالكاف قريبة من القاف، والجيم قريبة من الكاف، وهي تحريفات مقبولة بحكم المكان والمستوى الثقافي والشفوية، ولكنها لم تدخل إلى بنية الكلمة أو تركيب الجملة أو المعنى.

ويقول المثل المصري:

«كل أكل الجمال وقم قبل الرجال».

أما المثل الموصلي فيقول:

«كل أكل الجميل وقوم قبل الغجيل»[1].

الجميل: محرف الجمال، الغجيل: محرف الرجال.

ويقول المثل البغدادي.

«كل أكل جمال وكوم كبل الرجال»[2].

وعندما يتحول المثل إلى العربية نقول: **«كل أكل الجمال وقم قبل الرجال»** وهو المثل الشعبي، فما الذي طرأ على المثل في العراق؟..

إن المثل البغدادي لا يختلف عن المثل العربي أو المثل المصري إلا في بعض الكلمات نتيجة التحريف حيث يقول البغدادي «كوم» بمعنى «قم»، «كبل» بمعنى «قبل» أي إن اللسان قد حرف

(١) المردد من الأمثال العامية الموصلية، محمد رؤوف الفلاحي، ص ١١٢ طبعة بغداد، ١٩٦٢.

(٢) الأمثال البغدادية، جلال الحنفي، ص ٤٧ جـ١، مصدر سابق، الأمثال البغدادية المقارنة عبد الرحمن التكريتي ص ١٨١ جـ١، مصدر سابق.

منطوق الحرف «ق» العربي إلى منطوق يقع ما بين القاف والكاف أو الكاف الفارسية، بينما نجد أن الكلمة أو الجملة تظهران بنفس التركيب في الجملة العربية من حيث معنى الكلمة أو ترتيبها أو البناء العام للجملة.

أما المثل الموصلي وهو ـ فيما نعتقد ـ يعبر عن المنطوق الشائع في منطقة الشمال العراقي حيث يسكن الأكراد فقد وجدنا كلمتي «الجميل» بمعنى «الجمال» و«الغجيل» بمعنى الرجال.. وهنا تحول المنطوق في كلمة «الجميل» من المد بالألف إلى المد بالياء أما كلمة «الغجيل» فقد استبدلت بالمنطوق الشائع في هذه المناطق، وهو حرف الغين فحلّ محلّ حرف الراء كما تحول حرف الراء في الكلمة العربية إلى حرف الياء على غرار الكلمة الأولى في المثل وهي «الجمال». ولا شك أن هذا المثل الشائع في أطراف العالم العربي حيث توجد مناطق احتكاك لغوي وتأثير وتأثر بين الكردية أو التركية ـ وهما من اللغات الشائعة شعبياً في هذه المناطق ـ وبين العربية.. ومع ذلك فإن اختلاف المنطوق لا يؤثر في بنية الكلمة، حيث إن الجملة المثلية في كل الأحوال تحافظ على ثبات البناء اللغوي العربي..

ويقول المثل الجزائري:

«الجمل ما يشوفش لعرورته ايشوف لعرورة صاحبه»[1] وقد سجل محمد بن شنب هذا المثل فقال: **«الجمل ما يشوفش حدبته يشوف حدبة خوه»**[2]..

(١) جمع ميداني من منطقة البويرة والراوي صانع برانيس (عباءة جزائرية).
(٢) وحدة الأمثال العامية في البلاد العربية، محمد قنديل البقلي طبعة ١٩٦٨، نقلاً عن «أمثال الجزائر والمغرب العامية «لمحمد بن شنب» جـ١/١٧٩.

ويقابله في الأمثال البغدادية المقارنة[1].

«**الجمل لو يشوف حدبته جان انكسرت ركبته**» وهو موجود في سورية ومصر ونجد..

والمثل المصري يقول: «**الجمل لو بص لصنمه كان قطمه**».

قطم: قطع.

بص: رأى.

وفي كتاب «الأمثال العامية بمصر والشام في القرن ١٩»[2] يقول المثل: «**الجمل إذا جشع حدبته يقع وتنقصف رقبته**».

ففي المثل الجزائري كلمة «العرورة» وهي محرف كلمة «عروة»، ايشوف: أصلها شاف وتجد هذه الكلمة أيضاً في المثل البغدادي والمصري..

وفي المثل البغدادي كلمة «جان» وأصلها «كان»، وفي المثل المصري كلمتا بص بمعنى رأى أو نظر. وفي القاموس البصاصة العين لأنها تبص. وأبصت الإبل والجرو فتح عينيه كبصبص[3] و«قطم»: قطع أما كلمة «جشع» في المثل الأخير فهي كلمة عربية بمعنى جزع وجشع بمعنى «فزع» بفتح الجيم وكسر الشين[4]..

ولا شك أن متابعة النصوص الخاصة بالمثل السابق في البلاد العربية شرقاً وغرباً تؤكد أن التركيب الأسلوبي في كل الصياغات

(١) الأمثال البغدادية المقارنة، عبد الرحمن التكريتي.
(٢) الأمثال العامية بمصر والشام في القرن ١٩، أناتول دي ميبوم رقم ٣٢٤، طبعة ١٩٤٨.
Anatole de Meibohm.
(٣) تهذيب الألفاظ العامية، محمد علي الدسوقي جـ٢ ص٣٦ طبعة الرحمانية ١٩١٣م.
(٤) المعجم الوسيط، طبعة مجمع اللغة العربية ١٩٧٢.

واحد، وأيضاً المعنى حيث يدور المثل حول شخص ناقص يعيب على الغير ولا يلتفت إلى عيوبه، ولكن الاختلاف بين النصوص لا يظهر إلا في حروف المفردات وهي مسائل عادية تحدث بحكم المكان واختلاف المنطوق الشفاهي من مكان إلى آخر، كما أن هذه المفردات ذات جذور عربية جرى عليها التحريف ويمكن حصر هذه المفردات فيما يأتي:

في المثل الجزائري لعرورة، ايشوف، وفي المثل البغدادي كلمة «جان» وفي المثل المصري «بص»..

والواضح أنه بعد استعراض النماذج المثلية الأربعة التي سبق الحديث عنها وهي تمثل العالم العربي شرقه وغربه نقول إننا لم نجد كلمة واحدة غريبة على اللغة العربية أو حتى مستهجنة وكل ما أمكن ملاحظته هو تدخل الرواية الشفوية لإحلال حرف مكان آخر أو إضافة حرف، وهي أمور عادية في منطقة من العالم اتساعها ١٤ ألف كيلو متر مربع تحتوي على صحارى وجبال وغابات وزراعات وقرى ومدن ومتعلمين وغير متعلمين وأناس مستقرين وآخرين رحل.. إلخ.

بل إن الرواية الشفوية تتغير في المكان الواحد من شخص إلى آخر فقد كنا نقول في بلدتنا ـ زفتى ـ «ذهبت لحد المكان الفلاني» وبجوارنا في ميت غمر على الشاطىء الآخر للنيل يقولون «ذهبت لحدايت المكان الفلاني» بل إن الحروف التي حلت محل غيرها هي ـ في الحقيقة ـ حروف ناتجة عن الرواية الشفوية ولكنها ذات أصوات واحدة..

جان: أصلها كان، سجاجينه أصلها سكاكينه، وكع أصلها وقع. وفي صعيد مصر ومحافظة الشرقية وسيناء يقولون «وجع» بدلاً

من «وقع».. وكاتب هذه السطور كان يردد في طفولته كلمة «استغطى» منفرداً بذلك عن الأهل والمحيط الذي كان يقول «اتغطى» وكان الجميع يتندرون على ما أقوله على اعتبار أنها كلمة مستهجنة..

بل إن المثل الأخير الذي كان شائعاً في مصر والشام وسجله أحد المستشرقين في القرن التاسع عشر وهو «**الجمل إذا جشع حدبته يقع وتنقصف رقبته**» هذا النص ما زال شائعاً في أنحاء العالم العربي من بغداد في المشرق إلى الرباط في المغرب وبنفس التركيب الأسلوبي حيث يبدأ المثل بالاسم وفيه أسلوب الشرط وجوابه، كما أنه ليس فيه كلمة واحدة ذات أصول محلية تخرج عن المعنى العام أو القاموس أو شروط النحو أو الصرف..

وفي هذا السياق يقول د. عبد الحميد يونس: «ليس من شك في أن التطور اللغوي من ناحية الواقع يختلف عما حدث لأوروبا في فترة القوميات، لأن اللغات الأدبية كانت تختلف في كثير من الأحيان اختلاف نوع لا اختلاف درجة، أما اللهجات العربية فالاختلاف بينها لا بد وأن يكون اختلافاً في المخارج وبعض الألفاظ والدلالات»(1)، ويضيف في فقرة أخرى قوله: «ولغة الأمة العربية ـ كما أدرك الأقدمون ـ هي مجموع ما يصدر عن اللسان العربي على اختلاف اللهجات والبيئات، ومن هنا كان أدبنا المتوسل بلغتنا ليس الفصيح وحده ولا المدوَّن وحده، ولكنه الأدب الذي يتوسل بجميع اللهجات في جميع البيئات والأجيال»(2).. ويرى أحد العلماء «أن أكثرية الخلاف تكون في معاني بعض

(1) دفاع عن الفولكلور، د. عبد الحميد يونس، ص ١٢٤، طبعة هيئة الكتاب ١٩٧٣.
(2) المصدر السابق ص ١٣٦.

المفردات العامية وفي مخارج أصوات الحروف وفي اللكنة المتحدث بها»[1] . . ومن جانبي أضيف إلى ما سبق أن هذه الكلمات ليست غريبة على أبناء الأماكن البعيدة وهي تعبر عن تفاهم متبادل بين الجميع، لماذا؟ . .

نحن نعتقد أن وجود الأصل التاريخي الواحد ويتمثل في اللغة العربية والقرآن الكريم هو الذي ربط اللسان بين المشرق والمغرب وأن هذه الاشتقاقات هي أمور طبيعية مرتبطة بالمنطوق الشعبي كما أن هذه الاشتقاقات أو التحريفات والتصحيفات أو ما يمكن أن نسميه العلل إنما هي ناتجة عن الأمية والجهل ومشكلات السماع . . فالأميّ لا يقرأ ولا يعرف اللغة إلا عن طريق السماع بآفته المعروفة، كما أن لديه حرية التلاعب المقصود أو غير المقصود بالكلمة، ولا يلتزم بالضوابط اللغوية ولا يجد من حوله من يصحح له مشكلة السماع. ونحن نعتقد أن هذه العلل يمكن أن تكون مرهونة بوجود الأمية، وأن انحسار هذه يمكن أن تقضي على هذه التشوهات . .

ولدى كاتب هذه السطور تجربة إذ إنه في أربعينيات هذا القرن ـ القرن العشرين ـ وعندما كان الاستعمار الانجليزي موجوداً في مصر جاءت في ركابه الكثير من الجاليات الأجنبية كاليونان والأروام والطليان (الإيطاليين) وغيرهم، وكانت تطرق آذاننا في بلدتنا ونحن صغار مصطلحات شائعة على المستوى الشعبي فيقول أحدهم «أنا رايح لا سكولا» وأصلها Le ecole وراح الاسبتالية من Hospital أي المستشفى، ومررت على الفرير بمعنى الأخوات، والآن ونحن في نهاية القرن العشرين لم نعد نسمع هذه

(١) أثر الأدب الشعبي في الأدب الحديث، د. حلمي بدير، ص ٣٤، طبعة دار المعارف بمصر، ١٩٨٦.

المصطلحات نهائياً . . .

ومن ناحية أخرى فليست لدينا قناعة بأن هذه الاشتقاقات يمكن أن تكون تطوراً طبيعياً خضع لاعتبارات سياسية أو اقتصادية أو احتياجات نفسية، ومن ثم يمكن أن تكون خطوة في سبيل التباعد اللغوي بين مختلف الأقطار الناطقة بالعربية، ذلك أن الوحدة اللغوية راسخة على كافة المستويات في أنحاء الوطن العربي . .

* * *

ظواهر أدبية:

مما لا شك فيه أن الظواهر الأدبية التي يمكن أن نلحظها في أمثال الجمل هي في واقع الأمر انعكاس للعلاقات القائمة بين الناس، وهذه العلاقات تأثرت بهذا الحيوان من حيث الشكل والطباع، ودوره في إيقاع الحياة اليومية.

فلو نظرنا إلى الشكل العام للجمل فإننا نجد أنه لا يثير الخيال لا من حيث الصوت ولا من حيث السلوك وأسلوبه. فالجمل حيوان صحراوي في الأساس بطيء الحركة سلس القياد يفتقد الحيوية، وهي عناصر لا تتفق مع نزعات الخيال. فالخيال ـ كما هو معروف ـ يخرج عن المشاهد والمألوف ويتسم بسرعة الحركة وسرعة التحول وارتياد الآفاق غير المرئية، ومع ذلك فقد لاحظنا أن الخيال لعب دوراً في أمثال الجمل كما أن هذا الحيوان قد ترك تأثيراً معيناً في المثقفين . .

وقبل أن نستعرض أمثال الجمال فقد يكون من المناسب أن نعرض صورة لهذا الحيوان رسمها أحد المثقفين، وهي صورة تمزج بين الانطباع الخاص عن هذا الحيوان وسلوكه مع أحد الأشخاص . .

فيقدم أستاذنا د. شكري عياد صورة عن جمل كانوا يقتنونه ثم اشتراه جارهم عبد الوارث فيقول:

«كنت أباهي لداتي بأن صديقي أكبر من أصدقائهم جميعاً، ولعلّي كنت أعبر بالكبر عن معنى لا يقتصر على كبر الجسم. كنت أحس إحساساً غامضاً بأنه أنبل وأعظم، ولعل ما كان يحاط به في الدار من اهتمام خاص هو أول ما ولد هذا الشعور في نفسي، ولكني لا أذكر متى بدأ هذا الشعور، بل لا أذكر متى بدأت أعي وجوده في الدار، وأغلب الظن أني وعيته منذ أن وعيت نفسي، وعرفته كما عرفت أبي، ولم يكن حبي له أقل من حبي لأبي، ولعلي حين أستعيد طفولتي الأولى وأطرح عن نفسي ما قدسته العادة ورياء النفاق أقول بغير مواربة، إني كنت ـ في تلك الأيام على الأقل ـ أحبه أكثر من أبي، وهل كان أبي يبرك أمامي ويمد عنقه الطويل على الأرض كي أعلوه فإذا أحس أني تمكنت من مجلسي راح يحركه يمنة ويسرة وهو يبغم كالحمامة؟ وعندما كبرت أصبحت قائده في رحلاته بين الدار والحقل، وكان يلقي إلي قياده مسروراً. والحق أني لم أكن أقوده. كان حبله دائماً مرخياً في يدي وكان يعرف طريقه ويتوجه إليه بنفسه.. كذب من قالوا إن الجمل حيوان غبي.. الجمل نبيل صبور حييّ، فلا عجب إذا حسب الأغبياء نبله غفلة وصبره بلادة وحياءه غباء إلا عجب إن أطمعهم كرمه وحلمه ولا عجب أن جهلوه كما جهله جارنا عبد الوارث ـ ويقص حكاية الجار عبد الوارث الذي اشترى جملهم وكان يعامله بقسوة ـ وإذا بالجمل قد أمسك صاحبه بين أسنانه.. وجعل يضرب صاحبه في جذوع الشجر.. وراح يعجنه بخفيه الأماميين...»[1].

---

(١) مختارات فصول رقم ١٤ ص ٨٠ طبعة ١٩٨٥، هيئة الكتاب نقلاً عن كتاب «كهف الأخبار».

إن هذه الصورة الأدبية يمكن أن تلقي ضوءاً على انطباعات الناس عن الجمل على كافة المستويات.. ولا شك أن الخيال قد لعب دوراً في أمثال الجمل وقد تأثر هذا الخيال بطبيعة الثقافة الشعبية والعادات والتقاليد.. وإذا كنا قد لاحظنا أن أبرز الظواهر الأدبية في الأمثال القديمة هي أمثال الحكايات.. أو حكايات الأمثال فإن أبرز ما يمكن ملاحظته على الأمثال الحديثة هو أسلوب الحوار، وهو ما سوف نتحدث عنه في السطور التالية..

الحوار

إن اللون الحواري لا وجود له في الأمثال القديمة، ذلك أن هذا اللون يعبر عن رؤية حديثة مغايرة لرؤية القدماء، بمعنى أن أمثال الحوار ليس لها وجود في الميداني ٤٧٠هـ، ومعنى ذلك أن هذه الظاهرة الحوارية لم تكن موجودة لدى السابقين عليه، يؤكد ذلك ما يقوله الميداني في المقدمة من أنه سمي باسم مجمع الأمثال لاحتوائه على جميع ما ورد منها لدى السابقين مثل كتاب أبي عبيدة وأبي عبيد والأصمعي وأبي زيد وأبي عمرو وأبي فيد وما جمعه المفضل بن محمد والمفضل بن سلمة وما في كتاب حمزة بن الحسن»[١].

وبعد هذا بعدة قرون بدأ هذا اللون في الظهور فقد وجدنا مثلاً في الأبشيهي[٢] (٧٩٠هـ/ ٨٥٠هـ) أي قبيل ستة قرون يقول المثل: «**قالوا للجمل: زمر قال: لا شفف ملمومة ولا أيادي مفرودة**» ومثل آخر له شكل حواري ويتعلق بالعلاقات اليومية بين

---

(١) مقدمة مجمع الأمثال ص ٥، ٦.

(٢) المستطرف جا، ٣٥.

الناس يقول المثل: «**راحت على جمل وجات على قطة**» **قال: «ما لدى الشيلة إلا دي الحطة**»..

فالمثل الأول صياغة حوارية بين الناس والجمل تكشف عن الغباء الذي يعمي عن رؤية الحقيقة الواضحة، والمثل الثاني يسير في اتجاه المثل الأول، وهو يكشف عن الفشل والخيبة..

وهذه الظاهرة الحوارية كانت من توليدات العصور الوسطى أو أنها من تأثيرات الحضارات الأجنبية أو أنها توليدات شائعة في البيئة الشعبية. ومما يلفت النظر أن مثل الأبشيهي المنسوب للجمل أورده المؤلف ضمن مجموعة من الأمثال الحوارية حول بعض الحيوانات كالحمار، والقرد، والدبة، والكلاب، والغراب، والبقر والغزالة، وكلها تسير على النمط الذي اتخذه مثل الجمل، وعلى سبيل المثال «قالوا للغراب: ما لك بتسرق الصابون؟ قال: الأذى طبعي»[1] مما يعني أن أسلوب الحوار ربما كان نمطاً أدبياً أو ظاهرة لم يلتفت إليها العلماء نظراً لطبيعة الحوار الذي يتكون من سؤال وجواب أو بمعنى آخر شعبي «كلمة ورد غطاها»..

فإذا انتقلنا إلى العصر الحديث فإننا نجد ضرباً من الحوار بين الجمل والناس، فقد سجل أحد المستشرقين بعض الأمثال الحوارية يقول المثل: «**قالوا للجمل: أي قدر تحمل على هينتك؟ قال: سمسمة مقشورة قالوا: بالعصا فقال: حملوا ما تريدون**» بمعنى أن الجمل بردّه الساخر إنما يتهرب من العمل، ولكنه مع الشدة والتهديد بالعقاب والعصا ينصاع ويستسلم..

ويقول مثل آخر: «**الجمل طلع رأسه من الطاقة فقالوا له: لا تقع. فقال: التقيل لي وراء**» ويقول مثل ثالث: «**قالوا للجمل: أيش**

(١) المستطرف، ص ٣٦ طبع مكتبة الجمهورية ١٣٨٥هـ.

صنعتك؟ قال: أدق بالعتيق فقالوا له: مبين «مش باين» على أصابيعك هذه الصغار وفمك هذا الضيق»[1] ففي المثل الثاني تحول الجمل إلى أسلوب التفكه وخفة الروح وفي المثل الثالث يدعي الجمل بما ليس من صفاته وهو ما لا يخفى، ولا يلاحظ أن مفردات هذه الأمثال تشير إلى أنها أمثال مصرية وشامية، فالمثل الأول والثاني من الأمثال المصرية حيث صيغت ردود الجمل بشكل فكاهي متأثر بالروح المصرية، أما المثل الثالث فهو من الأمثال الشامية[2] حيث إن مفرداته تدل على ذلك مثل «مبين، أصابيعك، الصغار، فمك، العتيق» وهذه الأمثال تشير إلى أنها كانت شائعة في مصر والشام في القرن التاسع عشر..

وفي أيامنا هذه ـ منتصف القرن العشرين بكامله ـ وجدنا هذه الصورة المثلية على الساحة الشعبية في بعض البلاد ـ حسب ما بين أيدينا من نصوص ـ وغير موجودة في بلاد أخرى..

فقد وجدنا هذه الأمثال في مصر وبلاد الشام والعراق، ولكنها لا توجد في الجزيرة العربية، وإذا رجعنا إلى كتاب «الأمثال العامية في نجد» فإننا نلاحظ نماذج من الأمثال الحوارية بل هناك أمثال حوارية عن الحيوان، ومن ذلك المثل «قال: من شَاهِدَك يا أبا الحصين؟ قال: ذنيبي»[3]. وكلمة ذنيب تصغير ذنب، ولكننا لم نجد هذه الأمثال الحوارية عن الجمل. ويلاحظ أن كافة الأمثال يغلب عليها الطابع البدوي الصحراوي كالمثل الذي يقول: «ما ضَرَطْ عند

(١) الأمثال العامية بمصر والشام في القرن ١٩، أناتول دي ميبوم، طبعة ١٩٤٨م وكلمة «لا تقع» في المثل الثاني بمعنى «أنك قد تقع» وذلك على سبيل التحذير.
(٢) بلاد الشام تعني سورية ولبنان وفلسطين والأردن قبيل قيام دولة إسرائيل ١٩٤٨.
(٣) الأمثال العامية في نجد، محمد العبودي، حرف القاف والميم والياء على التوالي.

عقالها»[1] بمعنى أن السارق كاد يفقد السيطرة على نفسه عند سرقة الناقة من شدة الرعب والخوف، أو أنها ذات صلة عن علاقة الجمل بشعيرة الحج كالمثل الذي يقول: «**ياما ضاع على الحاج من جمل**»[1].

أما الأمثال الكويتية فهي تتخذ أسلوب الأمثال النجدية بمعنى أنها تعكس رؤية أهل البادية لهذا الحيوان، وهي رؤية قائمة على تعظيم هذا الحيوان وتسجيل أدواره الوظيفية كالحج والقوافل وطبيعة حياة الجمل، فيقول المثل: «اسْلِمَتْ القافلة ما جاها أحد»[2]، ويقول: «**الخريش من البل يظهر**» والخريش البعير الساقط، أو يقول في مجال تعظيم هذا الحيوان: «**يا شين السعف على الجمل**»[1] أي ما أشين أن يحمل الجمل السعف لأنه غير جائز..

فإذا انتقلنا إلى منطقة الشمال الإفريقي وخاصة منطقة المغرب العربي وجدنا نوعين من الأمثال أكثر دلالة على البيئة الصحراوية ـ وقد أشرنا إلى ذلك في صفحات سابقة ـ ولكن ما يمكن أن نتوقف عنده هو أن هذه الأمثال تخلو من النغمة الحوارية الموجودة في مصر والشام والعراق، ولا غرابة في ذلك إذ إن هذه المنطقة فيها أكبر منطقة صحراوية على مستوى العالم، ومن ثم فإن رؤية هذا الحيوان تعتمد على طبيعة الحياة الصحراوية ودور الجمل فيها..

أما على الجانب الآخر فقد وجدنا هذا اللون من الحوار وهو حوار ممتد من عصر الأبشيهي، وربما كان موجوداً قبل هذا التاريخ، بل إن نصوص الأبشيهي ما زالت تشيع بين الناس حتى هذه الأيام، فالمثل: «**قالوا للجمل: زمر قال: لا شفف ملمومة ولا أيادي**

---

(١) الأمثال العامية في نجد، محمد العبودي، حرف القاف والميم والياء على التوالي.

(٢) من الأمثال العامية، خالد سعود الزيد، طبعة الكويت، ص٤٠، ٨٩.

مفرودة»[1] ويعلق عليه أحد المحدثين فيقول: إن هذا المثل موجود في الموصل وفي مصر[2]، وقد ذكره تيمور في مجموعته فيقول: **«قالوا للجمل زمر: قال: لا شفايف ملمومة ولا صوابع مفسرة»**[3] وسجل كاتب هذه السطور في مجموعته يقول: **«قالوا للجمل زمر. قال: يا ريت صوابعي مبرومة.. وشفايفي مضمومة»**[4].

ويبدو من خلال هذا الامتداد التاريخي أن الأبشيهي ربما سجل هذا النص الحواري من البيئة القاهرية يدلنا على ذلك كلمات «ملمومة، مفرودة» وهي كلمات شعبية مصرية، وبذلك يكون هذا النص قد انتقل من البيئة الشعبية إلى دائرة المثقفين وسجلوها في كتبهم، ومع ذلك فما زال هذا النص يدور بين الشعبيين..

وفي البيئة العراقية وهي بيئة زراعية وجدنا المثل: **«قالوا للجمل عقبتك عوجة قال: ايش اكوبيي شي عدل؟»**[5] ووجدنا المثل: **«قالوا للجمل شو صنعتك؟ قال كباب حرير قالوا: مبين «مش باين» على إيديك هالطايعين»**[6] وهي أمثال تأخذ شكلاً حوارياً مع الجمل يتسم بالسخرية أو الفكاهة..

أما الأمثال الحوارية المصرية فهي تبدو في صورتها الحوارية على ضربين، وشكل حواري ثالث يعكس رؤية الناس للجمل، ويرتبط بما يدور في الحياة اليومية..

(١) المستطرف، الأبشيهي جا، ٣٦، مصدر سابق.
(٢) وحدة الأمثال العامية في البلاد العربية، محمد قنديل البقلي، مصدر سابق.
(٣) الأمثال العامية، أحمد تيمور، ص ٣٩١ طبعة ١٩٥٦ طبعة ثانية.
(٤) جمع ميداني.
(٥) معجم أمثال الموصل جـ ٢/ ٣٩٧.
(٦) الأمثال البغدادية، عبد الرحمن التكريتي جـ ٢ ص ٩٠.

الأول ـ حوار مع الجمل:

منها: «**قالوا للجمل غنِّ: قال لا حس حسن ولا حنك مساوي**» بمعنى أنه ليس لي صوت حسن وفمي غير متساوٍ، ويقول المثل: «**قالوا للجمل زمر. قال: لا شفايف ملمومة ولا صوابع مفسرة**» وهو حوار يحمل شكلاً من أشكال الفكاهة الساخرة..

الثاني ـ حوار عن الجمل:

يقول المثل: «**قالوا الجمل طلع النخلة. قالوا: آدي الجمل وآدي النخلة..**»

ويقول مثل آخر: «**قالوا: الجمل ركبوه. قالوا: الحق عليه بيطاطي ليه؟**» ويقول المثل: «**جمل بارك من عياه. قالوا: حملوه يقوم**»، ويقول مثل آخر: «**واحد شيلوه معزة زرط. قال: أنا موالف على شيل الجمال**». ويقول مثل آخر: «**نقول جمل يقولوا: احلبوه..**» إلخ.

وهذا الشكل الحواري مما يدخل ضمن المعاملات اليومية، وقد اتخذ الناس الجمل بشكله وتكوينه الجسماني مادة للتعبير عن مشكلاتهم الحياتية اليومية..

الثالث:

يظهر الشكل في وصف بعض الظواهر الحياتية أو التعبير عن حوارات ومعاملات تعكس التضاغط السلوكي اليومي ويظهر في الصور الآتية:

الصورة الغزلية: «**يا تخت يا جمل يا مربرب**».

المعاملات: «**هانحط الجمل قدام الجمّال؟**»

«هو أنت جيت في جمل؟»

« لما أنت عامل جمل نخنخت ليه؟»

العديد: «آه يا جملي..» تقوله الزوجة عند توديع جثة زوجها بمعنى الزوج الذي كان يحمل أعباء الحياة بصبر وهدوء كالجمل..

نصائح: «إذا انكسر الجمل حمل حمل حمار..»

والواضح أن السخرية هي اللون الغالب على هذه الصورة الحوارية وهي من نتائج المجتمع الزراعي الذي يقوم فيه الجمل بدور ثانوي في العمل الزراعي، وهو نقل المنقولات من مكان إلى آخر بعيداً كان أو قريباً، بينما لا نجد هذا اللون الحواري الساخر في عالم الصحراء، ذلك أن الجمل هو في الأصل حيوان صحراوي يقوم بالدور الأساسي في الحياة الصحراوية، وهو جزء من مكونات عالم الصحارى، والذي ساعد الإنسان على تحمل ظروف الصحراء القاسية، كما أن هذا الحيوان هو المصدر الأساسي للدخل عند أهل الصحراء، فحليب الناقة هو الغذاء الرئيسي لهؤلاء الناس، فكيف يجعلون الجمل مادة لسخريتهم؟..

ومن ناحية أخرى فقد أكسب الريفيون الجمل صفات إنسانية، فهو يتحاور مع الغير، كما أنه يرد ـ كالبشر ـ على منتقديه ويتعامل مع الناس أو يتعامل الناس معه على أنه شخص من حقهم أن يحاوروه سلباً أو إيجاباً، ومن حقه أن يرد على الناس بمثل حوارهم ويكشف في بعض ردوده الغباء والتعنت والتمادي في القسوة..

والغرض من الحوار المثلي بين الجمل والناس إنما يشير إلى أن الناس قد أظهروا الجمل كشخص يفهم لغتهم، ويعبر عن أفكارهم، ويأتي بأفعالهم.. وهذه الصورة إنما تستهدف توضيح قيمة أو موقف فكاهي، أو موقف أخلاقي، أو مشهد حياتي،

والجمل هذا عبارة عن وسيلة لإبراز الغرض أو التعبير عن القائل، وهو أقرب الوسائل لتوصيل الرسالة . .

ومن ناحية أخرى فإن الحوار مع الجمل هو غالباً حوار فكاهي يعكس صورة من صور التميز الفكاهي في المجتمع، والناس من جانبهم يديرون هذا الحوار الفكاهي الساخر بما يتفق مع شكل الجمل وسلوكه وانطباعات الناس. فالأسلوب الفكاهي هو أسلوب استظرافي هزلي بين الناس ووسيلته المحيط بمفرداته ومنها الجمل . .

والحقيقة التي يجب الالتفات إليها هي أن الذي يردد هذا الحوار الاستظرافي عن الجمل هم الذين يستخدمونه، وهم إما أصحابه، أو الجمّالون، أو الذين يستخدمون هذا الحيوان بشكل عام . .

وبخصوص الشكل الفني لهذا الحوار فإنه ليس حواراً متصلاً بالمعنى المألوف، وهو أن يسير الحوار على طريقة الأخذ والرد والاسترسال في الحديث بين الطرفين، أو كما يطلق عليه التعبير الأجنبي ـ السيناريو ـ ولكنه حوار أشبه ما يكون بلفظة حوارية أو بالتعبير الشعبي المصري «كلمة وردّ غطاها» أي «سؤال وردّ جوابه»، ذلك أن المثل بمواصفاته العلمية واللغوية لا يحتمل الاسترسال في الحوار، ولا يطيق ذلك، وإلا خرج من دور النص المثلي إلى ضرب من الحكاية أو التمثيلية، وهو ما يخرج به عن الشكل المثلي المألوف . .

ومن ناحية أخرى فنحن نعني بالتعبير «كلمة وردّ غطاها» أنه حوار مكتمل الأركان يقوم على السؤال ومعه الجواب الشارح أو المفسر للغموض الذي أبداه السائل، فلماذا لا يغني الجمل أو يزمر

كما في المثل السابق. ويأتي التفسير من شكل الجمل ومكوناته الجسمانية التي لا تصلح للغناء أو الزمر..

ولا شك أن مبالغات الناس أو مغالاتهم هي جزء من مميزات البلاغة العربية والجمل هنا بتكوينه الجسماني يمثل الحد الأقصى في الضخامة في المحيط، فربما وجدنا حيوانات أضخم من الجمل، وربما رأى الناس بشكل عابر أو سمعوا عن الفيل أو الزرافة، ولكنها ليست حيوانات أليفة تعايش الناس، في حلهم، وترحالهم ومعلومات الناس عنها محدودة أو مشوهة، ومن ثم فإنها لا تستطيع أن تحفر أفكاراً في ثقافة الناس، أو ترسخ معلومات يمكن استخدامها ضمن إيقاع الحياة اليومية بين الناس، وطبيعي أن يلجأ الناس إلى التعبير عما يشغلهم في حياتهم اليومية وبيئتهم وما فيها من حيوانات وجماد وبشر لتكوين أفكارهم ومعتقداتهم. وقد لاحظنا أن الصورة الريفية أو الفكر الريفي في أمثال الجمال يختلفان عن الفكر الصحراوي الذي يقول المثل: **«البل موريان الغريب لبلاده»** أو: **«البل دقاقة الدول»**.

إن أسلوب الحياة عند رجل البادية يختلف عن أسلوب الحياة عند الفلاح الذي تفرض عليه حياة الريف الاستقرار، وقد انعكس ذلك على مفردات كل منهما، فهناك فرق بين قسوة الحياة الصحراوية التي تفرض الترحال من مكان إلى آخر في حركة مستمرة، والخوف من مفاجآت، وبين ربيع الحياة الريفية التي انعكست على علاقة الفلاح بالجمل، وظهر ذلك في تلك الصياغة الحوارية الممزوجة بالفكاهة الساخرة التي ظهرت في أمثال البيئة الريفية في مصر والعراق. فضلاً عن ذلك فإن المجتمعات الزراعية تعتمد أساساً على حيوانات الحقل كالجاموس والبقر في إنتاج

الألبان والحرث وإدارة السواقي، وهو ما لا يتفق مع التكوين الجسماني للجمل، ومن ناحية أخرى فإن الحمار أكثر خفة في الحركة، وهو ما يعطيه ميزة في حمل الأغراض البسيطة إلى مسافات صغيرة. أما دور الجمل في الريف فيتمثل في حمل الأثقال إلى مسافات طويلة بين البلاد، وهو الدور الذي تقوم به سيارات النقل في العصر الحديث..

الألغاز

ليس المقصود بهذا العنوان هو الشكل الذي تظهر به الألغاز في الحكايات الشعبية بقصد اختبار الذكاء وتفعيل الفكر في البحث عن العقدة، وهو ما يتناثر في الحكايات الشعبية العربية بكثرة لافتة، أو تلك الحكايات الصغيرة «الحواديت» التي كنا نتبادل حكاياتها أمام منازلنا في ليالي الصيف على سبيل السمر، وتنتهي الحكاية بالتعبير المشهور «حزر فزر تبقى إيه» بمعنى أن تستخدم ذكاءك لكشف السر وراء هذه العقدة، وهي تهدف إلى اختبار الذكاء عن طريق التنافس في الوصول إلى السر..

أما اللغز لغة: جحر الضب والفأر واليربوع. واللغز ما يعمى به من الكلام[1]..

إن الألغاز الخاصة بأمثال الجمل ليست من هذا اللون الذي ينشط الذكاء أو يقال على سبيل التسلية، ولكن هذه الألغاز يمكن أن نطلق عليها ضرباً من «السيم» إن صح هذا التعبير، وهي لغة خاصة بأصحاب الحرف لا يستوعب معانيها إلا أصحاب الحرفة،

(١) انظر المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، طبعة دار المعارف ١٩٧٣.

وعلى هذا فإن هذه الألغاز عبارة عن لغة خاصة بمن يتعاملون مع هذا الحيوان، ذلك أن هذا الحيوان يحتاج إلى نوعية خاصة من التعامل تتفق مع طباعه وسلوكه، وهذا الشخص المدرب على التعامل مع الجمل يطلق عليه اسم «الجمّال» مثله مثل أصحاب الحرف الأخرى كالحدّاد الذي يجيد التعامل مع الحديد والنجّار الذي يجيد التعامل مع الأخشاب والنسّاج الذي يجيد صناعة النسيج وهكذا.. وهذه الأمثال ـ الألغاز ـ تعتمد على معرفة الخلفية السلوكية للجمل، والخلفية الاجتماعية، والخلفية الجغرافية التي يدور فيها المثل، وسوف نتحدث عن كل عنصر من هذه العناصر في السطور التالية، على أن تكون محل دراستنا الأمثال المصرية، حيث إن قضية الألغاز ذات طبيعة محلية:

١ ـ الخلفية السلوكية

إن هناك مجموعة من الأمثال التي ترصد الخلفية السلوكية للجمل ولا يستطيع الشخص العادي الذي ليس له علاقة مباشرة أو معرفة بالجمل أن يدرك معناها أو ـ لغزها ـ إن صح هذا القول، ولا شك أن هذا اللغز لا يمكن معرفة مراميه إلا بعد الوقوف على طباع الجمل وسلوكه..

وعلى سبيل المثال، فإن الأمثال التي تبدأ بكلمة «زي» ترتبط بطباع الجمل وصفاته السلوكية. فالمثل الذي يقول:

«زي الجمل حنكه في كدية وعينه في كدية» ومع أن هذا المثل من أمثال البدو لكن الفلاح يعرف أيضاً معنى كلمة «كدية» بضم الكاف وسكون على الدال وهو نبات له جذر واحد، وتتفرع مباشرة من هذا الجذر عدة أوراق وهو في ارتفاع نبات الفجل أو أكثر قليلاً، وهو نبات صحراوي ينمو شيطانياً ويتناثر هنا وهناك، وعندما

يمد الجمل فمه إلى «كدية» فإنه يحول نظره تلقائياً إلى الكدية القريبة الأخرى التي يريد التهامها وطبيعي، فإن الشخص لا يستطيع أن يعرف تفسيراً للمثل إلا بعد الاقتراب من هذا الحيوان ومعرفة سلوكه وطباعه على الطبيعة، وقد لاحظ كاتب هذه السطور أن هذا السلوك يمارسه الجمل أيضاً في الريف، بمعنى أن الجمل عندما يدخل إلى حقل من البرسيم فإنه لا يلتهم النبات بطريقة منظمة، ولكنه يلتهم بعضاً من سيقان البرسيم من هنا وبعضاً من هناك كما لو أنه في الصحراء، حيث يلتهم كدية من هنا وأخرى من هناك..

أما المثل الذي يعبر عن الفشل في استخدام الجمل في عملية الحرث فيقول: «**زي الجمل اللي يحرته يبططه**» فكيف يجر الجمل محراثاً لشق الأرض ثم يعود يبط ما حرثه؟ إن هذه الفزورة لا يستطيع أن يفك لغزها إلا من مر بتجربة استخدام الجمل في عملية الحرث، فعندما يعود الفلاح بالمحراث لكي يحرث خطاً في الأرض بجانب الخط السابق الذي تم حرثه فإن الجمل بأخفافه الأربعة يسير على الأرض المحروثة فيسوّيها فتعود إلى سابق عهدها، فكأن الجمل في واقع الأمر قد بطط ما تم حرثه في الخط المجاور، على ذلك فإن الجمل لا يستخدم للحرث في الريف..

أما المثل الذي يقول: «**زي الجمل ناعم وياكل خشن**» فالمقصود بذلك أن الجمل مغطى بطبقة من الوبر الناعم كالحرير ولكنه ـ الجمل ـ يتمتع بشفة مشقوقة تساعده على التهام النباتات الشوكية دون أن تؤذيه..

ولدينا أيضاً المثل الذي يقول: «**جمل بارك من عياه. قال: حملوه يقوم**» فكيف يستطيع الجمل الذي يعاني من الإعياء وهزال المرض أن يقوم بحمله.. ولتفسير ذلك فإننا نقول ـ بناء على المشاهدة الشخصية ـ إن الجمل لا يمكن تحميل الأثقال على ظهره

إلا وهو بارك، وهذه الأثقال توضع على جانبيه وتوثق بالحبال «السلب». ونظراً لارتفاع ظهر الجمل عن الأرض فإن الحمّالين لا يستطيعون تحميل الجمل في حال وقوفه، ومن ثم فإن التحميل يكون ويتمّ والجمل بارك.. والجمل هو الحيوان الوحيد الذي يختلف عن غيره من حيوانات الحمل عند التحميل..

ومن ناحية أخرى فإن الجمل عندما يحس بأن الحمل قد تمّ توثيقه على جانبيه، فإن الجمّال يصدر إشارة معينة فيندفع الجمل بعدها إلى القيام، أو كما يقول الجمّالة «يفز يقف» حتى وإن كان يعاني من الإعياء.. إن الملاحظة المباشرة تقول إن سرعة القيام بعد انتهاء التحميل هي عادة الجمل..

ويقول مثل آخر: «**الجمل لما يبعبع يضرب بالقلة**» فما معنى يضرب بالقلة «بضم القاف وشدة مفتوحة على اللام»؟ يقال إن الجمل «ضرب بالقلة» عندما ينفخ الهواء في لسانه يخرجه من فمه، فيتحول اللسان إلى بالونة تتدلى من الفم، ويتساقط منها الزبد، ويفعل الجمل ذلك في فترة التحول إلى مرحلة البلوغ حيث يكون في فترة هياج فيعكس ذلك على ما حوله، ويكون الجمل في هذه الحالة في قمة شراسته، حتى إنه يمكن أن يقتل ما حوله، وعلى الجمّال أن يكون في حالة من الحذر الشديد، ويعرف كيف يسوسه دون أن يزيد توتره.. أما كلمة «يبعبع» فتطلق على الصوت الذي يصاحب «ضرب القلة» كتعبير عن العصبية والتوتر[١]..

ولا شك أن هذه الأمثال وغيرها لا يمكن الوقوف على مراميها إلا من طرف الجمّالين والحمّالين أو الذين يقتربون بشكل

(١) جاء في المعجم الوسيط بعبع: بعبع الماء: صوت حين يخرج من إنائه متتابعاً. وبعبع الرجل: تابع كلامه في عجلة.

مستمر من هذا الحيوان ويعرفون طباعه وسلوكه . .

٢ ـ الخلفية الاجتماعية

وإذا كانت هناك بعض الألغاز التي لا يمكن الوقوف على أبعادها إلا من خلال شروح وتفسيرات الذين يقتربون من هذا الحيوان، فإن هناك أيضاً مجموعة من الأمثال التي لا يمكن معرفة معانيها إلا من خلال معرفة الخلفية الاجتماعية، بل إن هناك مثلاً لا يمكن أن يقف على مغزاه إلا الذين يعيشون في البيئة المحلية التي أفرزت هذا المثل مما سوف نشير إليه بعد سطور . .

يقول المثل : «**لو كان السلفة تحب السلفة كان الجمل طلع الغرفة**» وكلمة السلفة معروفة، وهي زوجة أخ الزوج بينما تعبير «الجمل طلع الغرفة» يحتاج إلى تفسير . فالمعروف أن الدواب عموماً وخاصة ذات الحجم الكبير كالجاموسة والبقرة والحمار والحصان والجمل . . إن هذه الدواب لا تستطيع ـ بحكم تكوينها الجسماني ـ أن تصعد السلم، ومعنى أن الجمل طلع الغرفة «أي صعد إلى الغرفة في الطابق الثاني» وهو أمر مستحيل أن يحدث، ومعنى المثل أنه كما أن هناك استحالة في أن يصعد الجمل إلى الطابق الثاني، فهناك أيضاً استحالة في أن تنشأ علاقة حب بين السلايف . .

أما المثل الذي يقول : «**ما تغطرس جمالك مع جمال الطز**» فهو يعكس ظرفاً محلياً وفي فترة تاريخية معينة، فالطز طائفة من الأتراك الذين استوطنوا مصر بعد الفتح العثماني لمصر ١٥١٧م وكانوا يعاملون المصريين بضرب من الاستعلاء، وكما أن هناك تمييزاً بين الترك والمصريين، فهناك أيضاً تمييز بين الحيوانات التي يمتلكونها كالجمل مثلاً . .

أما المثل المحلي ـ المغرق في المحلية ويرتبط بموقف اجتماعي وتاريخي ـ فقد شاع في منطقة زفتى[1] فيقول: **«كان الراعي فين لما الجمال قامت على الجحوش»** فرغم أن المعنى الظاهري واضح، ولكنه في هذه المنطقة يحمل مدلولاً تاريخياً واجتماعياً في آن واحد ويحتاج إلى تفسير.. ففي قرية سند بسط شاع هذا المثل في فترة تاريخية حيث تسكنها ثلاث عائلات كبيرة كل منها ذات سطوة بشرية واجتماعية ـ وكان ذلك قبل ثورة ١٩٥٢ ـ هذه العائلات هي عائلة الجحش وهي عائلة ضخمة ممتدة إلى عدة قرى ومنها قرية سند بسط، وكان منها وزراء، ومنهم من وصل إلى رئاسة الوزارة فيما قبل الثورة. أما العائلة الأخرى المنافسة فهي عائلة الجمل ولهم كثرة عددية وسطوة. أما العائلة الثالثة فهي عائلة الراعي ومنها من شغل مراكز مرموقة قبيل قيام الثورة ١٩٥٢، وكان عمدة القرية من عائلة الراعي، وكان هناك صراع وتنافس بين عائلة الجحش وعائلة الجمل، وفي إحدى المرات ـ قبيل ثورة ١٩٥٢ ـ دارت معركة بين الجمال والجحوش وكان عمدة القرية من عائلة الراعي فشاع هذا المثل الفكاهي في تلك الفترة..

وإن دل ذلك على شيء فإنما يدل على أن هذا الحيوان قد ترك أثراً على سلوك الناس، بل إن هناك عائلات كثيرة في مصر تحمل اسم الجمل أو الجمّال..

٣ ـ الخلفية الجغرافية

أما عن الخلفية الجغرافية فنحن نوجزها في المثلين الآتيين: يقول المثل الأول: «العريان في القافلة مرتاح». والمعروف أن قوافل

(١) مدينة زفتى تقع على نهر النيل فرع دمياط وتتوسط المسافة بين القناطر الخيرية ودمياط، وتقع جنوبها قرية سند بسط، وقد دخلت أخيراً ضمن حدود المدينة.

الجمال لا تسير إلا في الصحارى وإلى مسافات بعيدة، وكانت هذه القوافل تتعرض لقطاع الطرق الذين كانوا يستولون على كل ما لدى القافلة، ومن هنا يمكن أن نفسر لماذا يكون «العريان» مرتاحاً، ذلك أن هذا العريان لن يخسر شيئاً إذ إنه لا يخاف من مفاجآت الطرق لأنه لا يملك شيئاً يمكن أن يستولي عليه اللصوص.

أما المثل الآخر، فيقول: «**ضراط البل ولا تسبيح السمك**» فهو يعني أن الحاج كان يفضل الرحلة عن طريق البر أي عن طريق استخدام الجمل في التنقل رغم ما قد يصاحبها من مصاعب أو مفاجآت على ما عداها، وخاصة تلك الرحلة عن طريق البحر، حيث إنها أكثر خطورة..

ولا شك أن هذه الشروح السابقة توضح أن هذه النصوص التي تبدو ألغازاً عند البعض فإنها لدى الجمّالين والحمّالين أمور يومية معاشة يرددون هذه الأقوال بفطرية وتلقائية أو هي من قبيل تحصيل الحاصل أو هي نصوص حرفية..

ومع ذلك فإن هناك بعض النصوص اللغزية التي ارتبطت بالجمل، والتي تقال على سبيل تزجية أوقات الفراغ، ونحن نكتفي في هذا المجال بأن نورد نصاً من الألغاز على سبيل المثال، وكإشارة إلى أن الناس قد أدخلوا هذا الحيوان ضمن فن اللغز، فهناك لغز يقول: «جمل بارك في المبارك يأكل حشيش الدنيا وهو بارك»: «الفرن»[1]، فالفرن مثل الجمل البارك ،والفرن يأكل الأحطاب التي تقدم له ولا يشبع وهو رابض لا يتحرك..

وأخيراً فقد آثرنا ـ تحت عنوان الألغاز ـ أن نقتصر على

(١) مأثوراتنا الشعبية، د. أحمد مرسي، ص ٩٤، مكتبة الأسرة ١٩٩٨.

الأمثال المصرية على اعتبار أنها ميسورة، كما أن قضية الألغاز ـ وهذا هو الأهم ـ أو «السيم» قضية ذات طبيعة محلية وقد تكون مغرقة في المحلية بحيث تقتصر على مكان معين في فترة زمنية معينة، ومن ثم فإن التناقض أو الغموض في المثل لا يمكن الوقوف على مراميه إلا من خلاف المعايشة والمعرفة السلوكية لهذا الحيوان، ومن خلال الظروف البيئية..

ورغم تقلص دور الجمل في الحياة الريفية حتى انتهى تماماً[1] إلا أن نصوص الأمثال ما زالت تؤدي دوراً في إيقاع الحياة اليومية على مستوى المجتمع، ويمكن تفسير ذلك بأن طباع الجمل سلباً وإيجاباً قد تركت انطباعاً على سلوك البشر، فالألفة والوداعة يقابلهما الشراسة والمكر، وهي من صفات الجمل، وتنعكس على سلوك البشر، ومن ثم فإن موقف صاحب الجمل من هذا الحيوان متناقض، فقد يقف منه موقف الصديق والعكس تماماً حيث يتحول الجمل من النقيض إلى النقيض تماماً بشكل فجائي، ومن ثم انعكس ذلك على الجمّال..

ومن ناحية أخرى فلا شك أن تكرار التجارب والمعايشة قد جعلت الناس يسقطون بعض الحلقات التفسيرية على اعتبار أنها مفهومة تلقائياً، وهو نزوع طبيعي لدى البشر إلى الاختصار والإيجاز، ولذلك نزع الناس إلى الإيجاز الذي وصل بالنص إلى أن يمثل لغزاً لدى الغير من الذين لا يتعاملون مع هذا الحيوان..

* * *

ويمكن لنا أن نلاحظ من خلال الصفحات السابقة أن هناك

(١) اعتاد كاتب هذه السطور أن يذهب إلى بلدته زفتى بمحافظة الغربية ويسأل عن وجود هذا الحيوان فيردون بأنه اختفى تماماً وأن الأجيال الجديدة لا تعرف شيئاً عن هذا الحيوان.

اهتماماً بالصورة الأدبية رغم أن هذه النصوص مما يدور بين الذين يوصفون بالأمية والجهل، فكيف تفسر هذا التناقض؟ ومن جانبنا نقول: إن هذا التناقض ظاهري، أو إنه يبدو شكلياً يمكن تفسيره في النقاط التالية:

أولاً: أن جزءاً من لغة هذه الأمثال انتقلت من المثقفين إلى الناس العاديين، فبقي الشكل الفصيح، ثم أجرى العوام بعض التغييرات الشكلية التي تتوافق مع المنطوق الشفوي، بمعنى أن هناك تياراً ثقافياً يتجه إلى العوام، وتأتي نصوص الأمثال ضمن هذا التيار، وعلى وجه الخصوص تأتي نصوص أمثال الجمل باعتبار أن الجمل كان وسيلة المواصلات الأولى في عالم الصحراوات الشاسعة حتى بداية القرن العشرين، وباعتبار أن مواطن الريف عبارة عن جيوب في تلك الصحراء الممتدة من الخليج إلى المحيط الأطلنطي، وباعتبار أن دور الجمل لم يتغير منذ القديم حتى الآن، ومن ثم بقيت الصورة الأدبية بشقيها: اللغوي ويتمثل في السجع والمقابلة والمجاز.. إلخ، والفكري الذي يتمثل في المضمون والهدف وتسجيل الواقع المكاني والزماني..

وفي مقابل هذا التيار يمكن افتراض أن هذه النصوص قد انتقلت من بسطاء الناس إلى المثقفين على اعتبار أنهم يمثلون شريحة صغيرة يمكن أن تتأثر بالتيار الثقافي العام، ثم أجرى المثقفون بعض التغييرات أو التعديلات بما يتفق مع تحويل المنطوق الشفاهي إلى التسجيل النصي الذي يناسب التسجيل على الورق..

ثانياً: لم تكن هناك في القديم تلك الفواصل الحادة بين المثقفين والشعبيين، وكانت هناك تداخلات فكرية واجتماعية، ولم يكن التعليم إلاصورة نظامية على شكل بدائي، كما كان الناس

يتحدثون العربية بالفطرة والسليقة دون حاجة إلى الانتظام أو التفرغ.

ثالثاً: الحس الشعبي تستهويه الإيقاعات الصوتية الموزونة والمتساوية الحركات والسكنات والتي تهتم بالرتابة والتكرار - تكرار «اللازمة» الصوتية - وهي تشبه في ذلك النقوش على الحوائط عن طريق الزخارف المتكررة في المساجد والمباني العربية القديمة وعلى الأبواب الخشبية والمشربيات والكراسي، وهذه اللازمة الصوتية تتمثل في تتابع الحركات والسكنات بإيقاع معين يعتمد التناغم المتكرر وربما اتجه الناس إلى هذا اللون بهدف حفظ الخبرة الحياتية في التعامل مع هذا الحيوان وهي - فيما نعتقد - إحدى وسائل التلقين التي تتميز بها المجتمعات في العصور الوسطى، يقول المثل: «**كل أكل الجمال وقم قبل الرجال**» ويقول المثل العراقي: «**كل أكل الجميل وقوم قبل الغجيل**» ويقول المثل في منطقة بغداد: «**كل أكل الجمال وكوم كبل الرجال**» ويقول المثل الفلسطيني: «**غب غب الجمال وقوم قبل الرجال**» والمثل النجدي: «**راح الجمل وما حمل**» ويقول المثل المصري: «**خيبة الأمل راكبة جمل**»..

رابعاً: المعروف أن اللغة العربية تتميز عن غيرها من اللغات بالصورة الاشتقاقية، بينما نجد أن اللغات الغربية (الانجليزية - الفرنسية.. إلخ) تعتمد على الدمج والإضافة ولا تعرف الاشتقاق كما أن اللغة العربية غنية بالبدائل والمرادفات وهذه العناصر الثلاثة (البدائل والمترادفات والاشتقاقات) إنما تعبر عن المرونة اللفظية القادرة على التأقلم والتطور..

خامساً: وأخيراً نصل إلى روابط القربى الفكرية التي تجمع بين الأقطار العربية بما تحتويه من عناصر اجتماعية ولغوية. ومن

جانبنا لم نستطع أن نجد اختلافاً واضحاً بين المثل الموصلي والمثل المغربي.. بل إن المثل الموصلي قد يكون منتشراً في المغرب دون تغيير يذكر، ذلك أن عناصر التوحيد كثيرة ومتعددة في دار السلام..

كما أن هذه الأمثال عبارة عن نموذج كلي لسلوك الإنسان ورؤيته للظروف المحيطة، وفي تعامله مع هذا الحيوان، وقد تجسد ذلك في هذه النصوص التي تعبر عن التفاعل مع الواقع والمحيط..

وفي هذا المجال فقد لاحظنا أن المثل المصري أكثر رصداً للتفاصيل رغم أن هذه التفاصيل معروفة على مستوى العالم قديماً وحديثاً، وهذه الحقيقة تعتمد على ما توفر لدينا من مصادر ونصوص.. فالمثل المصري الذي يقول: «**الجمل بيخزن الدهن في حدبته لحد ما يجوع ياكله**» هذه الظاهرة التي رصدها المثل ليست قاصرة على المصريين، ولكنها معروفة في كل مكان، بل إن الأجانب تحدثوا عنها كثيراً ولكن لم نلحظ مثل هذه الظاهرة التسجيلية في أمثال البلاد العربية.. فهذه التفاصيل ربما كانت موجودة وشائعة ولكن عذرنا أننا نتحدث بناء على ما بين أيدينا من نصوص وهي في واقع الأمر قليلة..

ومن ناحية أخرى فإن متابعة الأمثال تبين لنا أنها تظهر في صورة منفردة:

أولها: أن هذه الأمثال تكشف عن دور الجمل في الحياة اليومية، وتأثيره المباشر على رؤية الناس وثقافتهم اليومية.

ثانيها: هذه الأمثال تكشف طبيعة العلاقة بين الناس، وهذا الحيوان من حيث القبول أو عدم القبول أو بمعنى آخر الرضا عن سلوك هذا الحيوان أو عدم الرضا عن هذا السلوك..

ثالثها: نسبة كبيرة من هذه الأمثال لا تعبر عن علاقة مباشرة بين هذا الحيوان وبين الناس، ولكنها تعكس طبيعة العلاقات بين الناس، والجمل هنا عبارة عن رمز أو وسيلة منتزعة من المحيط للتعبير عن الغرض أو المضرب.. فالمثل الذي يقول: «**كل أكل الجمال وقوم قبل الرجال**» ليس للجمل علاقة به، ولكنه نصيحة لأحدهم أو تعبير عن رؤية خاصة.. والمثل الذي يقول: «**الباب يفوّت جمل**» في مصر وموجود في العراق بصيغة: «**الباب يوسع جمل**» لا يعني الجمل في شيء، كما أنه لا يعكس علاقة أو رؤية خاصة بالجمل، ولكنه يدخل ضمن إيقاع التفاعل اليومي بين الناس.. وفي مصر فإذا كان هذا الحيوان قد اختفى من الحياة العامة حتى أن الأجيال الجديدة لم تعد تسمع عن هذا الحيوان إلا أن مجموعة كبيرة من أمثال الجمل ما زالت تشيع وتنتشر بكثافة بين الناس، وبين المثقفين خاصة.

الخاتمة

إن المكتبة العربية ـ على قدر علمي ـ تكاد تخلو من كتاب في هذا الموضوع، ذلك أن الدراسات الشعبية علم جديد في العالم العربي، كما أن هذه الدراسات بحكم بدايتها اتجهت إلى البشر والمجتمعات من خلال النشاط، البشري اليومي على المستوى الفردي والمستوى الجماعي، وهذا النشاط أفرز ثقافة تلبي احتياجات هذا النشاط فاتجهت الدراسات إلى الثقافة الشفوية التي تعكس النشاط اليومي للناس، وإذا كانت هناك دراسات شعبية حول الحيوانات الأليفة التي تعايش الإنسان وتمثل جزءاً من حياته اليومية، فإنها تمثل اهتمامات ثانوية، ولكنها على أية حال موجودة، ولكن لا توجد دراسة عن الجمل ودوره الاجتماعي في التأثير في حياة الناس، ولا توجد دراسة في موضوع الأمثال عن هذا الحيوان..

وأهمية هذه الدراسة لا تأتي من طرافتها أو ريادتها فحسب، لكنها تأتي من أنها قد تدفع الباحثين في الدراسات الشعبية إلى جمع التراث الشعبي حول هذا الحيوان وإخضاعه للدرس الذي قد يلقي أضواء على الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية في الماضي. إن هذا الحيوان كان يؤدي في القديم وحتى منتصف القرن العشرين دور سيارة النقل في أيامنا هذه، تلك السيارة التي تحمل الأمتعة والأثقال إلى مسافات طويلة تبلغ مئات بل آلاف الكيلو مترات وكان الجمل يقطعها ـ وليس له بديل ـ في شهور..

كما يمكن أن يحرض الباحثين إلى تقديم دراسات عن كافة

صور التعبير الشعبية التي ارتبطت بهذا الحيوان كالأزجال والأشعار والحكايات، وأعتقد أن الباحثين سيجدون مادة ثرية حول هذا الحيوان سواء في القديم أو الحديث..

لقد درجنا نحن البشر على دراسة أحوالنا وهو ما يدخل ضمن علوم الاجتماع ودراسة الطبيعة من حولنا، وهو ما يسمى «الجغرافيا» ومتابعة التطور الحضاري، وهو ما يسمى «التاريخ». وعندما نتحدث عما تحتويه الطبيعة من نباتات وحيوانات فإننا نتحدث عما يعود علينا من هذا، بمعنى أننا ننظر إلى النباتات والحيوانات من منظور مادي بحت، ولكننا حتى الآن لم نلتفت بما فيه الكفاية إلى دور الحيوانات الأليفة في توجيه حياة البشر والتأثير فيها، رغم أن هذه الحيوانات تترك انطباعات متنوعة، ومع ذلك فإن هناك تراثاً بشرياً حول هذه الحيوانات، وإن متابعة هذا التراث وإلقاء الضوء عليه بين الحين والآخر، وفي مراحل تاريخية متتابعة يمكن أن يكشف الأدوار التي لعبتها هذه الحيوانات في الحياة البشرية، وخاصة في منطقتنا هذه، حيث تعيش حيوانات أليفة كالفرس والحمار والجاموس والماعز والخراف، ويأتي - بلا شك - على رأس هذه الحيوانات ذلك الحيوان الذي اختفى من الحياة اليومية منذ نصف قرن وهو الجمل. لقد لعب هذا الحيوان أخطر الأدوار في حياة الناس الذين يسكنون المنطقة الواقعة بين الخليج العربي والمحيط الأطلسي وتمتد جنوباً حتى أواسط إفريقيا وهي أكبر منطقة صحراوية على مستوى الكرة الأرضية وتبلغ المنطقة الصحراوية حوالي ثلاثة أرباع العالم العربي.. وهذا الحيوان صحراوي في الأساس، وريفي في الجيوب الريفية التي تتخلل الصحراء بين الخليج والمحيط، ومدني في المدن المنتشرة في هذه الأماكن...

ودور الجمل - كما أشرنا - في النقل، حيث يحمل ثلاثة أمثال

ما يحمله مثيله من الحيوانات الأخرى، فضلاً عما يتميز به من هدوء في الطبع وقلة في النفقات.. ولقد امتد تأثير هذا الحيوان إلى الحد الذي تم تسمية العديد من الأماكن في مصر باسمه، وكذا العديد من الأسر المصرية، فوجدنا عائلات الجمل وعائلات الجميل، ووجدنا في القاهرة حي الجمالية..

إننا أمام حيوان لا يعمر طويلاً كالحصان مثلاً حيث لا يتعدى عمر الجمل ٢٧ عاماً بينما يمتد عمر الحصان إلى ٦٢ عاماً ولكنه ترك أثراً كبيراً في حياة الناس في هذا العمر القصير..

لقد حاولت هذه الدراسة أن تتابع أمثال الجمل رأسياً وأفقياً بمعنى آخر تاريخياً وجغرافياً، أي تتابع هذه الأمثال عند القدماء ومنذ بداية العصر الإسلامي مروراً بالعصور الوسطى وحتى العصر الحديث، ثم تتابع هذه الأمثال في أنحاء العالم العربي شرقه وغربه، وقد لاحظنا بشكل عام أن دور الجمل لم يتغير، ومن ثم فإن الانطباعات لم تتغير أيضاً لا في القديم ولا في الحديث، بصرف النظر عما يمكن ملاحظته من فروق طفيفة هنا أو هناك أو تفاصيل هنا أو هناك..

لقد اختص الجمل بحمل الأثقال عبر الصحارى بسهولة ويسر، وسهل من معيشة الإنسان في هذه الصحارى، ولم يتوقف هذا الدور إلا منذ بداية استخدام النار واستخدام الآلات الميكانيكية الحديثة برياً وبحرياً، ولذلك فإن الجمل كان يمثل بالنسبة لصاحبه رأسمال مستقل، حيث إنه كان يقوم بنقل البضائع بالأجر، وفي هذا المجال فإن هذا الحيوان يحتاج إلى شخص مدرب على كيفية قيادته وهو ما يطلق عليه الجمّال. فالجمّال بالنسبة للجمل كسائق السيارة بالنسبة للسيارة في العصر الحديث، والذي لا يستطيع أن يحرك

السيارة إلا بعد تدريب، وكذلك الجمّال الذي لا يستطيع أن يسيطر على الجمل ويتحكم في حركته إلا بعد خبرة. ولذلك فإذا ذكر الجمل فإننا نذكر معه الجمّال..

ولقد ترك هذا الحيوان أثراً واضحاً على سلوك الناس حيث إن طباعه وتكوينه الجسماني ودوره الوظيفي قد انعكست على سلوك الناس قديماً وحديثاً، فوجدنا المثل القديم الذي يقول: «**ويشرب جملها من الماء؟**» عن تلك المرأة التي طلقها زوجها وبعد فترة مرت قافلة وسمح هذا الرجل لقافلة في الطريق بأن تشرب من بئره، وإذا به يجد زوجته التي طلقها على ظهر جمل لهذه القافلة، فقال هذا المثل..

وأخيراً نجد أن التأثيرات السياسية التي تركها هذا الحيوان في القديم ما زالت تتردد حتى أيامنا هذه، فالمثل: «كليب أسد في الناقة» وهو يرتبط بناقة البسوس، وهي قضية سياسية تاريخية ما زالت دائرة بين بدو سيناء..

لقد ارتبطت الأمثال في القديم بحكايات حقيقية في بعض الأحيان أو خيالية في أحيان أخرى، ولكن الغالب على هذه الحكايات أنها وليدة عصر الفتوحات، فنجد أن الحكايات التي تنتهي بمثل تعبر عن دور وظيفي لكليهما حيث نجد أن المثل يفسر المغزى من الحكاية، وأن الحكاية لا تفهم اختصاراً إلا من خلال النص المثلي المركز، فالمثل هنا عبارة عن قصة في حالة تركيز..

إن هذه الحكاية المثلية هي إحدى أساليب الترويح في العصور التي تلت الفتوحات، وهي عصور الاسترخاء حيث ينزع الناس إلى اجترار الماضي، وليس لديهم إلا الجمل كمادة للتعبير عن سلوك الناس، ونحن نعتقد أن امتزاج أمثال الجمل بالحكايات إنما هو

امتداد لشعر الرجز الذي ظهر على إيقاعات الحداء وكان له فعل السحر على الجمل والجمّال في اجتياز المسافات الطويلة..

إن أمثال الجمل القديمة المصاحبة لحكايات تؤكد أن النصوص القديمة هي في واقع الأمر نصوص شعبية في الأصل، ثم انتقلت إلى بطون الكتب في فترات معينة ضمن التسجيل والتوثيق الثقافي..

فإذا انتقلنا إلى العصر الحديث فإننا لا نجد تلك الحكايات المثلية التي كانت تقوم بدور ترويحي، ذلك أنها لم تعد تناسب الظروف الحديثة، ومع ذلك فإن أمثال الجمل في الحديث هي امتداد للأمثال القديمة فيمكن ملاحظة أن هناك وحدة فكرية تربط بين المثل القديم والمثل الحديث، بل إن هناك أمثالاً ممتدة ومتواصلة منذ القدم، ولم تقتصر على قطر دون آخر، ولكنها شائعة في العالم العربي، فوجدنا المثل في الموصل بالعراق، ووجدناه في مصر والمغرب والجزائر، وهو ما يؤكد أن التوزيع البشري للسكان على مستوى العالم العربي عبارة عن محطات بشرية في عالم الصحارى المترامي الأطراف، وأن العربي كان ينتقل من دار السلام التي تبدأ من أقصى الشرق الإسلامي إلى أقصى الغرب حيث كان الناس ينتقلون بحرية وأمان ودون إحساس بالغربة، وبالتالي انتقلت الأفكار من القديم إما عن طريق الرواية الشفوية، أو عن طريق الوثائق، ولم يكن هناك وسيلة إلا الجمل تقطع هذه المسافات ونقل الثقافة من مكان إلى آخر. وقد ظهر هذا في أمثال الجمل حيث إن أمثال الأبشيهي على سبيل المثال (القرن التاسع الهجري) ما زالت تتردد بيننا على المستوى الشفوي والصحفي، فمن منا لم يردد أو يسمع المثل: «**يادي الشيلة يادي الحطة راحت على جمل وجت على قطة**»، ومن منا لم يردد المثل الموجود في الميداني (٤٧٠ هـ)

والذي يقول: «**الجمل في شيء والجمال في شيء**»؟

ومن ناحية أخرى فإن الأمثال النجدية تعد امتداداً طبيعياً للأمثال القديمة حيث نجد أن الأمثال تعظم من شأن الإبل، والأمثال الكويتية تهتم بالجمل كوسيلة لأداء شعائر الحج، وأمثال الجمل في البادية تعطي صورة مفصلة عن طبيعة الحياة البدوية وطبع الإبل وأوصافها وعادات الناس وتقاليدهم ودرجة تأثرهم بهذا الحيوان في معاملاتهم، مما يعطي انطباعاً بأنه لعب دوراً مؤثراً في منظومة الحياة البدوية اجتماعياً وسياسياً وثقافياً واقتصادياً حتى قيل إن البدوي والإنسان عموماً لم يكن يستطيع أن يعيش في الصحراء لولا الجمل. وهكذا فقد تحدثت الأمثال عن القوافل «القافلة رفعت» وهي ظاهرة صحراوية حيث يعيش البدوي في حركة دائمة لا تعرف الاستقرار أو الارتباط بالأرض، فإذا انتقلنا إلى الأمثال الليبية أو الجزائرية فسوف نجد أن الطبيعة البدوية هي الصفة الغالبة وهناك سبب جغرافي حيث إن الصحراء الكبرى وهي أكبر الصحراوات في العالم تمتد من غرب مصر إلى ليبيا فالجزائر فالجزء الشرقي من المغرب، وقد انتجت هذه الطبيعة أمثالاً بدوية صحراوية.. وخاصة الأمثال الجزائرية التي تشتمل على الجزء الأكبر من هذه المساحة، يقول المثل: «الضعيف في القافلة معه ربي»، «**شدوا شعيركم وانشدوا بعيرنا**» بمعنى أمسكوا عنا شعيركم نمسك بعيرنا، «**لا تأمن للعرب الرحالة لو كان إنك سارح جمالهم**». أما في الأمثال البدوية المصرية فلدينا المثل الذي يقول: «**الإبل بلول الريق**» بمعنى تعينك ولا تجعل ريقك يجف، «**الإبل معاوين الدهر**» أي تعين على الحياة، «**الإبل ملوك**» أي كالملائكة ذلك أنها تستشعر الخطر قبل وقوعه.. وغيرها.

أما في البيئات الريفية فقد تظهر بعض التأثيرات الزراعية بين

الحين والآخر فيقول المثل العراقي: «**البعير ميعرف ربه إلا بالزلك**» والأرض الزلقة لا توجد إلا في الريف، ويقول المثل المصري: «**ياما الجمل كسر بطيخ وياما البطيخ كسر جمال**» والبطيخ من المحاصيل الريفية..

والواقع أن الباحث المدقق لا يستطيع أن يفرق بين أمثال الجمال في البادية وأمثال الجمال في الريف باستثناء بعض الظواهر الواضحة والتي أشرنا إليها، ذلك أن هناك مزيجاً بين هنا وهناك، وهذا المزيج ليس فكرياً كما تدل عليه النصوص، ولكنه مزيج بشري في الأساس تولد عنه مزيج فكري أو تفاعل بحيث لا يمكن أن نفرق بين هذا وذاك. وفي الحقيقة نحن نقول الرمل والطين أو الصحراء أو البدو والفلاحين أو الحركة والاستقرار، ومن ثم فإن العقلية البدوية تعتمد على موروثات تختلف عن العقلية الزراعية، وكذلك فإن السلوك اليومي يختلف هنا عن هناك ـ مع تسليمنا بوجود بعض الاختلاف، والمثل المصري يقول: «يبقوا اختين ولهم طبعين» إلا أننا نجد وعلى الأرض المصرية بوجه خاص حيث نعيش نجد أن هناك مزيجاً فكرياً أو تفاعلاً بحيث تكونت ثقافة ذات نوعية خاصة عبارة عن مزيج من البداوة والريفية، بل إن الأرض المصرية هي في الحقيقة مزيج من الطين والرمل أو أنها تكونت من الرمل الذي تحول إلى ذرات ناتجة عن اختلاطه بماء النيل المشبع بذرات فتكون الغرين فتحول الرمل إلى تراب أو طين.. وإذا رجعنا إلى جذور المصريين نجد أنها قادمة من الصحراء الشرقية والغربية ممتزجة بالأهالي المقيمين، وبعد عدة أجيال تحول القادمون إلى مصريين قلباً وقالباً وهو ما انعكس على هذه الأمثال حيث يصعب الفصل التام بين المثل الصحراوي والمثل الريفي إلا من خلال الشواهد الواضحة وهي قليلة وليست ظاهرة..

أما بخصوص الرحلة الحجازية فقد تبين أن القدماء لم يسجلوا أمثالاً للحج ربما لشدة ألفتها، وربما كانت هذه الأمثال شائعة وسجلت في أوراق منفردة أو في مجلدات ثم فقدت وهو ما نرجحه، وحسب ما بين أيدينا من كتب القدماء فقد خلت هذه الكتب من أمثال الحج، ولكننا في منتصف الطريق إلى العصر الحديث نلمح إشارة الأبشيهي حيث يورد المثل: «**الحج مربوط له جمال**» وهذا النص ما زال ينتشر بين المحدثين..

ومن تحصيل الحاصل نقول: إن قوافل الحجيج تواصلت منذ بداية الإسلام وانتشاره في جميع الأنحاء حتى اليوم، وكانت الوسيلة المثلى طوال هذه القرون هي الجمل حيث تقوم القوافل من سائر الأطراف متجهة إلى الأماكن المقدسة، وحتى وقت قريب كانت القافلة الرئيسية التي تقوم من مصر تسمى المحمل، وكان الاهتمام بالقافلة كبيراً، ويجري الاحتفال على مستوى كبار المسؤولين في البلاد ويشترك في الاحتفال عناصر رمزية من الجيش حتى لقد قيل عن الجيش عند قيام ثورة ١٩٥٢ إنه كان يسمى جيش المحمل..

وقد تركت هذه الرحلة مجموعة من الأمثال - أشرنا إليها في سطور سابقة - رصدت تفاصيل هذه الرحلة مثل طريقة السفر وإقامة الزينات وأسلوب الناس في التعبير عن سعادتهم، وأيضاً ما يقابل الرحلات في الطريق من مفاجآت أو أخطار..

ومن ناحية أخرى فقد كان الجمل من العناصر الهامة التي ساعدت في إثراء اللغة العربية فقد كانت مصدراً كبيراً للمفردات العديدة في اللغة العربية ووسعت ثراءها، فقد تولدت كلمات كثيرة عن ملاحظة الناس لسلوك الجمل وتكوينه الجسماني ثم انتقلت هذه الكلمات إلى الاستخدام العام بل إن هذا الحيوان دخل في صياغة

تعريف الجملة المثلية، وقد كان اللغويون يلجأون للاستشهاد بالكلمات التي تولدت عن الجمل عند التفسير اللغوي، فإذا انتقلنا إلى الظواهر الأدبية وجدنا الحوار بأشكاله العديدة كالحوار مع الجمل كما لو كان شخصاً يمكن التحدث معه، وكذلك الحوار عن الجمل أو رسم الجمل في صورة غزلية. ووجدنا أيضاً الألغاز التي تكشف الخلفية الاجتماعية والخلفية الجغرافية، وهذه النصوص قد لا تكون ألغازاً بالنسبة للجمّالين أو الذين لهم علاقة مباشرة مع هذا الحيوان، ولكنها ألغاز بالنسبة للذين ليس لهم علاقة به، ووجدنا أيضاً الأشعار ومنها الأراجيز التي كانت تصاحب سير الجمل وتساعد كلاً من الجمل والجمّال على تحمل مصاعب الرحلة..

وهذه الأمثال - موضوع هذا الكتاب - مجموعة من الانطباعات الأدبية وقد تتبعنا هذه الانطباعات قديماً وحديثاً وعلى مستوى العالم العربي شرقه وغربه، وقد سجلنا هذه كما هي موجودة في الوثائق وأيضاً كما يرددها الناس في أنحاء الوطن العربي، ونحن إذ نسجل هذه الانطباعات الشفوية إنما ننقلها من تيار الكلام الشفوي إلى التسجيل التاريخي، وهو ضرب من التوثيق التاريخي في المراحل الزمنية المتعاقبة، وتزداد أهمية هذا التسجيل بعد أن توقف الدور الوظيفي لهذا الحيوان بعد انتشار وسائل النقل الحديثة..

وقد أفردنا في هذا البحث فصلاً عن أمثال الجمل في مصر بشيء من التفصيل الذي فرضته نصوص الأمثال، كالجمل في الريف، وأمثال الجمل والعلاقات بين الناس، وأمثال الجمل في الصحافة، وأمثال الجمل في سيناء..

وأخيراً فلعلنا نتساءل عما إذا كانت هناك علاقة عاطفية بين

المصريين والجمل، وخاصة إذا كان هناك توحد في الطباع.. إن أبرز طباع الجمل هو الصبر، وهو أيضاً أبرز طباع المصريين حيث إن الصبر وطولة البال هو ما ساعد المصريين على مواجهة ظروفهم مع الحكام الأجانب. وكذلك نجد أن الجمل يتمتع بالهدوء وهو يحمل الأثقال ولا يلجأ إلى التمرد ولذلك وجدنا المثل الذي يقول: «الصبر جميل» وهو مثل يشيع بين المصريين على كافة المستويات لامتصاص حالات الغضب أو التهور، وقد فسر أحدهم هذا المثل فقال: إن الصبر صفة من صفات الجمل الجميلة، وهكذا وجدنا توحداً بين طبيعة الجمل وطبيعة المصريين، ولكنها لا تعني إعلاء من شأن الجمل مثلما هو الحال بين البدو، ذلك أن دور الجمل في الريف ليس أساسياً، كما أن هذا الحيوان يمثل رأسمال في الدرجة الأولى وليس حيواناً للخدمات كغيره من حيوانات الحقل..

انتهى الساعة ٧,٣٠ مساء في ٢٤/ ١/ ٢٠٠٠

الدكتور

إبراهيم أحمد شعلان

الفصل السادس

الملاحق:

- أمثال الجمل في القديم
- مجمع الأمثال للميداني
- العقد الفريد لابن عبد ربه

أمثال الجمل في القديم

أمثال الجمل في «مجمع الأمثال» للميداني عاش ٤٧٠هـ ومات ٥١٨هـ.

الجزء الأول:

* إن يَدْم اظلُّك فقد نَقِب خُفِّي

الأظل: ما تحت منسم البعير والخف واحد الأخفاف وهي قوائمه.

* إن تسلم الجِلَّة فالنيب هَدَر.

الجلة: جمع جليل، يعني: العظام من الإبل، النيب جمع ناب وهي الناقة المسنة يعني إذا سلم ما ينتفع به هان ما لا ينتفع به..

* أُصوصٌ عليها صُوصٌ

الأصوص: الناقة الحائل السمينة. والصوص: اللئيم، يضرب الأصل الكريم.. يظهر منه فرع لئيم..

* أخذت الإبل أسلحتها

ويروى رماحها، وذلك أن تسمن فلا يجد صاحبها من قلبه أن ينحرها.

* إنما يَجْزي الفتى ليس الجمل.

يريد لا الجمل أي إنما يجزيك من فيه إنسانية لا من فيه بهيمية، ويروى: «الفتى يجزيك لا الجمل» يعني الفتى الكيِّس لا الأحمق. .

* إذا زَحَف البعير أعيَتْه أذناه.

يقال زحف البعير إذا أعيا فجرَّ رسنه عياء.

* أوّل الصيد فرع.

الفرع أول ولد تنتجه الناقة كانوا يذبحونه لآلهتهم يتبركون بذلك، وكان الرجل يقول: إذا أتمت إبلي كذا نحرت أول نتيج منها، وكانوا إذا أرادوا نحره زينوه وألبسوه. .

* إنه ليقرد فلاناً

أي يختال ويخدعه حتى يتمكن منه وأصله أن يجيء الرجل بالخطام إلى البعير الصعب وقد ستره عنه لئلا يمتنع ثم ينتزع منه قراداً حتى يستأنس البعير ويدلي إليه برأسه فيرمي بالخطام في عنقه. .

* آخرها أقلها شرباً.

أصله في سقي الإبل. يقول إن المتأخر عن المورد ربما جاء وقد مضى الناس بعفوة الماء، وربما وافق منه نفاداً. .

* أثر الصرار يأتي دون الذيار

الصرار: خيط يشد فوق الخلف والتودية لئلا يرضع الفصيل.

والذيار: بعر رطب يلطخ به أطباء الناقة لئلا يرتضعها الفصيل أيضاً. فإذا جعل الذيار على الخلف ثم شد عليه الصرار فربما قطع الخلف. .

*** إحدى عشياتك من سقي الإبل.**

يضرب للمتعب في عمل..

*** إبلي لم أبع ولم أهب**

أي لم أبعها ولم أهبها. للظالم يخاصمك فيما لا حق له فيه..

*** إنها الإبل بسلامتها.**

يضرب لمن تزدريه فيخلف ظنك.

*** أخذت الإبل برماحها.**

ويروى أسلحتها وذلك إذا سمنت فلا يجد صاحبها من نفسه أن ينحرها.

*** إنك لتحدو بجمل ثقال وتتخطى إلى زلق المراتب.**

يقال: جمل ثقال إذا كان بطيئاً. ومكان زلق بفتح اللام أي دحض ـ يضرب لمن يجمع بين شيئين مكروهين..

* الإيناس قبل الإبساس

يقال آنسة أي واقعة في الإنس. والإبساس الرفق بالناقة عند الحلب، وهو أن يقال بس. بس. يضرب في المداراة عند الطلب..

* إن القلوص تمنع أهلها الجلاء.

ذلك أنها تنتج بطناً فيشرب أهلها لبنها سنتهم ثم تنتج ربعاً فيبيعونه، والمراد أنهم يتبلغون بلبنها وينتظرون لقاحها. يضرب للضعيف الحال يجاور منعماً..

* إذا شبعت الدقيقة لحست الجليلة

الدقيقة: الغنم. والجليلة: الإبل وهي لا يمكنها أن تشبع. يضرب للفقير يخدم الغني.

*** أبو وتيل أَبَلت جِمَالُه.**

يقال: أبلت الإبل إذا رعت الرطب فسمنت يضرب لمن كان ساقطاً فارتفع.

* إني مَلِيطُ الرفْد من عُوَيْمر.

المليط: السقط من أولاد الإبل قبل أن يشعر. يريد إني ساقط الحظ من عطائه. يضرب لمن يختص بإنسان ويقل حظه من إحسانه..

* إن كنت الحالبة فاستغزري

أي إن قصدت الحلب فاطلبي ناقة غزيرة..

* إن أخا الخِلاط أعْشى بالليل.

الخلاط: أن يخلط إبله بإبل غيره ليمنع حق الله فيها.

*** آخِرُ البَزِّ على القَلُوص.**

البز: الثياب. والقلوص: الأنثى من الإبل الشابة..

* آبل من حُنَيْف الحناتِم.

هو رجل من بني تميم اللات بن ثعلبة وكان ظمّأ إبله بعد العشر. وإظماء الناس غب وظاهرة. والظاهرة هي أقصر الإظماء، وهي أن ترد الإبل الماء في كل يوم مرة، ثم الغب وهي أن ترد الماء يوماً وتغب يوماً. والربع أن ترد يوماً ويومين لا، وترد اليوم الرابع، وعلى هذا القياس إلى العشر..

* آبل من مالك بن زيد مناة

هو سبط تميم بن مرة وكان يتحمق إلا أنه كان آبل أهل زمانه ثم إنه تزوج وبنى بامرأته فأورد الإبل أخوه سعد ولم يحسن القيام عليها والرفق بها فقال مالك:

أوردها سعد وسعد مشتمل ما هكذا تورد يا سعد الإبل

فأجابه سعد وقال:

تظل يوماً وردها مزعفرا وهي خناطيل تجوس الخضرا

*** إذا جاء أجل البعير حام حول البير.**

* إن الأسد ليفترس العير فإذا أعياه صاد الأرنب.

* بعد خيرتها تحتفظ.

ويروى بعد خيراتها والهاء راجعة إلى الإبل أي بعد إضاعة خيارها تحتفظ بحواشيها وشرارها. يضرب لمن يتعلق بقليل ماله بعد إضاعة أكثره..

*** بئس العِوَض من جمل قَيْدُه.**

ذلك أن راعياً أهلك جملاً لمولاه ثم أتاه بقيده فقال: بئس العوض.

* بيت الحيتان والأنوق.

وهما لا يجتمعان ـ يضرب لضدين اجتمعا في آن واحد.

*** أبغض من الطَّلْياء.**

الطلياء: الناقة الجرباء، وذلك أنه ليس شيء أبغض إلى العرب من الجرب لأنه يعدي..

*** أتْبع الفَرَس لجامها والناقة زِمَامها.**

أتم الحاجة.

*** اتخذ الليل جملاً.**

يضرب لمن يعمل بالليل من قراءة أو صلاة أو غيرهما مما يركب فيه الليل.

*** التَّمر في البئر وعلى ظَهْر الجمل.**

بمعنى أن من سقى وجد عاقبة سقيه في ثمره، وهذا قريب من قولهم: عند الصباح يحمد القوم السرى..

*** تسألني أمُّ الخيار جملاً يمشي رويداً ويكون أولاً.**

يضرب لمن طلب ما تعذر.

*** توطِّن الإبل وتَعَاف المِعْزَى.**

الإبل توطن نفسها على المكاره لقوتها، وتعافها المعزى لذلها وضعفها. يضرب للقوم تصيبهم المكاره فيوطنون أنفسهم عليها ويعافها جبناؤهم..

* تركْتُه على مثل عِضْرَطِ العَيْر.

عضرط العير: عجانه. يضرب لمن لم تدع له شيئاً.

* أتْمَك مِنْ سَنامٍ.

التموك: الارتفاع والسمن. والتامك من الإبل: العظيم السنام. وأتمكها الكلأ، أي سمنها، يعني الناقة..

* أثبت من قُراد.

لأنه يلازم جسد البعير فلا يفارقه.

* جل الرَّفْدُ عن الهاجن.

الرَّفد: القدح. والهاجن: البكرة تنتج قبل أن يطلع لها سن.

وقال بعضهم: أصل ذلك أن ناقة هاجناً لقوم نتجت وكانت غزيرة تملأ الرفد، فلما أسنَّت ونيَّبت قلَّ لبنها فقال أهلها للراعي: ما لها لا تملأ الرفد كما كانت تفعل؟ فقال: جلت الهاجن عن الرفد. قال أبو عمرو: جل الرفد عن الهاجن ـ يضرب للرجل القليل الخير.

* جاء كخاصي العَيْر.

يضرب لمن جاء مستحيياً ويقال: يضرب لمن جاء عرياناً ما معه شيء. ووجه الاستحياء أن خاصي العير يطرق رأسه عند الخصاء يتأمل كيفية ما يصنع..

*** الجمل من جَوْفه يجْتر.**

يضرب لمن يأكل من كسبه أو ينتفع بشيء يعود عليه بالضرر.

*** جاؤوا على بَكْرة أبيهم.**

البكرة تأنيث البكر، وهو الفتيّ من الإبل، أي جاؤوا بحيث تحملهم بكرة أبيهم، وقال بعضهم: البكرة ها هنا التي يستقى عليها. أي جاؤوا بعضهم على أثر بعض كدوران البكرة على نسق واحد. وقال ابن الأعرابي: البكرة جماعة من الناس..

* أجرى من الأيْهَمَيْن.

قالوا: هما السيل والجمل الهائج.

* أجوع من قُراد.

لأنه يلزق ظهره بالأرض سنة وبطنه سنة لا يأكل شيئاً حتى يجد إبلاً.

*** الجمل في شيء والجمال في شيء.**

*** جاء على ناقة الحِذاء.**

يعنون: النعل التي تلبس.

*** حَرِّك لها حُوَارَها تَحِنُّ.**

الحوار: ولد الناقة ولا يزال حواراً حتى يفصل، فإذا فصل عن أمه فهو فصيل، ومعنى المثل: ذكِّره بعض أشجانه يهج له، وهذا المثل قاله عمرو بن العاص لمعاوية حين أراد أن يستنصر أهل الشام..

* حَلَبت حلبتها ثم أقْلعت.

يضرب لمن يفعل الفعل مرة ثم يمسك.

* حلب الدهر أشطره.

هذا مستعار من حلب أشطر الناقة وذلك إذا حلب خلفين من أخلافها ثم يحلبها الثانية خلفين أيضاً..

* حِرَ أمّه يركب من لا حلال له.

جبيلة بن عبد الله أغار على إبل جرية بن أوس بن عامر يوم مسلوق فأطرد إبله غير ناقة كانت فيها مما يحرم أهل الجاهلية ركوبها وكان لجرية ابن أخت يرعى إبله فبلغ الخبر خاله والقوم قد سبقوا الإبل غير تلك الناقة الحرام، فقال جرية: رد عليَّ تلك الناقة لأركبها في أثر القوم، فقال له الغلام: إنها حرام، فقال جرية: حر أمه يركب من لا حلال له. يضرب لمن اضطر إلى ما يكرهه.

*** أحَلَبْت ناقتك أم أجْلَبْت**

يقال: أحلب الرجل: إذا نتجت إبله إناثاً فيجلب ألبانها، وأجلب إذا نتجت إبله ذكوراً فيجلب أولادها للبيع. والعرب تقول في الدعاء على إنسان: لا أحلبت ولا أجلبت.

* احْتَلِب فَرْوة.

زعموا أن رجلاً قال لعبد له: احتلب فروة لناقة له تدعى فروة فقال: ليس لها لبن فقال: احتلب فروة. يوهم القوم أنه يأمره أن يروى من لبن الناقة. يضرب للمسيء الذي يرى أنه محسن.

* حَوْضك فالأَرْسَال جاءت تَعْترك.

الأرسال جمع رسل: وهو القطيع من الإبل أي احفظ حوضك فإن الإبل تزدحم على الماء. يضرب لمن كافح من هو أقوى منه وأكثر عدة..

* حلوبة تثمل ولا تصرح

الحلوبة: الناقة التي تحلب لأهل البيت أو للضيف. وأثملت الناقة إذا كان لبنها أكثر ثمالة من لبن غيرها. والثمالة: الرغوة. وصرحت: إذا كان لبنها صراحاً أي خالصاً.. يضرب للرجل يكثر الوعيد والوعد ويقل وفاؤه بهما..

* حَمَله على الأفْتاء الصِّعاب.

الأفتاء: جمع فتيّ من الإبل. يضرب لمن يلقى في شرّ شديد. ويقولون في ضده..

* حمله على الشُّرُف الذُّلل.

الشرف: جمع الشارف وهي المسنة من النوق.

* حلِبَت صُرام

يضرب عند بلوغ الشر آخره. والصرام: آخر اللبن بعد التغريز إذا احتاج إليه صاحبه حلبه ضرورة. والتغريز: أن تدع حلبة بين حلبتين وذلك إذا أدبر لبن الناقة..

* أحَرُّ من القرع.

هو بثر يأخذ صغار الإبل من رؤوسها وأجسادها فتقرع والتقريع معالجتها لنزع قرعها وهو أن يطلوها بالملح وحباب البان، فإذا لم يجدوا ملحاً نتفوا أوبارها ونضحوا جلدها بالماء ثم جروها على السيخة..

* أحنّ من شَارِف

الشارف: الناقة المسنة، وهي أشد حنيناً على ولدها من غيرها.

* خُذ منها ما قَطع البَطحَاء.

منها أي من الإبل. أي خذ منها ما كان قوياً..

* اختلفت رؤوسها فرتَعَتْ.

الهاء راجعة إلى الإبل، وإنما تختلف رؤوسها عند الرتوع. يضرب في اختلاف القوم في الشيء..

* اختلط المرعى بالهَمَل.

يقال: إبل همل. والمرعى التي فيها رعاؤها، والهمل ضدها. يضرب للقوم وقعوا في تخليط..

*** أخلف من بول الجمل.**

هذا من الخلاف لأنه يبول إلى الخلف.

*** أخلف من ثيل الجمل.**

الثيل وعاء قضيبه، وقيل ذلك لأنه يخالف في الجهة التي إليها مبال كل حيوان..

* **أخفّ حلماً من بعير.**

من قول الشاعر:

لقد عظم البعير بغير لبٍّ فلم يستغن بالعظم البعير

* أخشن من الجذيل.

تصغير جذل وهي خشبة تغرز في الأرض فتجيء الإبل الجرباء فتحتك بها.

* دُرِّي عُقَابُ بلَبَنٍ وأشْخَاب.

أشخاب: جمع شخب، وهو ما امتد من اللبن من الضرع. وعقاب: اسم ناقة.

* **الذَّوْد إلى الذود إبل.**

الذود يقع على قليل الإبل ولا يقع على الكثير، وهو ما بين ثلاث إلى العشر إلى العشرين إلى ثلاثين ولا يجاوز ذلك. ويضرب في اجتماع القليل إلى القليل حتى يؤدي إلى الكثير..

* ذآنين لا رمث لها.

الذؤنون: نبت. والرمث: مرعى من مراعي الإبل من الحمض وهذا الذؤنون يثبت في الرمث. يضرب للقوم لا قديم لهم، ولا يرجى خير من لا قديم له..

* **أذَلُّ من بعير سانية.**

وهو البعير الذي يستقى عليه الماء.

* **أذلُّ من السّقْبان بين الحلائب.**

السقبان جمع السقب، وهو ولد البعير الذكر، ويقال للأنثى حائل.. والحلائب جمع الحلوبة وهي التي تحلب..

* **أذلُّ من حُوارٍ.**

وهو ولد الناقة ولا يزال يدعى حواراً حتى يفصل.

* رعى فأقصب.

يقال: قصب البعير يقصب إذا امتنع من الشرب. وأقصب الراعي إذا فعلت إبله ذلك أي أساء رعيها فامتنعت من الشرب، ذلك أن الإبل امتنعت من الشرب إما لخلاء أجوافها، وإما لامتلائها..

* رئمت له بوّ ضَيْمٍ.

البو: جلد الحوار المحشو تبناً، وأصله أن الناقة إذا ألقت سقطها فخيف انقطاع لبنها أخذوا جلد حوارها فيحشى ويلطخ بشيء من سلاها فترأمه وتدر عليه يقال: ناقة رائم ورؤوم إذا رئمت بوَّها أو ولدها، فإن رئمته ولم تدرّ عليه فتلك العلوق. ويضرب المثل لمن ألف الضيم ورضي بالخسف طلباً لرضا غيره..

* ارْقَ على ظَلْعِك.

يقال ظلع البعير يظلع إذا غمز في مشيته. ومعنى المثل: تكلف ما تطيق.

* ركب المغمضة.

أصلها الناقة ذيدت عن الحوض فغمضت عينيها، فحملت على الذائد فوردت الحوض مغمضة. يضرب المثل لمن ركب الأمر على غير بيان.

* أرها أجلى أنَّى شئت.

أجلى: مرعى معروف. أرها: يعني الإبل، أجلى أنَّى شئت،

يعني متى شئت . .

* رَكبت عَنْزُ بِحِدْجٍ جملا .

* عنز : امرأة من طسم وهي عنز ركبت جملاً سائراً بحدج .

* رزقةٌ ولا دِرَّة .

الرزقة : حنين الناقة . والدرة : كثرة اللبن وسيلانه . يضرب لمن يعد ولا يفي .

* رباعي الإبل لا يرتاع من الجَرَس .

الرباعي الذي ألقى رباعيته من الإبل وغيرها وهي السن التي بين الثنية والناب . يضرب لمن لقي الخطوب ومارس الحوادث .

* رمى الكَلاَم على عَوَاهِنِه

إذا لم يبال أصاب أم أخطأ . والعواهن : عروق في رحم الناقة . بمعنى أن القائل من غير روية لا يعلم عاقبة قوله كما لا يعلم ما في الرحم .

* أرْجَل من خُفٍّ .

يعنون به خف البعير والجمع أخفاف وخفاف وهي قوائمه .

* اسْت البائن أعلم .

البائن الذي يكون عند حلب الناقة من جانبها الأيسر . والبائن الذي يحلب . الجميح خرج في طلب إبل له حتى وقع عليها في قبيلة مرة ، فاستجار بالحارث بن ظالم المري فنادى الحارث : من كان عنده شيء من هذه الإبل فليردها ، فردت جميعاً غير ناقة يقال لها اللفاع ، فانطلق يطوف حتى وجدها عند رجلين يحلبانها فقال لهما : خليا عنها فليست لكما ، وأهوى إليهما بالسيف فضرط البائن

فقال المعلى: والله ما هي لك. فقال الحارث: است البائن أعلم. فأرسلها مثلاً يضرب لمن ولي أمراً وصلي به، فهو أعلم به ممن لم يمارسه ولم يصل به.

* أساء رَعْياً فسقى.

أصله أن يسيء الراعي رعي الإبل نهاره حتى إذا أراد أن يريحها إلى أهلها كره أن يظهر لهم سوء أثره عليها فيسقيها الماء لتملأ منه أجوافها. يضرب للرجل لا يحكم الأمر ثم يريد إصلاحه فيزيده فساداً..

* سَيْرُ السَّوَاني سَفَرٌ لا يَنْقَطِع.

السواني: الإبل يستقى عليها الماء من الدواليب فهي أبداً تسير.

* سلط عليه الأيهمين.

ويقال الأعميين يعني السيل والجمل الهائج.

* سيري على غير شجر فإني منعته له.

إذا روي بعيرك فصرّه بهذه الصخرة أي اربطه بها. ومعنى المثل: لا تكلفني فوق ما أطيق..

* أسرق من شِظَاظ.

هو رجل من بني ضبة كان يصيب الطريق. زعموا أنه مر بامرأة من بني نمير وهي تعقل بعيراً لها وتتعوذ من شر شظاظ، وكان بعيرها مسّناً، وكان هو على حاشية من الإبل فنزل وقال لها: أتخافين على بعيرك هذا شظاظاً؟ فقالت: ما آمنه عليه، فجعل يشغلها وجعلت تراعي جملها بعينها فاستوى شظاظ عليه..

* أسمع من قُراد.

وذلك أنه يسمع أخفاف الإبل من مسيرة يوم فيتحرك لها..

* شتَّى يؤوب الحلبة.

وذلك أنهم يوردون إبلهم وهم مجتمعون، فإذا صدروا تفرقوا واشتغل كل واحد منهم بحلب ناقته ثم يؤوب الأول فالأول.

* شر الرأي الدَّبَرِيُّ.

قيل: الدبريّ منسوب إلى دبر البعير الذي يعجزه عن تحمل الأحمال، كذلك هذا الرأي يعجز عن حمل عبء الكفاية في الأمور..

* شقشقة هدرت ثم قرت.

الشقشقة شيء كالرئة يخرجها البعير من فيه إذا هاج.

* شرّ الضروع ما درّ على العصب.

وهو أن يشد فخذ الناقة حتى تدر، ويقال لتلك الناقة عصوب.

*** شر دواء الإبل التذبيح.**

وذلك أن السنة إذا كانت مجدبة تخاف منها الإبل ذبح أولادها لتسلم الأمهات. يضرب لمن فرّ من أمر فوقع في شر منه.

* شر مرغوب إليه فصيل ريان.

وذلك أن الناقة لا تكاد تدرّ إلا على ولد أو على بوّ، فإذا كان الفصيل ريان لم يمرها فبقي أربابها من غير لبن. يضرب للفتى التجأ إليه محتاج.

* أشأم من قاشر.

هو فحل لبني عوافة بن سعد بن زيد مناة بن تميم، وكان لقوم إبل تذكر فاستطرقوه رجاء أن يؤنث إبلهم فماتت الأمهات والنسل.

* أشأم من طير العراقيب.

هو طير الشؤم عند العرب، وكل طائر يتطير منه للإبل فهو طير عرقوب لأنه يعرقبها..

* أشأم من الأخيل.

هو الشقراق، وذلك أنه لا يقع على ظهر بعير دبر إلا جزل ظهره، ويقال: بعير مخيول إذا وقع الأخيل على عجزه فقطّه ويسمونه مقطع الظهور..

* أشأم من ورقاء.

يعنون الناقة وهي مشؤومة، وذلك أنها ربما نفرت فذهبت في الأرض. قلت روى أبو الندى: «أشأم من زرقاء» وقال: هي اسم ناقة نفرت براكبها.. فذهبت في الأرض..

* أشبق من جمالة.

هو رجل من بني قيس بن ثعلبة دخل على ناقة له في العطفى باركة تجتر فقامت الناقة وتشبثت ذيله بمؤخر كورها فأتت به كذلك وسط الحي والقوم جلوس فجرت فيه هذه الأمثال..

* أشرب من الهيم.

وهي الإبل العطاش، قال الله تعالى: ﴿فَشَٰرِبُونَ شُرۡبَ ٱلۡهِيمِ﴾ وهو جمع أهيم وهيماء، من الهيام وهو أشد العطش..

* أشأم من سَرَاب.

قالوا: هو اسم ناقة البسوس.

* أشهر ممن قاد الجمل.

* صدقني سِنُّ بَكْرِهِ.

البكر: الفتيّ من الإبل. وفي الحديث: يضرب مثلاً في الصدق وأصله أن رجلاً ساوم رجلاً في بكر فقال: ما سنه؟ فقال صاحبه: بازل.. ثم نفر البكر فقال له صاحبه: هدع هدع. وهذه لفظة يسكن بها الصغار من الإبل، فلما سمع المشتري هذه الكلمة قال: صدقني سن بكره.

* صار حِلْسَ بيته.

الحلس: ما ولي ظهر البعير تحت المقتب من كساء أو مسح يلازمه ولا يفارقه، ومنه حديث أبي بكر رضي الله عنه في فتنة ذكرها: كن حلس بيتك حتى تأتيك يد خاطئة أو ميتة قاضية.. يأمره بلزوم بيته..

* صَرّ عليه الغَزْوَ اسْتَه.

الصرّ: شدّ الصرار على أطباء الناقة، يضرب لمن ضيق تصرفه عليه أمره.

* صَبْحَى شكوْتُ فاسْتَشَنَّتْ طالِقُ.

يقال ناقة صبحى إذا حلب لبنها، والطالق: الناقة التي يتركها الراعي لنفسه فلا يجلبها على الماء يقول: هذه الصبحى شكوتها إذا حلبت فما بال هذه الطالق صار ضرعها كالشن البالي..

* أصْوَل من جمل.

معناه أعض، يقال: صال الجمل وعقر الكلب. قال أبو زيد:

صؤل البعير بالهمز يصؤل صآلة إذا صار يقتل الناس ويعدو عليهم وفي الحديث: «إن المعرفة تنفع عند الجمل الصؤول والكلب العقور..».

* ضرب أخماساً لأسداس.

الخمس والسدس من إظماء الإبل، والأصل فيه أن الرجل إذا أراد سفراً بعيداً عوَّد إبله أن تشرب خمساً ثم سدساً حتى إذا أخذت في السير صبرت عن الماء. والمعنى أظهر أخماساً لأجل أسداس أي رقي به من الخمس إلى السدس.. يضرب لمن يظهر شيئاً ويريد غيره.

* ضرب في جَهَازه.

أصله في البعير يسقط عن ظهره القتب بأداته فيقع بين قوائمه فينفر منه حتى يذهب في الأرض. وضرب معناه سار. يضرب لمن ينفر عن الشيء نفوراً لا يعود بعده إليه..

*** ضربه ضرب غرائب الإبل.**

وذلك أن الغريبة تزدحم على الحياض عند الورود، وصاحب الحوض يطردها ويضربها بسبب إبله، ومنه قول الحجاج في خطبته يهدد أهل العراق: والله لأضربنكم ضرب غرائب الإبل. ويضرب في دفع الظالم عن ظلمه بأشد ما يمكن..

* ضَرَّة جبَّار وعاها المنْصُلُ.

الضرة: المال الكثير من الإبل.

* ضَوَارِبُ بُسَّتْ لِعَرْفِ باليد.

الضارب: الناقة تضرب حالبها. والتقدير هذه نوق ضوارب سيقت إلى ذي عرف بيده لبحلبها والعرف والعرفة: قروح تخرج

باليد. يقال رجل معروف إذا كان به عرفة، وإذا عرف الحالب لم يقدر أن يحلب..

* أضبط من عائشة بن عثم.

وكان من حديثه أنه سقى إبله يوماً وقد أنزل أخاه في الركية يميحه، وازدحمت الإبل فهوت بكرة منها في البئر فأخذ بذنبها وصاح به أخوه: يا أخي الموت قال: ذاك إلى ذنب البكرة يريد أنه إذا انقطع ذنبها وقعت ثم اجتذبها فأخرجها، فضرب به المثل في قوة الضبط فقيل: أضبط من عائشة بن عثم.

* الطَّعْنَ يَظْأر.

يقال: ظأرت الناقة إذا عطفتها على ولد غيرها. يضرب في الإعطاء على المخافة أي طعنك إياه يعطفه على الصلح..

* ظئار قوم طَعْنٌ.

الظئار، المظاءرة. يقال ظأرت الناقة إذا عطّفتها على ولد غيرها..

* عَوْدٌ يقلَّحُ.

العود: البعير المسن. يقال عود تعويداً إذا صار عوداً وهو السن بعد البزول بأربع سنين والتقليح: إزالة القلح، وهو خضرة أسنانها. يضرب للمسن يؤدب ويراض..

* عَوْدٌ يُعَلَّم العَنْجَ.

العنج بتسكين النون ضرب من رياضة البعير، وهو أن يجذب الراكب خطامه فيرده على رجليه. والعنج إنما يكون للبكارة، فأما العودة فلا تحتاج إليه.

* عَرَض عَلَيَّ الأمر سَوْم عالةٍ.

أصله في الإبل التي قد نهلت في الشرب ثم علَّت الثانية فهي عالة، فتلك لا يعرض عليها الماء عرضاً يبالغ فيه..

*** عَرَف حُمَيْق جمله.**

أي إن جمله عرفه فاجترأ عليه ويضرب في الإفراط في مؤانسة الناس.. ويقال: يضرب لمن يستضعف إنساناً ويولع به فلا يزال يؤذيه ويظلمه..

* العُنُوق بعد النوق.

العناق: الأنثى من أولاد المعز وجمعه عنوق. والنوق جمع ناقة. يضرب لمن كانت له حال حسنة ثم ساءت، أي كنت صاحب نوق فصرت صاحب عنوق.

* عش ولا تغتر.

أصل المثل فيما يقال أن رجلاً أراد أن يفوز بإبل ليلاً واتكل على عشب يجدها هناك فقيل له: عش ولا تغتر بما لست منه على يقين..

* عشب ولا بعير.

أي هذا عشب وليس بعير يرعاه. يضرب للرجل له مال كثير ولا ينفقه على نفسه ولا على غيره..

* عَنِيَّتُهُ تشفي الجرب.

العَنِيَّةُ: بول البعير يعقد في الشمس يطلى بها الأجرب. يضرب للرجل الجيد الرأي يستشفى برأيه فيما ينوب..

* عَيّ بالإسْناف.

قال الخليل: السناف للبعير بمنزلة اللبب للدابة، وقد سنفت البعير شددت عليه السناف ـ يقال لمن تحير في أمره.

* اعقل وتوكل.

يضرب في أخذ الأمر بالحزم والوثيقة، ويروى أن رجلاً قال للنبي ﷺ: أرسل ناقتي وأتوكل؟ قال: اعقلها وتوكل..

*** عجِّل لإبلك ضَحَاءَها**

الضحاء مثل الغداء. يضرب في تقديم الأمر.

* عُودي إلى مَبَارِكك.

يضرب لمن نفر من شيء أشد النفار. وأصل المثل لإبل نفرت.

*** على غريبتها تحدى الإبل.**

وذلك أن تضرب الغريبة لتسير فتسير بسيرها الإبل.

*** عند رؤوس الإبل أربابها.**

يضرب لمن يطغى على صاحبه أي عندي من يمنعك.

* عجعج لما عضه الظعان.

عجعج: أي صاح. والظعان: نسع يشد به الهودج. يضرب لمن يضج إذا لزمه الحق..

* عاش عَيْشاً ضارباً بِجِرَان.

الجران: باطن عنق البعير، ويقال: ضرب الأرض بجرانه إذا ألقى عليها كلاكله. يضرب لمن طاب عيشه في دعة وإقامة..

الجزء الثاني (الميداني):

* غلبت جِلَّتَها حواشيها.

الحاشية: صغار الإبل. سميت حاشية وحشواً لأنها تحشو الكبار. يضرب لمن عظم أمره بعد أن كان صغيراً فغلب ذوي الأسنان..

* غَشَمْشَم يغشى الشَّجر.

يراد به السيل، ويراد أيضاً الجمل الهائج، ويقال لهما الأيهمان. يضرب للرجل لا يبالي ما يصنع من الظلم..

* غدة كغدة البعير وموت في بيت سَلُولِيَّةٍ.

أغدَّ البعير إذا صار ذا غدة، وهي طاعونة. وسلول عندهم أقل العرب وأذلهم. يضرب في خصلتين إحداهما شر من الأخرى..

* الغِرَّة تجلب الدِّرَّة.

يقال: غارت الناقة تغار مغارة وغراراً إذا قل لبنها ـ يعني أن قلة لبنها تعد وتخبر بكثرته فيما يستقبل. يضرب لمن قل عطاؤه ويرجى كثرته بعد ذلك.

* فَتَل في ذروته.

الذروة: أعلى السنام وأعلى كل شيء. وأصل فتل الذروة في البعير هو أن يخدعه صاحبه ويتلطف له بفتل أعالي سنامه حكاً ليسكن إليه فيتسلق بالزمام عليه. يضرب في الخداع والمماكرة..

* أفواهها مجاسُّها.

أصله أن الإبل إذا أحسنت الأكل اكتفى الناظر بذلك عن معرفة سمنها وكان فيه غنى جسمها. وقال أبو زيد: أحناكها مجاسّها..

* الفحل يحمي شَوْله معلولاً.

الشول: النوق التي خف لبنها وارتفع ضرعها وأتى عليها من نتاجها سبعة أشهر أو ثمانية. الواحدة شائلة. يقال شوَّلت الناقة بالتشديد أي صارت شولاء. أي أن الحر يحتمل الأمر الجليل في حفظ حرمه وإن كانت به علة..

* في مثل حولاء السلى.

ويقال حولاء الناقة وهي الماء الذي يخرج على رأس الولد. ضرب لمن كان في خصب ورغد عيش.

*** في مثل حدقة البعير.**

* فِقْ بِلَحْم حِرْباء لا بلحم تَرْباء.

الحرباء: جنس من القطا معروف. والترباء: التراب. ويقال فق: من فواق حلب الناقة. يقال: تفوّق الفصيل وفاق إذا شرب ما في ضرع أمه. وأصل هذا أن رجلاً نظر إلى آخر ينظر إلى إبله وهي تفوق، فخاف أن يعين إبله فتسقط فتنحر فقال: فق بلحم حرباء أي اجتلب لحم الحرباء لا لحوم الإبل، وأراد بلحم ترباء لحماً يسقط على التراب..

* أفْرِع بالظَّبْي وفي المِعْزى دَثَر.

يقال: أفرع إذا ذبح الضرع وهو أول ولد تنتجه الناقة، كانوا يذبحونه لآلهتهم يتبركون بذلك، وفي الحديث: لا فرع ولا عتيرة. والعتيرة شاة كانوا يذبحونها لآلهتهم في رجب..

* أفرط للهيم حبيناً أقعس.

أفرط: أي قدم وعجل. والهيم: العطاش من الإبل. وحبيناً

تصغير أحبن مرخماً يقال رجل أحبن وامرأة حبناء إذا كان بهما السقي وهو الاستسقاء. والأقعس: الذي دخل ظهره وخرج صدره. والمعنى قدم لسقي الإبل العطاش رجلاً عاجزاً. يضرب لمن استعان بعاجز..

* فصيل ذات الزَّبْن لا يُخَيَّل.

ذات الزبن: الناقة التي تزبن ولدها وحالبها. والتخيل: أن تكون الناقة لا ترأم ولدها، فيقال لصاحبها: خيِّل لها فيلبس جلد سبع ثم يمشي على أربع، يخيل إلى الأم أنه ذئب يريد أن يأكل ولدها فتعطف عليه وترأمه. يقول: فهذه التي تزبن ولدها لا يخيل لها لأنه لا ينفع. يضرب للسيىء المعاشرة طبعاً فلا يؤثر فيه التودد إليه..

* انقطع السَّلى في البطن.

السلى: جلدة رقيقة يكون فيها الولد من المواشي إن نزعت عن وجه الفصيل ساعة يولد حياً وإلا قتلته، وكذلك إذا انقطع السلى في البطن، فإذا خرج السلى سلمت الناقة وسلم الولد وإلا هلكت وهلك الولد، يقال ناقة سلياء إذ انقطع سلاها. يضرب في فوات الأمر وانقضائه...

* قد استنوق الجمل.

أي صار ناقة يضرب هذا في التخليط، وكان بعض العلماء يخبر أن هذا المثل لطرفة بن العبد..

* قودوه لي باركاً.

وذلك أن امرأة حملت على بعير وهو بارك فأعجبها وطء المركب فقالت: قودوه لي باركاً. يضرب لمن يتعود مباشرة الترفه

ثم باشرها.

*** قد تقطع الدوية الناب.**

الدوّ والدوّيّة: المفازة. والناب؛ الناقة المسنة. يضرب للشيخ فيه بقية.

* قرده حتى أمكنه.

أي خدعه حتى تمكن منه. وأصله نزع القراد من البعير الصعب حتى يتمكن من خطمه.

*** القر في بطون الإبل.**

أي ذهاب القر، يريدون أن البرد يذهب عنهم إذا نتجت الإبل، وإنما يتفرجون في الربيع لأن الإبل تنتج فيه ويصيبهم الهزال وسوء الحال في الشتاء..

*** قمقامة حكت بجنب الباذل.**

القمقامة: الصغير من القردان، والبازل من الإبل ما دخل في السنة التاسعة وهو أقواها. يضرب للضعيف الذليل يحتك بالقوي العزيز.

* قرم معرى الجنب من سداد.

القرم: الفحل من الإبل يقتنى للفحلة وذلك لكرمه. يضرب للسيد الكريم الطاهر الأخلاق..

* قطعت القافلة وكانت خيرة.

* كانت لقوة لاقت قبيساً.

اللقوة: السريعة التلقي لماء الفحل. والقبيس: السريع الإلقاح. وتقدير المثل: كانت الناقة لقوة صادفت فحلاً قبيساً. يضرب في سرعة اتفاق الأخوين في المودة..

* كل أزب نفور.

وذلك أن البعير الأزب هو الذي يكثر شعر حاجبيه يكون نفوراً لأن الريح تضربه فينفر..

* كالعاطف على العَاضِّ.

يقال ناقة عاطف تعطف على ولدها. وأصل المثل أن المخاض ربما أتى أمه يرضعها فلا تمنعه وربما عض على ضرعها فلا تمنعه أيضاً..

* كل نجَار إبلٍ نجَارُها.

النجار: الأصل. وهذا من قول رجل كان يغير على الناس فيطرد إبلهم ثم يأتي بها السوق فيعرضها على البيع فيقول المشتري من أي إبل هذه؟.. فيقول البائع:

تسألني الباعة أين دارها لا تسألوني وسلوا ما نارها

كل نجار إبل نجارها

يعني فيها من كل لون. يضرب لمن له أخلاق متفاوتة.

* كلكم ليحتلب صَعوداً.

الصَّعود من النوق التي تخرج فتعطف على ولد عام أول وقال: لها لبن الخلية والصعود..

* كانت عليهم كَراغية البَكْرِ.

يعنون رغاء بكر ثمود حين عقر الناقة قدار بن سالف، والراغية الرغاء يضرب في التشاؤم بالشيء.

* كالمهدِّر في العُنَّةِ.

المهدر الجمل له هدير، والعنة مثل الحظيرة تجعل من الشجر للإبل، وربما يحبس فيها الفصيل عن الضراب. ويقال ذلك للفصيل

المعنى. والسدم: الفصيل غير الكريم يكره أهله أن يضرب في إبلهم فيقيد ولا يسرح في الإبل رغبة عنه فهو يصول ويهدر. يضرب للرجل لا ينفذ قوله ولا فعله..

* كفضل ابن المخاض على الفصيل.

أي الذي بينهما من الفرق قليل. يضرب للمتقاربين في رجولتهما، قال المؤرج: إن المتوج يدعى فصيلاً إذا شرب الماء وأكل الشجر وهو بعد يرضع، فإذا أرسل الفحل في الشول دعيت أمه مخاضاً ودعي ابنها ابن مخاض..

*** كالحادي وليس له بعير.**

يضرب لمن يتشبع بما لا يملك.

* كيف أعاودك وهذا أثر فأسك.

أصل هذ المثل ما حكته العرب على لسان الحية أن أخوين كانا في إبل لهما فأجدبت بلادهما، كان بالقرب منهما واد خصيب وفيه حية تحميه من كل أحد، فقال أحدهما للآخر: يا فلان لو أني أتيت هذا الوادي المكلىء فرعيت فيه إبلي وأصلحتها فقال له أخوه: إني أخاف عليك الحية قال: فوالله لأفعلن، ثم إن الحية نهشته فقتلته فقال أخوه: والله ما في الحياة بعد أخي خير.. فلأطلبن الحية ولأقتلنها أو لأتبعن أخي، فهبط الوادي. فقالت له الحية: هل لك في الصلح فأدعك بهذا الوادي وأعطيك كل يوم ديناراً ما بقيت؟ فحلف لها وأعطاها المواثيق لا يضرها وجعلت تعطيه كل يوم ديناراً فكثر ماله حتى صار من أحسن الناس حالاً، ثم إنه تذكر أخاه فقال: كيف ينفعني العيش وأنا أنظر إلى قاتل أخي؟ فعمد إلى فأس فأخذها ثم قعد لها فمرت فتبعها فضربها فأخطأها فلما رأت ما فعل قطعت عنه الدينار فخاف الرجل شرها

وندم وقال لها: هل لك في أن نتواثق ونعود إلى ما كنا عليه؟ فقالت. كيف أعاودك وهذا أثر فأسك. يضرب لمن لا يفي بالعهد، وهذا من مشاهير أمثال العرب..

* كسؤر العبد من لحم الحوار.

أصله أن عبداً نحر حواراً فأكله كله ولم يترك منه لمولاه شيئاً، فضرب به المثل لما يفقد البتة..

* كالنازي بين القرينين.

وأصله أن يقرن البعير إلى بعير حتى تقل أذيتهما فمن أدخل نفسه بينهما خبطاه. يضرب لمن يوقع نفسه فيما لا يحتاج إليه حتى يعظم ضرره.

* كلأ حابس فيه كَمُرْسِلٍ.

أي الذي يحبس الإبل والذي يرسلها سواء فيه لكثرته.

*** كرهاً تركب الإبل السفر.**

يضرب للرجل يركب من الأمر ما يكرهه.

*** كالحانَّة في أخرى الإبل.**

يعني الناقة المتأخرة تحن إلى الأوائل. يضرب لمن يفتخر بمن لا يبالي به ولا يهتم لأمره..

* لكن بشعفين أنت جدود.

الشعفان: جبلان. والجدود: الناقة القليلة اللبن. أصل المثل أن عروة بن الورد وجد جارية بشعفين فأتى بها أهله ورباها حتى إذا سمنت وبطنت بطرت. يضرب لمن نشأ في ضر ثم يرتفع عنه فيبطر..

* اللقوح الرِّبْعِية مال وطعام.

أصل هذا في الإبل، ذلك أن اللقوح هي ذات الدر، والربعية هي التي تنتج في أول النتاج فأرادوا أنها تكون طعاماً لأهلها يعيشون بلبنها لسرعة نتاجها وهي مع هذا مال. يضرب في سرعة قضاء الحاجة..

*** لكل أنَاس في بعيرهم خَبَرٌ.**

أي كل قوم يعلمون من صاحبهم ما لا يعلم الغرباء. قال الجاحظ: كلم العلباء بن الهيثم السدوسي عمر رضي الله عنه حين وفد عليه في حاجة، فلما فرغ قال عمر رضي الله عنه: «لكل أناس في جملهم خبر»..

*** لقد كنت وما يقاد بي البعير.**

يضربه المسن حين يعجز عن تسيير المركوب، وأول من قاله سعد بن زيد مناة. كان سعد قد كبر حتى لم يطق ركوب الجمل إلا أن يقاد به ولا يملك رأسه، فكان صعصعة ابنه يوماً يقوده على جمله، فقال سعد: قد كنت لا يقاد بي الجمل، فأرسلها مثلاً.

* لاقَيْت أخْيَلاً.

الأخيل: الشقراق ويتطيرون منه. يقال: إذا وقع على بعير وإن كان سالماً يئسوا منه. كل طائر تتطير منه الإبل فهو طير العراقيب. وهذه لفظة يتكلم بها عند الدعاء على المسافر..

* ألقت مراسيها بذي رَمْرام.

أي سكنت الإبل واستقرت وقرت عيونها بالكلأ والمرتع. والرمرام: ضرب من الشجر. يضرب لمن اطمأن وقرت عينه بعيشه..

* التقت حلقتا البطان.

يقولون: البطان للقتب الحزام الذي يجعل تحت بطن البعير وفيه حلقتان فإذا التقتا فقد بلغ الشد غايته، يضرب في الحادثة إذا بلغت النهاية..

* ليس الهن بالدس.

الهناء: القطران. والهن: طلي البعير بالهناء وهو أن يهنأ الجسد كله، والدس أن تطلى المغابن والأرفاغ. يضرب فيمن يقصر في الطلب ولا يبالغ.

* لَتَحْلُبُنَّها مَصْراً.

يقال: مصرت الناقة أمصرها مصراً إذا حلبتها بأطراف الأصابع. يضرب لمن يتوعدك فتقول: لا تقدر أن تنال مني شيئاً إلا بعد عناء طويل.

* لم تُحْلَبْ ولم تُغارّ.

المغارة: قلة اللبن. يقول لم تحلب هذه الناقة ولم تغار هي وأودى اللبن. يضرب لمن ضيع ماله أو مال غيره..

* لقي ما يلقى المنتوف باركاً.

وذلك أن البعير ينتف باركاً. يضرب لمن لقي شدة وأذى.

* التقى البِطان والحقب.

البطان: الحزام الذي يجعل تحت بطن البعير وهو بمنزلة التصدير الذي يتقدم الحقب. والحقب الحبل يكون عند ثيل البعير فإذا التقيا دل التقاؤهما على اضطراب العقد وانحلالها، يضرب لمن أشرف على الهلاك..

* أَلْقِ حَبْلَه على غاربه.

أصله: الناقة إذا أرادوا إرسالها للرعي ألقوا جديلها على الغارب ولا يترك ساقطاً فيمنعها من الرعي. يضرب لمن تكره معاشرته. تقول دعه يذهب حيث يشاء..

* لا أفعل ما ابسَّ عبد بناقته.

الإبساس: أن يقال للناقة عند الحلب: بس بس وهو صوت الراعي يسكن به الناقة عندما يحلبها..

* لا أحسن تَكْذابك وتأثامك تشول بلسانك شَولاَن البَرُوق.

البَروق: الناقة التي تشول بذنبها فيظن بها لقح وليس بها.

* لا يعدم الحوار من أمه حنة.

أي حنيناً وشفقة من الحنان وهو الرحمة.

*** لا أفعل كذا حتى يلج الجمل في سمِّ الخياط.**

يقال للإبرة الخياط والمخيط.

* لا يضر الحوار ما وطئته أمه.

يضرب في شفقة الأم لأن الشفقة تثنيها عن بلوغها حدة.

*** لا ناقتي في هذا ولا جملي.**

قال الراعي:

وما هجرتك حتى قلت معلنة　　　لا ناقة لي في هذا ولا جمل

* لا في العير ولا في النفير.

أول من قال ذلك أبو سفيان بن حرب. قال الأصمعي: يضرب هذا للرجل يحط أمره ويصغر قدره، وفي تفسير قرأته في

صحيفة الأهرام ١/١/٢٠٠٠. يقول: «العير هي الإبل التي تحمل التجارة والمقصود به أهل المال والأعمال والنفير جمع نفر، وهم رجال الحرب والدفاع عن الثغور، ومعنى المثل أن فلاناً لا هو من رجال المال ولا من رجال الحرب..

* لا أفعل كذا ما أرزمت أم حائل.

أرزمت الناقة إذا حنت. والحائل: الأنثى من أولادها، أي لا أفعله أبداً.

* لا يلبث الحلب الحوالب.

معناه يأخذ الحالب حاجته من اللبن قبل صاحب الإبل.

* لا ألية لمجرب.

المجرب: صاحب الإبل الجربى ـ الألية: القسم.

*** لا تبرك الإبل على هذا.**

يضرب لمن لا يصبر عليه لشدته.

* لا تعقرها لا أبا لك إما لنا وإما لك.

قاله مالك بن المنتفق لبسطام بن قيس حين أغار على إبله فكان يسوقها فإذا تفرقت طعنها لتجتمع وتسرع..

* لا يرأم بَوَّ الهَوَان.

أي لا ينقاد له. والرئمان أن تعطف الناقة على ولدها، والبوّ: جلد حوار يسلخ فيحشى ويعلق عليها فتظنه ولدها فتدرّ عليه. والمعنى في المثل أنه لا يقبل الضيم..

* لا خير في رَزَمة لا درة معها.

الرزمة: صوت حنين الناقة. والدرة: اللبن، أي لا خير في

قول لا فعل معه . .

* لا ييأسن نائم أن يغنما .

قال المفضل: بلغنا أن رجلاً كان يسير بإبل له حتى إذا كان بأرض فلاة، إذا هو برجل نائم فأتاه يستجيره فقال: إني جائرك من الناس كلهم إلا من عامر بن جوين، فقال الرجل: نعم وما عسى أن يكون عامر بن جوين وهو رجل واحد؟ وكان هو عامر بن جوين، فسار به حتى توسط قومه فأخذ إبله وقال: أنا عامر بن جوين وقد أجرتك من الناس كلهم إلا مني، فقال الرجل عند ذلك: لا ييأسن نائم أن يغنما فذهب قوله مثلاً . .

* ألزق من بُرَام وألزقُ من عَلّ

وهما القراد. والقراض يعرض لاست الجمل فيلزق بها كما يلزق النمل بالخصاء كذلك يقال في مثل آخر: مني مكان القراد من است الجمل . .

* ما تقرن بفلان صعبة .

أصله: أن الناقة الصعبة تقترن بالجمل الذلول ليروضها ويذللها . . ويضرب لمن يذل من داواه .

* ما أطول سلى فلان .

إن كان مطولاً عسر الأمر يشبه بسلى الناقة، فإنه إذا طال عسر خروجه وامتد زمانه . .

* مات وهو عريض البطان .

البطان للبعير بمنزلة الحزام للفرس وعرضه كناية عن انتفاخ بطنه وسعده يضرب لمن مات وماله جم لم يذهب منه شيء .

* أمهلني فواق ناقة .

الفواق قدر ما تجتمع الفيقة وهي اللبن ينتظر اجتماعه بين الحلبتين.. ويضرب في سرعة الوقت.

*** ما أرخص الجمل لولا الهرة.**

رجل ضل له بعير فأقسم لئن وجده ليبيعنه بدرهم، فأصابه فقرن به سنوراً وقال: أبيع الجمل بدرهم وأبيع السنور بألف درهم ولا أبيعهما إلا معاً فقيل له: ما أرخص الجمل لولا الهرة..

* ماله حانة ولا آنة.

أي ناقة ولا شاة.

* ما به قَلَبَةٌ.

أي عيب، وأصله القلاب، وهو داء يصيب الإبل. قال الأصمعي: داء يشتكي البعير منه قلبه فيموت من يومه.

* ما أرزمت أمُّ حائِلٍ.

يضرب في التأبيد. والحائل الأنثى من ولد الناقة حين تنتج والكسب: الذكر والرزمة صوت الناقة..

* ما عقالك بأنشوطة.

العقال: ما يعتقل به البعير، والأنشوطة يسهل انحلالها أي ما مودتك بواهية. وتقديره ما عقد عقالك بعقد أنشوطة..

*** مهلاً فواق ناقة.**

أي أمهلني قدر ما يجتمع اللبن في ضرع الناقة وهو مقدار ما بين الحلبتين، والفيقة اسم ذلك اللبن..

* ما أصفيت لك إناء ولا أصفرت لك فناء.

أي ما تعرضت لأمر تكرهه. يعني لم آخذ إبلك فيبقى إناؤك مكبوباً لا تجد لبناً تحلبه فيه ويبقى فناؤك خالياً لا تجد بعيراً يبرك فيه، وذكر عن علي رضي الله عنه أنه قال: اللهم إني أستعديك على قريش فإنهم أصفوا إنائي وأصفروا عظم منزلتي وقدري..

* ما له أحال وأجرب.

المحيل: الذي حالت إبله فلم تحمل.

* الملْسَى لا عُهْدَة.

يقال: ناقة ملسى للتي تملس ولا يعلق بها شيء لسرعتها في سيرها. يقال ناقة وكرى أي قصيرة. والعهدة: التبعة في العيب، ومعنى لا عهدة أي تتلمس وتنفلت فلا ترجع إليّ. يضرب لمن يخرج في الأمر سالماً لا له ولا عليه. قال أبو عبيد: يضرب في كراهة المعايب..

* ماله ثاغية لا راغية.

الثاغية: النعجة، والراغية: الناقة. أي ما له شيء.

* ماله دقيقة ولا جليلة.

الدقيقة: الشاة. والجليلة: الناقة.

* ما يعرف الحو من اللو.

قال بعضهم: أي الحق من الباطل وقال بعضهم: الحوّ: سوق الإبل، واللو حبسها.

* مثل النعامة لا طير ولا جمل.

يضرب لمن يحكم له لا بخير ولا شر.

* مانحني مناح العلوق.

قال المنذري: هذا مثل للعرب سائر فيمن يرائي وينافق فيعطي نفسه في الظاهر غير ما في قلبه.. والعلوق: الناقة ترأم ولد غيرها. وقال ابن السكيت: ناقة علوق: ترأم بأنفها وتمنع درها..

* ما استتر من قاد الجمل.

قال القلاخ:

أنا القلاخ بن جناب بن جلا أخو خناثير أقود جملا

*** الموت دون الجمل المجلل.**

أول من قال ذلك عبد الرحمن بن عتاب بن أسيد بن أبي العاص بن أمية وكان يقاتل يوم الجمل ويرتجز:

أنا ابن عتاب وسيفي ولول الموت دون الجمل المجلل

يعني جمل عائشة.

*** المحق الخفي إذكار الإبل.**

يعني إذا نتجت الإبل ذكوراً محق مال الرجل ولا يعلمه كل أحد.

* مظلوم وَطْبٍ يشرب المحبَّب.

المظلوم والظليم: اللبن الذي يحقن ثم يشرب قبل أن يروب والمحبب الممتلىء رياً. يقال شربت الإبل حتى تحببت أي تملأت من الماء. يضرب لمن أصاب خيراً ولا حاجة به إليه، كمن يشرب اللبن وهو ريان..

*** أمْهِ لك الويل فقد ضلّ الجمل.**

يقال أمهى الفرس إذا أجراه وأحماه في جريه، يقول: أعد فرسك فقد ضلّ جملك، يضرب لمن وقع في أمر عظيم يؤمر ببذل

ما يطلب منه لينجو.

*** من أبْعَد أدْوائها تكوى الإبل.**

يضرب للذي يذهب في الباطل تائهاً ويدع ما يعنيه.

* من اعتمد على حَيْر جاره أصبح عَيْرهُ في الندى.

يعني المطر. والحير، الاصطبل وأصله حظيرة الإبل.

*** من تَلَذُّذ الحج ضُرْب الجمال.**

قاله الأعمش.

* الناقة جنٌّ ضراسها.

يقال ناقة ضروس إذا كانت سيئة الخلق عند النتاج، وإذا كانت كذلك حامت على ولدها. يضرب للرجل الذي ساء خلقه عند المحاماة.

*** الناس كإبلٍ مائة لا تجد فيها راحلة.**

أي إنهم كثير ولكن قل منهم من يكون فيه خير.

* الناس نقائع الموت.

النقيعة من الإبل ما يجزر من النهب قبل القسم يعني أن الموت يجزر الخلق كما يجزر الجزار نقيعته..

* النَّسء خير من خير أمرات الرَّبْغ.

النسيء بدو السمن. والربغ: أن ترد الإبل كلما شاءت، يقال له أربغ وهي إبل همل مربغة. يضرب لمن يشكو جهد عيش وعلى وجهه أثر الرفاهية..

* أنفر من أزبّ.

هذا مثل قولهم: كل أزبّ نفور، وذلك أن البعير الأزبّ يرى طول الشعر على عينيه فيحسبه شخصاً فهو نافر أبداً. وقال ابن الأعرابي: الأزبّ من الإبل شرّ الإبل وأنفرها نفاراً وأبطؤها سيراً وأخبها خياراً ولا يقطع الأرض..

*** أنفقت مالي وحج الجمل.**

*** وقع القوم في سَلى جمل.**

السلى: ما تلقيه الناقة إذا وضعت، وهي جليلة رقيقة يكون فيها الولد من المواشي إن نزعت عن وجه الفصيل ساعة يولد حياً وإلا قتلته. والجمل لا يكون له سلى فأرادوا أنهم وقعوا في شر لا مثيل له..

*** أوسعتهم سبّاً وأوْدَوْا بالإبل.**

أوسعته الشيء إذا جعلته يسعه أي أكثرت سبهم. يضرب لمن لم يكن عنده إلا الكلام.

*** ويشرب جملها من الماء.**

أصله أن رجلاً تزوج امرأة فمقتها فطلقها، ثم لبث زماناً فاستسقاه ظعن مررن به فسقاهن، فرأى جملها وهي عليه فعرفها فقال: ويشرب جملها من الماء؟ يضرب عند التهكم بالممقوت..

*** هل تنتج الناقة إلا لمن لقحت له.**

الناتج للنوق كالقابلة للإنسان والناقة لاقح ولقوح، ومعنى المثل: هل يكون الود إلا لمن يكون له الماء؟..

*** همه في مثل حدقة البعير.**

حدقة البعير أخصب ما فيه لأن بها يعرفون مقدار سمنه وفيها

يبقى آخر النقي، ويضرب لمن هو في خصب ونعمة.

*** هم في مثل حولاء الناقة.**

الحولاء من الناقة هو قائد السلى أي يخرج قبله، ويراد به كثرة العشب لأن ماء الحولاء أشد ماء خضرة.

*** هو مكان القراد من است الجمل.**

يضرب لمن يلازم شيئاً لا يفارقه البتة.

*** هما كركبتي البعير.**

أي تقعان معاً ولم ينفر أحدهما على الآخر.

*** هذا أمر لا تبرك عليه الإبل.**

يضرب للأمر العظيم الذي لا يصبر عليه.

*** هُناك وههناك عن جمالٍ وَعَوْعَة.**

العرب إذا أرادت البعد قالت: هناك وههناك، وإذا أرادت القرب قالت: هنا وههنا. يأمر بالبعد عن جمال وعوعة. وعوعة هي مكان.

* يهيِّج لي السَّقام شولان البروق في كل عام.

البروق: الناقة تشول بذنبها فيظن بها لقح وليس بها. ويضرب في الأمر يريده الرجل ولا يناله ولكن يناله غيره.

*** يا إبلي عودي إلى مَبْركك.**

ويقال إلى مباركك. يقال لمن نفر من شيء له فيه خير: ذلك أن رجلاً عقر ناقة فنفرت الإبل، فقال: عودي فإن هذا لك ما عشت.

* يوم بيوم الحفض المُجَوّر.

الحفض: الخباء بأسره مع ما فيه من كساء وعمود، ويقال للبعير الذي تحمل عليه هذه الأمتعة حفض أيضاً. والمجور؛ الساقط. يضرب عند الشماتة بالنكبة تصيب..

* يمنع دَرَّه ودَرّ غيره.

يضرب للبخيل يمنع ماله ويأمر غيره بالمنع. ذلك أن ناقة وطئت ولدها فمات وكان له ظئر فمنعت درها ودر غيرها..

* يمشي رويداً ويكون أولاً.

يضرب للرجل يدرك حاجته في تؤدة ودعة وينشد:

تسألني أم الوليد جملا يمشي رويداً ويكون أولا

* يَدُق دَقّ الإبل الخامسة.

الخمس أشد الإظماء في القيظ يكون ولا تصبر الإبل على القيظ أكثر من الخمس، وإذا وردت في القيظ خمساً اشتد شربها، فإذا أصدرت لم تدع شيئاً ألا أتت عليه من شدة أكلها وطول عشائها..

*** يُكْوى البعير من يسير الداء.**

يضرب في حسم الأمر الضائر أن يعظم ويتفاقم.

* يوم البسوس

هي خالة جساس بن مرة الشيباني كانت لها ناقة يقال لها سراب فرآها كليب وائل في حماه وقد كسرت بيض حمام كان قد أجاره فرمى ضرعها بسهم، فوثب جساس على كليب فقتله، فهاجت حرب بين بكر وتغلب ابني وائل بسببها أربعين سنة حتى ضرب

العرب بشؤمها المثل . .

* من كلام المغيرة بن شعبة رضي الله عنه . .

من أخر حاجة رجل فقد ضمنها . إن المعرفة لتنفع عند الكلب العقور والجمل الصؤول فكيف بالرجل الكريم؟

أمثال الجمل في «العقد الفريد» لابن عبد ربه[1]

*** أحقد من جمل.**

*** أحنّ من ناب.**

الناب الناقة المسنة، وهي أشد حنيناً إلى ولدها من غيرها ليأسها من النتاج..

* أعز من الأبلق العقوق.

العقوق: الحامل من النوق. والأبلق: من صفات الذكور. والذكر لا يحمل، فكأنه قال: طلب الذكر الحامل. يضرب لمن يعز وجوده. والعرب تسمي الوفاء الأبلق العقوق لعزة وجوده..

* ما تقرن به صعبة.

أصله أن الناقة الصعبة تقرن بالجمل الذلول ليروّضها ويذللها: أي أنه أكرم وأجل من أن يستعمل ويكلف تذليل الصعب كما يكلف ذلك الفحل.

* عنيَّته تشفي الجرب.

العنيّة: شيء تعالج به الإبل إذا جربت.

* الشارف لا يصفَّر له:

الشارف من الإبل: المسن الهرم.

*** كان جملاً فاستنوق.**

---

(١) ابن عبد ربه الأندلسي القرطبي ولد سنة ٢٤٦ هـ وتوفي سنة ٣٢٧ هـ بعد أن عمر ٨١ سنة وشهراً، أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي ـ وكتاب «العقد الفريد»، طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٦٥م وفيه فصل بعنوان: «كتاب الجوهرة في الأمثال» جـ ٣ من ص ٦٣ ـ ١٧٧ وداخله عنوان فرعي «ما تمثلوا به من البهائم» ص ٧٢.

أي صار ناقة.

*** عود يقلّح.**

أي جمل مسن ينقّي أسنانه. والتقليح: إزالة القلح وهو خضرة أسنان الإبل..

* مثقل استعان بذقنه.

وأصله: البعير يحمل عليه الحمل الثقيل فلا يقدر على النهوض به فيعتمد على الأرض بذقنه..

*** كركبتي بعير.**

عن المتساويين في الخير.

*** عشب ولا بعير.**

عن المال عند من لا يستحق.

*** كالحادي وليس له بعير.**

عن انتحال العلم بغير آلته.

*** أرسل ناقتي وأتوكل، قال: بل اعقلها وتوكل.**

عن الأخذ في الأمور بالاحتياط.

* جروا له الخطير ما انجر لكم.

الخطير: زمام الناقة. عن طلب العاقبة بمسالمة الناس.

*** أوسعتهم شتماً وأودوا بالإبل.**

الجبان يتوعد بما لا يفعل.

* حرك لها حوارها تحنّ.

وهذا المثل يروى عن عمرو بن العاص أنه قال لمعاوية حين أراد أن يستنصر أهل الشام: أخرج إليهم قميص عثمان رضوان الله عليه الذي قتل فيه، ففعل ذلك معاوية فأقبلوا يبكون، فعندها قال عمرو: حرِّك لها حوارها تحنّ. والحوار: ولد الناقة ساعة تضعه..

* سد ابن بَيْض الطريق سدا.

ابن بيض: رجل عقر ناقة في رأس ثنية فسد بها الطريق.

*** ما لي فيه ناقة ولا جمل.**

عن المتبرىء من الشيء.

*** الناس كإبل مائة لا تكاد تجد فيها راحلة واحدة.**

عن سوء معاشرة الناس.

* كل أزبّ نفور.

وإنما يقال في الأزبّ من الإبل لكثرة شعره، ويكون ذلك في عينيه فكلما رآه ظن أنه شخص يطلبه فينفر من أجله..

* لا آتيك ما حنَّت النيب وما أطّت الإبل.

أطّت الإبل؛ أتت حنيناً وتعباً. والنيب: جمع ناب وهي المسنة من الإبل..

*** صدقني سنّ بكره.**

أصله رجل ابتاع من رجل بعيراً فسأله عن سنه فقال له: إنه بازل.. فقال له: أنخه فلما أناخه قال: هدع هدع، وهذه لفظة تسكن بها الصغار من الإبل. فلما سمع المشتري هذه الكلمة قال: صدقني سن بكره.

الفصل السابع

أمثال الجمل في الحديث.

أولاً: في مصر.

- جمع ميداني.
- مجموعة فايقة حسن.
- معجم الأمثال البدوية.
- مجموعة أحمد تيمور.
- مجموعة وفاء الخناجري.
- مجموعة شرف الدين.

ثانياً: في العالم العربي:

- الأمثال العامية في نجد
- من الأمثال العامية الكويتية.
- الأمثال البغدادية.
- الأمثال البغدادية المقارنة.
- المردد من الأمثال العامية الموصلية.
- الأمثال الفلسطينية.
- الأمثال السورية.
- الأمثال اللبنانية.
- الأمثال السودانية.
- الأمثال الليبية.
- الأمثال الجزائرية.
- الأمثال التونسية والمغربية.

أمثال الجمل في الحديث

أمثال الجمل في مصر

أولاً ـ جمع ميداني:

*** آدي الجمل وآدي الجمّال.**

آدي محرف هذا.

*** آه يا جملي.**

آه: صيغة تأوه وتعبر عن التألم ـ تقول ذلك المرأة في البيئات الشعبية ضمن أساليب العديد عند وفاة الزوج والمعنى عن الزوج الذي كان كالجمل يتحمل أعباء الحياة ومشاكلها في صبر ورضا..

*** أبو جمل بيحسد أبو معزة.**

أبو: صاحب والباء في بيحسد زائدة..

*** آجا الزمن اللي الجمال تنجاد من ديولها.**

آجا: محرف جاء، تنجاد: محرف تقاد. ديولها: ذيولها.

وهذا المثل سمعه كاتب هذه السطور في مدينة العريش وكلمة آجا: ليست قاصرة على أبناء العريش ولكنها شائعة أيضاً في بعض مناطق الريف وخاصة مناطق شرق النيل بفرع دمياط، ويوجد تحريف آخر، فيقال «جه» في بعض المناطق الأخرى وأبناء العريش مثل أبناء الصعيد ومناطق شرق النيل يقلبون القاف جيماً، وفي

مناطق الوجه البحري والقاهرة يقلبون القاف ألفاً. ومعنى المثل أن القائل يتحسر على الزمن الحالي الذي انقلبت فيه الأوضاع وتحول العظام أو الكبار إلى ضعفاء أذلاء. وقد سمع كاتب هذه السطور المثل عندما اشترك في مؤتمر الهجن الذي عقد في العريش في ٢١/١١/١٩٩٦..

*** أحط على الجمل ناقة؟**

*** إذا انكسر الجمل حمل حمل حمار.**

المعروف أن الجمل يحمل ثلاثة أضعاف ما يحمله الحمار والمثل ينصح بأن يخفف من الأحمال ـ على الجمل المكسور أو الذي يعاني ـ إلى الثلث..

*** اسرق جمل ولا تسْرقش حمل.**

الحمل ولد النعجة والمعنى الظاهري واضح، ولكن المطلوب هو الإخلاص في العمل..

*** اللي تجمعه النملة في سنتين ياخده الجمل في خفه.**

*** اللي سرق جمل خد ست أشهر واللي سرق طعمياية خد سنتين.**

الطعمية طعام معروف لدى المصريين، والمعنى أن الذي دنأ نفسه نال عقاباً صارماً..

* اللي عاوز يسرق جمل يحضر له كمامه.

بمعنى من أراد شيئاً أن يستعد بما يلزم، والمعروف أن الجمل عندما يحس بأن الذي يسحبه غير مألوف لديه فإنه يعبر عن انزعاجه بالصوت. عاز: رغب.

* اللي مش عاجبه الباب يوسع جمل.

أحياناً يكتفى بالجزء الثاني من المثل وهو صيغة طرد لأحدهم لا يرضى عن الموجود. .

*** اللي يبيع الجمل ما يدورش على إيراده. .**

بمعنى عليه أن يقبل التضحية، والمعروف أن الجمل كان من حيوانات النقل قبيل انتشار سيارات النقل الحديثة، وكان الجمل في السابق يؤجر لنقل البضائع بين البلاد. .

*** اللي يجمعه النمل في سنة يشيله الجمل في خفه.**

هذه الصياغة في مدينة العريش والمثل شائع في كل البلاد.

*** اللي يسرق البيضة يسرق الجمل.**

*** اللي يعمل جمل ما يبعْبَعْش عن العمل.**

يبعبع: يصرخ من التعب بمعنى أن الذي يتقدم للمسؤولية عليه أن يتحمل تبعاتها ويكون صبوراً كالجمل. .

*** إما بالجمل أو بالجمّال أو بصاحب الجمل.**

هذا المثل يوضح الدور الوظيفي للجمل، وهو أنه كان يؤجر لنقل البضائع وأن له شخصاً يختص برعايته وإجادة التعامل معه وهو الجمَّال، وقد يعمل بالأجر عند صاحب الجمل. .

*** إن سرقت اسرق جمل وإن عشقت اعشق قمر.**

ليس المقصود المعنى الظاهري ولكن المقصود هو الإخلاص في العمل الكبير.

*** إن ضربوا القحبة بجلد الناقة لا تنسى العشق ولا العياقة.**

العياقة بكسر العين أي يتباهى بأناقته وقد تحمل معنى آخر بين إحدى الفئات. .

*** إن من يؤوي الجمل في داره يجب أن يكون باب داره عالياً وسقف داره مرتفعاً.**

نسجل هذا المثل من كتاب «الحكم والأمثال في الأدب الفرعوني»(١) كدليل على أن الجمل كان موجوداً في مصر في العصر الفرعوني.

*** أول شيلة في الحج ثقيلة..**

ارتبط الحج في مصر بالجمل وحتى وقت قريب ١٩٥٤م كان المحمل الذي يحمل كسوة الكعبة المشرفة يقوم من مصر في احتفال ديني وجماهيري حاشد، وكانت تنقل الكسوة على ظهر جمل مخصص لهذه المهمة(٢)..

*** الباب يفوّت جمل.**

*** الباب يساع جمل.**

*** بيكملوا الحج بسرقة الجمل.**

*** جمل بارك من عياه قالوا: حملوه يقوم.**

عياه: من الإعياء والمرض. والمثل عن الغباء والتمادي في الظلم والتجبر، والمعروف أيضاً أن الجمل عندما يحس بأنه قد تم وضع الأحمال على أجنابه وتحزيمها وهو بارك فإنه يصدر صوتاً ويسرع بالقيام..

*** الجمل بيقع.**

كنت أمسك حفيدي «أحمد» وأسير بجوار سور معهد بحوث

---

(١) الحكم والأمثال في الأدب الفرعوني، د. سيد كريم عن ٧٣، مكتبة الأسرة ١٩٩٧.

(٢) انظر كسوة الكعبة المشرفة وفنون الحجاج، إبراهيم حلمي، كتاب اليوم، العدد ٣٢٠ مايو ١٩٩١.

الحشرات الطبية في حي العجوزة بالدقي أمام منزلنا وسقط حفيدي الذي لم يضبط خطواته بعد فعلق أحد العمال وكان جالساً أمام باب المعهد على السقوط قائلاً هذا المثل على سبيل التباسط والتفكه . . .

*** الجمل جمال والمال همّال.**

المال يدعو إلى الإهمال والتكاسل والتراخي.

*** الجمل ضرب بالقُلة.**

ضرب بالقُلَّة بضم القاف واللام المشددة بمعنى أن الجمل عندما يصل إلى مرحلة النضج الجنسي ويكون في حالة من العصبية فإنه ينفخ الهواء في لسانه الذي يتدلى من فمه فيتحول اللسان إلى بالونة متدلية من الفم ويصاحب ذلك تساقط زبد.

*** الجمل في شيء والجمّال في شيء.**

بمعنى أن الجمل يعاني من ثقل الأحمال، أما الجمّال فإنه مهموم ويفكر في سرعة الوصول بالحمل إلى المكان المطلوب . .

*** الجمل قدام الجمّال.**

تعبير عن الدهشة والمعروف أن الجمّال هو الذي يتقدم الجمل ويسحبه، أما أن يمشي الجمل أمام الجمّال فهو مما يثير الغرابة . .

*** الجمل لما يبعبع بيعض.**

يبعبع أي: لما يكون الجمل في حالة من الضيق والعدوانية، فإنه قد يعض من حوله . .

*** الجمل لما يبعبع يضرب بالقُلَّة.**

وعندما يكون الجمل في حالة من التوتر فإنه يضرب بالقُلَّة،

ويفعل ذلك أيضاً في مرحلة النضوج الجنسي..

*** الجمل لو بص لصنمه كان قطمه.**

بص: نظر. قطم: قطع.

*** الجمل ما يعيبوش جله.**

الجل: بكسر الجيم وبشدة مفتوحة على اللام غطاء من الغل أو التيل الخشن يغطى به ظهر الجمل ويتدلى على جانبيه حتى يغطي البطن تماماً. والجل بديل للعدة الخشبية، ويضع الفلاح الجل على ظهر الجمل لحمايته من الشمس، وهذا الغطاء لا تحمل عليه الأثقال أو الأحمال بشكل عام مثل العدة.

*** جمل المحامل.**

المحامل هي المحمل وتقول د. نعمات أحمد فؤاد[1] «الجمل يتمتع بصفات طيبة منها الصبر والكبرياء فأن يكون أيضاً جمل المحامل أي جملاً مختاراً لغرض تحفّه البركة فهو شيء يستحق، ويحمل المحمل جمل ضخم يعفى من العمل بقية السنة وكان احتفال القاهرة بالمحمل يجري مرتين في العام مرة عند طلوع الناس للحج ومرة عند عودتهم..

*** جمل موضع جمل.**

عن أفواج رحلات الحج حيث يغادر المكان أحد الأفواج بعد الاستراحة ويحل محله فوج آخر، وكانت توجد محطات للاستراحة والتزود بالمؤن وخاصة لقوافل الجمال في مواسم الذهاب والعودة من رحلة الحج.

---

(١) القاهرة في حياتي، د. نعمات أحمد فؤاد، طبعة هيئة الكتاب ١٩٨٦، ص.٦٦ وانظر أيضاً «كسوة الكعبة المشرفة»، إبراهيم حلمي، مصدر سابق.

*** جمل وفي رقبته صرمة.**

الصرمة: بشدة مفتوحة على الصاد وهي الحذاء القديم البالي، ومجرد تعليق هذ الحذاء في رقبة الجمل فإنه يقلل من قيمته ويهز كبرياءه. والمثل يضرب لشخص ذي كفاءة ومنزلة كبيرة ولكن فيه عيوب ونواقص تقلل من قدره..

*** الجمل يخطي خطوة لقدّام وخطوة لورا يشوف عيوب الناس وعيوبه مِسَتَّرة.**

لورا: بكسر اللام أي إلى الوراء ويضرب للشخص الذي يعايب ويتطاول على الغير ولا يلتفت لعيوبه أو أنه يتستر على عيوبه..

*** الجمل يمشي ويحدف لورا يشوف عيوب الناس وعيوبه لا ترى..**

بمعنى أن عيوبه مخفية لا يتبينها الناس.

*** حاشر جماله في جمال الطُز.**

حاشر: بمعنى أدخل جماله. والطز: الأتراك. والمعنى أن المثل يستنكر الطموح الطبقي وينتقد الذين يحشرون أنفسهم مع الكبار والعظماء على سبيل المماحكة.

*** حج على جمل أعور.**

صيغة سب وقد سمعته من سيدة تخدم في أحد البيوت في معرض كلامها.

*** الحج مربوط له جمال.**

بمعنى أن هناك جمالاً معدة خصيصاً لنقل الحجاج في رحلة الحج من مصر إلى الحجاز..

* **حمارك الأعرج ولا جمل ابن عمك.**

عن حب الاستقلال والعزوف عن الاحتياج للغير.

* **حن حوير بكاني حنين أمه.**

مثل من العريش جمع في ٢١/١١/١٩٩٦ في مؤتمر الهجن. حوير: الجمل الصغير. والمعنى أن حنين الأم إلى وليدها الصغير أبكاني. وهذه الكلمة لا يعرفها أبناء الريف ذلك أن الجمل في الريف بكامله هو الجمل الذكر والأنثى لا يقتنيها أبناء الريف، ومن ثم فإنهم لا يعرفون عملية الولادة أو تربية الصغار وغيرها.

* **خيبة الأمل راكبة جمل.**

معنى «راكبة جمل» أي أنها في مكان مرتفع وواضحة للعيان، والمثل يعبر عن السخرية.

* **ده قطته جمل وبراغيته رجالة.**

سخرية من شخص يبالغ فيما يقوم به للغير من خدمات.

* **دهان على وبر ما ينفع الجربان.**

المعروف أن الجمل عندما يصاب بالقروح فإن الجَمَّال يقوم بحلاقة الوبر في الأماكن المصابة قبل أن يدهن المكان المصاب ولا يجوز الدهان أو لا ينفع الدهان على الوبر..

* **راح الجمل بما حمل.**

في معناه: «خسر الجلد والسقط» أي خسر كل شيء، أي الحيوان وما عليه..

* **ربيع مصر رايح في طريقها.**

مثل من العريش جمع في مؤتمر الهجن ٢١/١١/١٩٩٦ والضمير يعود إلى الجمال. بمعنى أن الجمال كانت تعاني من

الهزال وهي في سيناء، وعندما ذهبت في رحلة إلى الريف أو القاهرة استردت عافيتها من كثرة العلف وخيرات الريف.. وعندما عادت إلى العريش في رحلة شاقة فقدت عافيتها وعادت إلى حالتها الأولى وهي الهزال. وفي الريف يشيع التعبير «تربَّع» بشدة مفتوحة على الباء بمعنى أن الحيوان حصل بما فيه الكفاية على نبات البرسيم وهو ينمو في الشتاء وتتغذى به الحيوانات جيداً..

*** زي البدوي يقول: وشك والبل ضهرك والبل.**

مثل صحراوي، البل محرف الإبل وهي لازمة من لوازم البدوي، زي: مثل.

*** زي الجمل الأجرب الناس بتهرب منه.**

الجرب مرض جلدي يصيب الجمال وقد ينقل العدوى لمن حوله، ولذلك يسرع صاحبه إلى عزله عن الحيوانات والناس حتى يمكن التخلص منه.

*** زي الجمل اللي اتخزم.**

الخزام: بضم الخاء عبارة عن ثقب في الشفة العليا يثقبه صاحب الجمل أو الجمّال ويسحب الجمل منه حبل يمر من خلال هذا الثقب، وهذا الثقب يجريه الجمال لتقييد حركة الجمل وقت البلوغ وللحد من ثورته وتوتره، حيث إن الجمل في هذه المرحلة يكون أكثر شراسة ويمكن أن يقتل الشخص الذي يتمكن من القبض عليه بأسنانه..

*** زي الجمل اللي بيخزن الدهن في حدبته لحد ما يجوع ياكله.**

الحدبة: السنام وينطقها الريفيون محرفة فيقولون «صنم».

*** زي الجمل اللي يحرثه يبططه.**

بمعنى أن الجمل لا يصلح في عمليات الحرث حيث إن أخفافه تعيد تسوية ما تمَّ حرثه..

*** زي الجمل حنكه في كدية وعينه في كدية.**

الحنك: الفم، الكدية: بضم الكاف وسكون الدال نبات صحراوي شيطاني له جذر واحد ويتفرع منه عدة أوراق وهو في ارتفاع نبات الفجل أو أكبر قليلاً ولا يدرك هذه الظاهرة التي رصدها المثل إلا من لاحظ سلوك الجمل عن قرب ولفترة طويلة.. وسلوك الجمل هذا يناسب ضخامته حيث يحتاج عند الأكل إلى أن يلتقط ما يتناسب مع اتساع فمه وكمية استيعاب الفم، ولذلك فهو يلتقط الكدية وعينه على الأخرى لكي يلاحق سرعة مضغه.

*** زي الجمل ما يبعبعش.**

يبعبع: يتأوه ويظهر ألمه، والمعروف أن الجمل حيوان صبور على الأحمال الثقيلة.

*** زي الجمل ناعم وياكل خشن.**

جسم الجمل ناعم لوجود الوبر وهو شديد النعومة، كما يستطيع الجمل أن يأكل النباتات الشوكية التي تنمو عشوائياً في الصحراء حيث إن شفته مشقوقة تساعده على تجنب إيذاء الشوك..

*** ساب الجمل بما حمل.**

ساب: ترك. والمعنى أنه ضحى بكل شيء.

*** سارق الجمل يبدأ بسرقة بيضة.**

هذا المثل في كتاب «الحكم والأمثال في الأدب

الفرعوني»[1]. والمعنى أن السرقة مثل باقي الحرف تحتاج إلى تدريب.

* **السلب مداد.**

مثل من العريش تم تسجيله في ٢١/١١/١٩٩٦ وكلمة «السلب» و«السلبة» حبل غليظ يصنع من التيل و«مدّاد» أي يمتد عند الحاجة والضرورة بشدة مفتوحة على الدال، والمعنى أن السلب الذي تربط به الأحمال على ظهر الجمل بيننا، أي أن الأيام بيننا.

* **شال الجمل بما حمل.**

صياغة أخرى للمثل. ومعنى شال: حمل، أو تولى المسؤولية رغم ضخامتها.

* **شخاخ الجمل تَمَلِّي لِوَرَا.**

شخاخ: البراز. تَمَلِّي: دائماً. لورا: إلى الوراء وهي ظاهرة معروفة.

* **شفت الحكاية المدهشة ساعة الخروف ما باس الجمل الجمل وقع من كسفته انكسر.**

شفت من شاف أي رأى، باس: قبَّل. والمثل يسخر من النفاق بالتقرب من الطبقات العليا دون داع، فالخروف يرمز للضآلة والجمل يرمز للعظمة والكبرياء..

* **الصبر جميل.**

سمعت هذا المثل وتفسيره من أحدهم في ٣/٤/١٩٩٦ كان قد استمع إلى حديث لي في البرنامج الثقافي في الإذاعة عن الجمل

(١) الحكم والأمثال في الأدب الفرعوني، د. سيد كريم، طبعة هيئة الكتاب ١٩٩٧، مكتبة الأسرة ص ٧٤.

وقد فسره بقوله إن كلمة جميل من الجمل والصبر من صفات الجمل التي ارتبطت به ومشهورة على كل المستويات.

ضراط البل ولا تسبيح السمك.

البل: الإبل ويضرب المثل لتفضيل الحج البري على الجمال رغم ما قد يصاحبه من مشاق عن الحج البحري نظراً لخطورته..

* عاد الجمل بما حمل.

صياغة أخرى للتمثيل ويلاحظ أن هذه الصياغات التي تختلف في كلمة واحدة تؤدي معاني مختلفة، فكلمة «شال» تختلف عن كلمة «عاد» وتختلف عن كلمة «راح» وتختلف عن كلمة «ساب»..

*** العريان في القافلة مرتاح.**

ذلك أن الشخص الذي يسير مع القافلة ولا يملك شيئاً في حالة من الاطمئنان وراحة البال لأنه لا يملك ما يخاف عليه من قطاع الطرق.. وهذه الإشارة تعني أن قوافل الجمال كانت معرضة دائماً لهجوم قطاع الطرق..

*** علم بلا عمل حمل بلا جمل.**

بمعنى أن الحمل الذي لا ينقله الجمل إلى أماكن الاحتياج لا فائدة منه، وأيضاً فإن العلم الذي لا يعمل به لا فائدة منه..

*** قالوا: الجمل اعقلوه. قالوا: هو قايم بطنّه.**

بِطنِّه بكسر الباء والطاء وشدة على النون بمعنى أثقاله. ويضرب المثل على سبيل الاستنكار لهؤلاء الذين لا يفهمون فيطلبون أشياء غير معقولة..

*** قالوا: الجمل ركبوه. قالوا: الحق عليه بيطاطي ليه؟**

العادة أن يركب الشخص الجمل وهو بارك أما الجمّال أو

الشخص المدرب فإنه عادة يتعلق برقبة الجمل وهو واقف ويسند بإحدى رجليه على رقبة الجمل ويقفز إلى ظهره بخفة ورشاقة تدرب عليها . .

*** قالوا : الجمل طلع النخلة . . آدي الجمل وآدي النخلة .**

عن الادعاء الكاذب الذي تكشفه الممارسة والتجربة على الواقع . .

*** قالوا للجمل زمر قال : لا شفايف ملمومة ولا صوابع مفسرة .**

المعروف أن شفة الجمل مشقوقة كما أن خف الجمل ليس به أصابع أيضاً ، ولكنه مشقوق من طرفه ينتهي بظلفين فقط . .

*** قالوا للجمل زمر قال : يا ريت صوابعي مبرومة وشفايفي مضمومة .**

المثل يشير إلى عجز الجمل عن محاكاة الغير لطبيعة خلقته . .

*** قالوا للجمل غَنِّ : قال : لا حس ولا حنك مساوي .**

المعروف أن صوت الجمل أجشّ منفّر . كما أن شفته مشقوقة .

*** القشة التي قصمت ظهر البعير .**

*** قص حمارك يكبر وقص جملك يصغر .**

شعر الجمل ناعم وعند القص فإن الجمل يبدو كأنه قد صغر ، والعادة أن الجمل يقص في أوقات متباعدة قد تصل إلى سنوات ، ولذلك فإن هيئته التي اعتاد الناس عليها قد تغيرت بعد القص فبدا كما لو أنه قد أصبح صغيراً . أما الحمار فإنه يقص كثيراً ولذلك فقد اعتاد الناس على ذلك . .

*** قط الحكومة جمل.**

الحكومة تتشدد في المحافظة على العهدة، ولذلك يكون العقاب صارماً في التغريم بأضعاف القيمة..

*** قطة ملك ولا جمل شرك.**

عن كراهية المشاركة مع الغير والتي تتولد عنها المشكلات والمشاحنات وقد تتحول الأمور إلى القضاء وغير ذلك. وعن كراهية المشاركة يقول مثل آخر: «قطع الشرك ولو في الغداء» أي كراهية الشرك في أتفه الأمور.

*** قطته جمل.**

عن الذي يبالغ في أعماله ويمن على الغير بذلك. ويقال هذا المثل على سبيل الضيق من هذا الأسلوب..

*** كان الراعي فين لما الجمال قامت على الجحوش.**

هذا المثل محلي، بمعنى أنه لا يشيع إلا في منطقة زفتى محافظة الغربية حيث توجد قرية سند بسط[1] وقبل ثورة ١٩٥٢ كان عمدة هذه القرية ينتمي إلى عائلة الراعي وكان في القرية صراع بين عائلتين إحداهما عائلة «الجحوش» والثانية عائلة «الجمال» وكثيراً ما كانت تدور بينهما المعارك فشاع هذا المثل «كان الراعي فين لما الجمال قامت على الجحوش».

*** كل أكل الجمال وقوم قبل الرجال.**

أي تناول طعامك سريعاً ولا تتباطأ.

*** كل الجمال بتعارك إلا جملنا بارك.**

كلمة «بارك» بمعنى أنه لا يقوى على القيام. ويقال ذلك على

(١) دخلت هذه القرية ضمن مدينة زفتى.

سبيل الضيق من الجمل المريض الذي يمثل عبئاً على صاحبه..

*** كل واحد على ركبته جمل.**

بمعنى أن كل واحد يجب أن يعتمد على نفسه أي على جمله الخاص وهي الركبة..

*** لا حد شاف الجمل ولا الجمّال.**

الجمل والجمّال متلازمان في كل مكان.

*** لا شفت الجمل ولا الجمّال.**

* لا له إيدين تمسك ولا شفايف تلملم.

ليس للجمل أصابع يمسك بها كما أن شفته مشقوقة لا تستطيع أن تساعده في جمع النبات المتناثر.

*** لما أنت عامل جمل بعبعت ليه أُمّال؟**

كلمة «أمّال» بضم الألف وشدة مفتوحة على الميم بمعنى لماذا؟ ويقال ذلك لأحدهم تدخل في أمر أكبر من طاقته فلم يستطع إتمامه وأخذ يشكو.

*** لما أنت عامل جمل نخنخت ليه؟**

نخنخ من نخ أي برك وهي هنا بمعنى انكسر وانهزم.

*** لو شاف الجمل اتبه لاندار عليه قطمه.**

الإتب: تطلق على السنام. اندار: استدار، قطم: قضم أو قطع بمعنى أن سنام الجمل يسيء إلى شكله.

*** لو كانت السلفة تحب السلفة كان الجمل طلع الغرفة.**

المعروف أن الدواب عموماً كالجمل والبقر والحمير

والجاموس لا تستطيع أن تصعد السلم ومعنى «طلع الغرفة» أي صعد إلى الغرفة في الطابق الثاني، وهو ضرب من المستحيل، والسلفة هي زوجة أخو الزوج..

* لولا الجرب لضرب بالقلة.

الجرب: آفة تصيب جلد الجمل وتضعفه، وحتى إنها في مرحلة نضوجه الجنسي فإنها تعوقه عن أن يضرب بالقلة..

* لولا الولد من الكبد لا قول الإبل أحسن وأخير.

من أمثال بدو سيناء..

* ما تفطّرش جمالك مع جمال الطز.

والمثل السابق «**حاشر جماله مع جمال الطز» وقد سبق الشرح.**

ما حد خالي من الهم حتى قلوع السفينه
حسك تقول للنذل يا عم ولو كان راكب هجينه

* ما شفتش الجمل؟ قال: ولا الجمّال.

* شاف: رأى.

*** ما قدرش على الجمل اتشطر على الجمّال.**

اتشطر من الشطارة.

*** ما عندو كبير إلا الجمل.**

*** المرض بيخلي الجمل بدل.**

أي يحزن على ما وصلت إليه حالته. وقد سمعت هذا المثل الذي جاء عفو الخاطر على لسان بواب المنزل الذي أسكن فيه على إحدى سكان العمارة المشلولة وهي تعجز عن دخول المصعد إلا بمساندة ثلاثة وهي تبكي على حالها، وقد قال هذا المثل في ٢٢/

١١/ ١٩٩٩ وهذا البواب من أسيوط.

*** المستعجل ما يسوقش جمل.**

الجمل بطيء الحركة حيث يتهادى في مشيته ولا يسعف المتسرع أو الذي يتعجل قضاء مصلحته، وهذا البطء يساعده على اجتياز المسافات الطويلة دون تعب، ولكن مع ظروف الإيقاع الحضاري الحديث الذي يعتمد على السرعة، فإنه من الصعب قضاء المصالح عن طريق الجمل كما كان يحدث في السابق.

*** معزتك ولا جمل أبوك.**

أبوك: الشعبيون لا يلتزمون بالقواعد النحوية، والمثل يدعو إلى القليل المؤكد على الكثير غير المؤكد..

*** الناقة العويلة سلبتها طويلة.**

العويل: عدم الفائدة أو الذي يعوله الغير أو يعتمد عليهم في أعماله.

*** نخ زي الجمل.**

الجمل عندما يبرك يقال عنه نخ ويقولون: نخ الجمل.

*** نقول جمل يقولوا احلبوه.**

سمعته من بائعة جرايد سيدة في سن الستين من أصل نوبي في ٣٠/ ٧/ ١٩٩٨ والمثل في صياغته المعروفة «نقول تور يقولوا احلبوه» وتقول الراوية إن هذا المثل شائع في الصعيد الجواني (قنا وأسوان والنوبة) وليس شائعاً في محافظات الصعيد الشمالية (بني سويف والمنيا وأسيوط)..

*** هدى له حقنة تفوّق جمل.**

هدى: الهاء هنا أداة تنبيه وأدى: أعطى بمعنى سوف أعطي

وقد سمعت هذا النص في فيلم «أونكل زيزو حبيبي» انتاج ١٩٦٧.

*** هانحط الجمل قدام الجمّال.**

بمعنى أننا نضع النقط على الحروف بالدليل.. والمعنى غير صحيح رغم أنه يضرب هكذا ذلك أن الجمل لا يسير أمام الجمّال.

*** هم يا جمل.**

للتباسط مع الطفل لتشجيعه على تناول الطعام، وكنا في مرحلة الطفولة نردد ذلك التعبير عندما نلتهم طعاماً لذيذاً ونقول ذلك على سبيل التفكه والتباسط مع الأقران..

*** هو أنت جيت في جمل؟**

يقال هذا على سبيل الاستفهام الإنكاري، جيت محرف جئت ومعنى المثل أن ما تطمع فيه ليس صعباً..

*** واحد شيلوه معزة زرط قال: أنا مولف على شيل الجمل.**

زرط: صوت يخرج من الدبر، مولف: مدرب أو متآلف ويضرب للسخرية من الادعاءات الكاذبة.

*** وقع وقام زي الجمل.**

أي قام مندفعاً مثل الجمل.

*** يا تخت يا جمل يا مربرب.**

يقول ذلك أحدهم في الأحياء الشعبية على سبيل الغزل إذا مرت فتاة سمينة، ويزيد هذا من إعجابها بنفسها فتتهادى وتتمايل على سبيل شد الانتباه ولفت النظر، وتعبير «يا جمل» أي يا ضخم مثل الجمل، وهي بالتالي تتهادى كالجمل.

*** يادي الشيلة يادي الحطة رحت على جمل ورجعت على قطة.**

عن الذي ذهب لقضاء أمر وتكلف الكثير من الأعباء مدفوعاً بالثقة في إنجازه بسهولة، وإذا به يعود مخذولاً يجر أذيال الخيبة..

*** ياما الجمل كسر بطيخ وياما البطيخ كسر جمال.**

المعروف أن الحركة الاهتزازية للجمل تكسر حمولة البطيخ لهشاشته، والجزء الثاني من المثل يعني أن أحمال البطيخ وتتابعها على مدى الشهور تهلك الجمال.

*** يا محنة الوالدة ما بعدها محنة.**

المثل من العريش تسجيل ٢١/١١/١٩٩٦ والوالدة هنا: أم الجمل الصغير الذي فقدته فهي تعيش في بؤس ومحنة.

*** يخلي الجمل ينفذ من خرم إبرة.**

عن شخص يجيد الحيل والألاعيب، أو شخص لديه القدرة العجيبة على كل المعضلات..

*** يسيب الجمل ويدوّر على الحسك.**

يدوَّر: بشدة مفتوحة على الواو بمعنى يبحث، والحسك بفتحة على السين عبارة عن لجام من الحديد يوضع في فم الجمل ويقاد منه الجمل وخاصة عندما يكون في مرحلة الهياج.

*** يعملوا للجمل بعرور.**

البعرور: الروث.

*** يغور القعود اللي ييجي من ناقة جربة.**

القعود: الجمل الصغير. الجربة. المصابة بالجرب.

* * *

ثانياً ـ الأمثال في مجموعة أحمد تيمور

*** اللي يعمل جمل ما يبعبعش من العمل.**

*** إن عشقت اعشق قمر وإن سرقت اسرق جمل.**

*** أول شيلة في الحج تقيلة.**

*** الباب يفوّت جمل.**

*** الجمل إن بص لصنمه كان قطمه.**

*** جمل بارك من عياه قال: حملوه يقوم.**

*** جمل ما قامش بحمله قال: اعقلوه.**

*** جمل وفي رقبته صرمه.**

*** زي البدوي يقول وشك والبل ضهرك والبل دهيّا بلايه واحدة.**

المصدر: الكنايات العامة: أحمد تيمور طبع الأهرام ١٩٧٠ ـ طبعة ثانية.

*** زي الجمل حنكه في كدية وعينه في كدية.**

*** زي الجمل اللي يحرته يبططه.**

*** زي الجمل ناعم وياكل خشن.**

*** زي الجمل يمشي ويحدف لورا يبين عيوب الناس وعيوبه ما ترى.**

*** زي شخاخ الجمل تملّي لورا.**

*** سنة شوطة الجمال جابوا الأعور قيدة.**

الشوطة: الوباء. القيدة: الرئيس والمراد به الجمل الذي يكون أول القطار.

* **سير يا جمّال وحاديها إلا جرى الصبا راح فيها.**

إلا هنا بمعنى لأن أي أحِطها أيها الجمّال بعنايتك في سيرك لأنها نتيجة تعب الصبا فإذا فقدت لا تعوض. يضرب للشيء العزيز قل أن يخلف إذا فقد..

* **شفتش الجمل قال: ولا الجمّال.**

* **ضراط البل ولا تسبيح السمك.**

* **عرج الجمل من شفته.**

سبب عرج البعير أكله من المزارع. يضرب لمن يجني على نفسه ويسبب لها الضرر..

* **قالوا: الجمل طلع النخلة قالوا: آدي الجمل وآدي النخلة.**

* **قالوا: الجمل اعقلوه قالوا: هو قايم بطنّه.**

* **قالوا للجمل زمر قال: لا شفايف ملمومة ولا صوابع مفسرة.**

* **قالوا للجمل غنِّ قال: لا حس حسن ولا حنك مساوي.**

* **قص حمارك يكبر وقص جملك يصغر.**

* **قط خاص ولا جمل شرك.**

* **قطهم جمل وبراغيتهم رجالة.**

* **كل أكل الجمال وقوم قبل الرجال.**

* **كل الجمال بتعارك إلا جملنا بارك.**

* **لا شفت الجمل ولا الجمال.**

* **لما أنت عامل جمل بعبعت ليه أمّال.**

* لو شاف الجمل حدبته لوقع وانكسرت رقبته.

* لولا الجرب كنت تضرب بالقلة.

* المستعجل ما يسوقش جمال.

* يادي الشيلة يادي الحطة رحت على جمل وجيت على قطة.

* ياما الحج مربوط له جمال.

* * *

ثالثاً ـ الأمثال في مجموعة فايقة حسين راغب

الجزء الأول ـ طبعة ١٩٣٩م

* **آخر دور يا على الجمل يا على الجمّال.**

عن اثنين لا بد لأحدهما أن يظلم.

* **آدي الجمل وآدي الجمّال.**

* **آدي الجمل وآدي الجمّال وآدي صاحب الجمل.**

يضرب لمن يدعي دعوى على آخر فيواجهونه به لتظهر الحقيقة.

* **ابن الجمل والناقة.**

للأصيل من الطرفين مدحاً له.

* **أحقد من جمل.**

الجمل لا ينسى الإساءة وينتقم لنفسه من صاحبه ولو بعد حين.

* إذا انكسر الجمل حمل حمل حمار.
* أصبر من الجمل.

الجزء الثاني طبعة ١٩٤٣م

* اللي تحوشه النملة في سنة ياخده الجمل في خفه.
الإنسان يتعب ويجمع ويأتي وريث يضيع.
* اللي تلمه النملة طول عمرها يسفه الجمل في سفة.
* زي الجمال اللي يحرتوه يبططوه.
* اللي عاوز يسرق جمل يحضر له كمامة.
* اللي عنده جمل يعلّي باب داره.
* اللي يعمل جمّال يعلّي باب داره.
* اللي في راس الجمل في راس الجمّال.
* اللي يبيع الجمل ما ينقّيش قراده.
* اللي يبيع الجمل ما يرجعش ينقّي قراده.
* اللي يحرته التور يبطه الجمل.

* * *

رابعاً - الأمثال في مجموعة وفاء الخناجري طبعة ١٩٨٧م:

* لما أنت عامل جمل بعبعت ليه أمّال.
* ضراط البل ولا تسبيح السمك.
* الباب يفوّت جمل.
* باع الجمل بما حمل.
* خيبة الأمل راكبة جمل.

* قالوا للجمل زمر قال: لا شفايف ملمومة ولا صوابع مفسرة.

* قالوا للجمل غنِّ قال: لا حس ولا حنك مساوي.

* المستعجل ما يسوقش جمال.

* احط على الجمل ناقة.

* يادي الشيلة يادي الحطة رحت على جمل ورجعت على قطة.

* زي الجمل اللي يحرته يبططه.

* كل الجمال بتتعارك إلا جملنا بارك.

* إن سرقت اسرق جمل وإن عشقت اعشق قمر.

* اللي تعمله النملة في سنة ياخده الجمل في خفه.

* اللي يبيع الجمل ما يبكيش على قراده(١).

* قطتهم جمل وبراغيتهم رجالة.

* جمل وفي رقبته صرمة.

* الجمل لو بص لصنمه كان قطمه.

* زي الجمل يمشي وبحدف لورا يبين عيوب الناس وعيوبه لا ترى.

* قالوا: الجمل طلع النخلة قال: آدي الجمل وآدي النخلة.

* البعرة تدل على البعير والقدم يدل على المسير.

* السكة تفوت جمل.

---

(١) صياغة المثل بها خطأ واضح وصحة المثل هكذا «اللي يبيع الجمل ما يبكيش على إبراده أما كلمة قراده فهي من القرض بفتح الراء وهو مرض يصيب جلد الجمل.

* يغور الجمل بما حمل.

* ياما الجمل كسر بطيخ قال: يامه البطيخ كسر جمال.

* ياما الحج مربوط له جمال.

* شفت الجمل قال: ولا الجمال.

خامساً ـ الأمثال في الجزء الأول من معجم الأمثال البدوية: إعداد: يوسف مبارك[1]:

*** الإبل بلول الريق.**

أي أن الإبل تعينك وتريحك ولا تجعل ريقك يجف ويتحدث عن أهمية الإبل للبوادي..

*** الإبل تشيلك حي ميت.**

أي تحملك على ظهرها وأنت حي ولا تأنف من حملك وأنت في نعشك ميتاً.

*** الإبل في وادي العجّاج أكثر.**

العجاج: القبار بمعنى أن الإبل في الأودية كثيرة لكنك لا تعرف الصالح منها من غير الصالح.

*** الإبل ما بتنقاد من ذُيُولها.**

كما أن الإبل لا تقاد من ذيولها فإن الأقوام لا تقاد بالوضيع ولكن بالأعز والأشرف..

*** الإبل معاوين الدهر.**

(١) صدر هذا الكتاب وأنا أكتب الخاتمة، ديسمبر ١٩٩٩ وهو عن تراث بادية سيناء وقام بجمع هذه الأمثال أحد أبناء هذه القبائل جمعاً ميدانياً وقد سجلت تفسيراً في الأمثال كما دونها بعد الاختصار.

بمعنى أن الإبل تعين من يقتنيها على مصاعب الحياة ومشكلاتها.. عن فوائد الإبل..

*** الإبل مُلُوك.**

ملوك: ملائكة. والمعنى أن الإبل تستشعر الخطر قبل وقوعه وهي بذلك تنذر بوقوعه قبل أن يحدث، كما أن الإبل تحس بهواجس راكبها من خوف ونحوه فتطاوعه في الانقياد والسرعة حسب مقتضى الموقف، وهناك حكايات وروايات يرويها أهل بادية سيناء عن إبلهم وكيف تغيرت طباعها السيئة لمجرد حلول خطر ما أو ظهور عدو..

*** اشتر الناب ولا تهاب.**

الناب: الذكر من الإبل بمعنى أن شراء الذكر من الإبل أفضل من شراء الإناث، والمثل يضرب بالتفضيل للذكور من الدواب على الإناث لأن الذكر أقوى على الحمل وأجلد..

*** اضرب النِّسا بالنِّسا والإبل بالعصا.**

النِّسا: النساء بمعنى إذا أردت تأديب امرأة فوسيلة تأديبها يكون بامرأة أخرى وليس بالضرب لأن الضرب بالعصا للحيوانات..

*** إن اشتريت ناقة اشتر وطنها.**

وطنها أصلها ومنبتها بمعنى إذا أردت أن تشتري ناقة فلا تنظر إلى مظهرها وحالتها بل ابحث عن أصلها وموطنها.

*** إن دبرت دبر بعير.**

بعير: الواحد من الإبل بمعنى أنك إذا أردت أن توفر أو تدبر شيئاً فأول شيء عليك تدبيره هو بعير يعينك على ظروف الحياة بالصحراء والتي يمثل فيها البعير أهم وسائل العيش والحياة.

والملاحظ أن الشخص الذي لا يملك بعيراً في الصحراء يكون عالة على غيره في كل شيء، فالبعير هو الوسيلة لاستغلال الأرض ونقل الماء وحمل الأمتعة أثناء الرحيل..

*** إن درت قلوصك احتلبها، ما تدري الفصيل لمن يكون.**

درّت: كثر حليبها، قلوصك: ناقتك الحلوب، الفصيل: ابن الناقة الصغير قبل فطامه. والمعنى احلب ناقتك واشرب حليبها ولا تديره لابنها الذي قد لا يكون من نصيبك.. المثل يضرب لانتهاز الفرصة وعدم تأجيلها..

*** إن ركبت اركب قارح.**

قارح: مجرب والمقصود الجمل.

*** إن ركبت اركب مثبوت.**

مثبوت: ثابت الأصل والنسب بمعنى إذا أردت أن تركب من الإبل فاركب البعير الأصيل..

*** إن هلل قمرها تفقد ذودك.**

هلل: دائرة تكون حول القمر في ليالي الشتاء. ذودك: إبلك والذود هي الإبل لا تقل عن الثلاث. بمعنى إذا رأيت في إحدى ليالي الشتاء دائرة حول القمر فهي مؤشر على هبوب رياح شديدة قد تضل من شدة عصفها إبلك.

*** بالدر الناقة ع الفاقة.**

بالدر: كثرة اللبن في الضرع. الفاقة: الحاجة.

بـكـرجـه طـاسـة عـجـوزه   والــــدر اول واجـــــدات
ومـسـكـنـه روس الـلـقـنـة   عـن دروب الـمـشـحـيـات

طاسه: إناء للطهي، عجوزه: زوجته، المشحيات: الإبل المسافرة بعيداً، اللقنة، الجبال، الدراول: الأغنام، واجدات: كثيرة.

والمثل عن أحدهم لبخله لا يوجد عنده بكرج للقهوة ويستبدله بطاسة زوجته حتى لا يغري عابري السبيل على إبلهم وهو ـ لبخله الشديد ـ يسكن رؤوس الجبال بالرغم من أن الكرم لن يكلفه غير القليل من ألبان أغنامه الكثيرة العدد. عن البخيل..

*** بينكسر جمل ويعشّي واوي.**

يعشّي: طعام العشاء، واوي: حيوان ضعيف يأكل لحوم الإبل والأغنام ومعنى المثل إن الله سبحانه وتعالى يميت الجمل وهو حيوان ضخم من أجل أن يرزق «واوي» بعشائه..

*** بْيِنْبِهِض الجمل والصيت للجمَّال.**

بينبهض: يحمل فوق طاقته، الصيت: الشهرة والسمعة بمعنى أن الجمل هو الذي يحمل الأثقال، والجمال هو الذي يجني الفائدة..

*** ثلاثة نعالهن أمان: العبد، والجمل، والبحر.**

بمعنى أنه يجب ألا تأمن غدرها وهي العبد المملوك والجمل والبحر.

فالعبد والجمل يدفنان الحقد حتى تحين الفرصة للقضاء على المحقود والبحر غادر.

*** جابت حْوَارها بيَّن عوارها.**

جابت: ولدت، بين: أظهر، الحوار: ولد الناقة والجمع حيران، العوار: العيب أي أنها ولدت فظهر ما فيها من عيوب

والمقصود الناقة وهي كناية عن المرأة..

*** جت في الوبر.**

الوبر: هو للإبل كالصوف للغنم. والمعنى أن الإصابة جاءت في الوبر ولم تؤثر في البعير..

*** الْجَذْع بيْلقَّح النّياق من ورا الرَّقع.**

الجذع: من الإبل في سن الرابعة، بيلقح: أصبح فحلاً يلقح الإناث. النياق: جمع ناقة، الرقع: قطع من القماش توضع على مؤخرة الناقة حتى لا تلقح من فحل مجهول النسب. والمعنى أن الجذع من الإبل قد اكتملت فحولته ويمكن التلقيح منه، ولذلك يجب الحذر منه إذا كان من غير السلالات الأصيلة.

*** جمل واستنوق.**

كان جملاً وأصبح مثل الناقة.

*** الجمل ما بيْشُوف عَوجة رقبته.**

أي أن الجمل لا يرى اعوجاج رقبته ويضرب للذي يرى عيوب الناس ولا يرى عيوبه.

*** الحوار بياكل عَشَا الجمل وهو بيرغي.**

الحوار: ولد الناقة في السنة الأولى، بيرغي: صوت الحوار، والمعنى أن الحوار الصغير يأكل عشاء الجمل بالحيلة والمسايسة مستخدماً صوته الضعيف للحصول على مأربه وهو الأكل..

*** خَلَق الجمل ولا جديد النَّاقة.**

خلق: قديم والمراد كبير السن بمعنى أن الجمل وإن كان كبير السن أفضل من الناقة ولو كانت صغيرة السن لأن الجمل أقوى على الحمل من الناقة..

*** الخَيل أعقل الإبل.**

أعقل: جمع عقال أي أن الخيل تدرك الإبل إذا ما شردت في الصحراء.

* ربيع مصر رايح في طريقها.

المعلوم أن أهل البادية من سيناء كانوا في سنوات القحط يرحلون بدوابهم إلى مصر من أجل البيع وبعد انتهاء موسم الربيع يعودون إلى ديارهم في سيناء وأثناء العودة تكون الدواب قد هزلت لطول الطريق ولم تستفد من الربيع في مصر..

*** الرجال خمسات والإبل خمسات.**

بمعنى أن الرجال معروفة أنسابهم حتى الجد الخامس، وكذلك الإبل. ومن المعروف أن بادية سيناء تهتم بأنساب إبلهم كاهتمامهم بأنسابهم، ومن المعروف أيضاً أن بادية سيناء تحصر الثأر في خمسة من أهل القاتل وهم عصبته حتى الجد الخامس، والمثل يضرب لأصالة نسب الرجال والإبل..

*** شُخْبَه بَرَّاني.**

شخبه: الحليب الخارج عن الفرع، براني: خارجي. والمعنى أن الحليب لا ينزل في الإناء بل خارجه فلا يستفاد منه..

*** عاصية الإبل ذَلُول.**

ذلول: سريعة بمعنى أن العاصية من الإبل تكون عادة سريعة العدو.

*** عواض الإبل قيده.**

قيده: القيد يوضع في رجل الجمل. أحد الرعاة فقد جمله وعاد إلى أهله بالقيد..

*** قَوْله: «حَيِّت» بتقْوم الجمال كُلْها.**

حيت: كلمة نداء على الإبل. بمعنى أن هذه الكلمة إذا نطق بها الراعي فإنها تقوم الإبل جميعها حتى ولو كان النداء لبعير معين..

* كُلِيب سد في الناقة.

كليب: هو كليب بن ربيعة، الناقة: المقصود ناقة البسوس، أي أن جساس بن مرة حين قتل كليب بن ربيعة قد تأثر لمقتل ناقته..

*** لا شفنا الجمل ولا الجمّال.**

بمعنى لم نر الجمل ولا صاحبه.

*** لولا الولد من الكَبَد لأقول الإبل أحسن وأخير.**

لأقول: أي ليمكنني الزعم بأن. والمعنى أنه لولا أن محبة الابن في الكبد لأقولنَّ الإبل أكثر خيراً من الولد.

*** اللي بيْبرك جَمل بيقوِّم جَمل.**

أي من يلتزم بحمل الجمل يجب أن ينهض به ولا يتحجج بثقله.

*** اللي ما عنده ناقة ولاَّدة ولا خربة معتادة من وين تجيه السعادة؟**

ناقة ولادة: ولود، خربة معتادة: أرض خصبة. بمعنى من ليس عنده ناقة ولود وأرض خصبة لا يكون سعيداً لأن أي عنصر آخر من عناصر الثروة في الصحراء لا يجدي من وجهة نظرهم..

*** ما أكره من جمل شرود وعند أهله فرس.**

شرود: متعود على الهروب بمعنى ليس هناك أغبى من جمل

يحاول الهروب من أصحابه وعندهم فرس يستطيع اللحاق به . .

*** مالِه مَبرك جمل.**

أي ليس له أرض يبرك فيها جمله.

* مثل البوّ.

البو: جلد الحوار يُحشى تبناً أو نحوه فيقرّب من الناقة فتخدع فتدر عليه.

*** مطر العقربيات يرد الإبل إلى مشاتيها.**

العقربيات: نوّ في أواخر الشتاء: مشاتيها: المكان الذي قضت الإبل فيه الشتاء. . أي أن المطر الساقط مع نوّ العقربيات يكون غزيراً فيوهم الإبل باستمرار فصل الشتاء فتعود مسرعة إلى المكان الذي قضت فيه الشتاء. .

*** من قال: جَمْ قال: جمل.**

أي أن من يبدأ بفعل جزء من شيء يكون كمن فعله. فمن يقول «جم» وهما الحرفان الأول والثاني من كلمة «جمل» يكون كمن قال «جمل». والمعنى الآخر أن من يفعل بعض الشيء يستطيع أن يكمل، ومن ثم فلا حجة له ولا يتقاعس. .

* نخنخ للخاينة لمَّا تُبْرك.

نخنخ: صوت يصدره الراعي للإبل لكي تبرك، الخاينة: الناقة الشرود، بمعنى تحايل على الناقة الشرود حتى تبرك وتمسكها. .

*** ورّها حْوارَّها تْحن.**

حوارها ابنها أي أن الناقة إذا رأت حوارها فإنها تحن إليه بتحريك العواطف. .

*** ولد الجمل والناقة.**

لمن يكون خالص النسب من الأب والأم أي الأب بدوي والأم بدوية.

* **ولد العاقة يسوى ناقة.**

العاقة: المرأة المتخلفة عقلياً أي أن المرأة المتخلفة عقلياً قد تلد ولداً يعادل في أفعاله أفعال قبيلة كاملة. والمثل يؤكد عندهم أن الجنون غير وراثي..

* يا بَكره ياللي تْلُوذي بالكرم والجود من يوم يسلم عصَّبْكي اللحم للدود.

بكرة: الأنثى من الإبل قبل أن تلد لأول مرة أي أن البكرة الأصيلة الكريمة ما دامت قوائمها سليمة ومعافاة فإنها تكفي صاحبها، أما لحم جسمها فلا يهم فمصيره للدود يأكله بعد الموت..

* يا ناقة قدامكي طور وإن طحتي لا يَتْنَاك.

قدامكي: قدامك، طور: منحدر جبلي، طحتي: هويتِ من المنحدر إلى الأرض لا يثناك: غير مأسوف عليك. والمعنى يا ناقة أمامك منحدر جبلي فإن هويتِ ـ بعد النصيحة ـ فلا أسف عليك.. المثل يضرب لمن تنصحه ولا تفيده النصيحة..

سادساً ـ الأمثال في مجموعة شرف الدين بن أسد/توفي ٧٣٨ هـ[1]:

* **إذا انكسر الجمل حمل حمل حمار.**

(١) اسجل هذه المجموعة وهي من القرن الثامن الهجري ويلاحظ أن أغلب أمثالها ما زالت منتشرة بيننا حتى الآن مما يدل على التواصل الحضاري في مصر وقد نشرت هذه المجموعة في انجلترا ١٨٣٠م، وانظر المراجع.

*** إما بالجمل أو بالجمّال أو بصاحب الجمل.**

*** جمل موضع جمل يبرك.**

توجد أماكن تبرك فيها الجمال في المحطات المسائية في مكان مميز خارج البلد وتتوقف القوافل عادة فيها عند الرحلة من مكان إلى آخر..

*** الجمل في شيء والجمّال في شيء.**

سابق الحج بمرحلة.

*** ضراط البل ولا تسبيح السمك.**

لتفضيل السفر إلى الحج على الجمال رغم المصاعب عن سلوك البحر وهو أكثر خطورة..

*** ما كل معوج الرقبة جمل.**

* وصل القطار إلى الجميزة.

المقصود بالقطار هو قطار الجمال يسير الواحد وراء الآخر، وقد انتقلت كلمة قطار وأطلقت على الآلة الميكانيكية التي تسير على السكك الحديدية وتجر وراءها مجموعة من العربات..

*** ينزل رجل غراب يطلع خف جمل.**

تنزل يده صغيرة كرجل الغراب في طبق الأكل ويسحبها إلى فمه وفيها كمية كبيرة من الطعام فهي تشبه خف الجمل..

* اللي تجمعه النملة في سنة تاكله الفارة في ليلة.

وقد تحول هذا المثل بفعل التطور الزمني في الصياغة التالية: **«اللي تجمعه النملة في سنة ياخذه الجمل في خفه»** في هذه الأيام..

أمثال الجمل في العالم العربي

١ ـ الأمثال العامية في نجد[١] ـ المملكة العربية السعودية.

*** بعير الظهر معدوم.**

بعير الظهر هو بعير الركوب.

*** البل عطايا الله.**

*** البل دَقَّاقة الدول.**

*** البل موديات الغريب لبلاده.**

*** البل ما يجيبها إلا الأحمرين: الدم والذهب.**

*** البيع والشرا درة ناقة.**

أي يتمّان سريعاً مثل تجمع درة الناقة أي لبنها.

*** البعير ما شوف سنامه.**

*** تجمع النملة وياكل الجمل.**

النملة تجمع الحبة طول السنة حبة حبة فتدخره في بيتها وعندما ينزل المطر ويصيبه الندى تخرجه لينشف في الشمس فيأتي الجمل فيأكله.

*** الجمل كروي والمحجان من الشجرة.**

كروي محرف كراء. والمحجان: عصا معطوفة الطرف. وعندما سئل أحدهم. لماذا تضرب الجمل هكذا؟ فقال هذا المثل. أي لست مشفقاً على الجمل، لأنه ليس ملكي فلا يهمني ضرره،

(١) الأمثال العامية في نجد، محمد العبودي، طبعة الحلبي بمصر ١٩٥٩.

ولست خائفاً على المحجن أن ينكسر، لأنني أخذته عن الشجرة دون ثمن، والمعنى أن الجمل كراء والمحجن من الشجرة..

*** جمل المحامل.**

عن الجمل الذي يخصص لحمل المحامل وأغلب ما يكون ذلك وقت الحج ولا بد أن يكون شديد القوة يحمل الأثقال..

*** الحوار ما يضره وطى أمه.**

الحوار: ولد الناقة.

*** راح الجمل بما حمل.**

يضرب للشيء يذهب جمله وبعضهم يحذف منه «راح».

*** ضراط الجمل.**

لمن لا أهمية له وأصله قول العرب في أمثالهم «أهون من ضراط الجمل»..

*** العنز ما تقرن بالجمل.**

العنز لا تقوى على أن تسير مع الجمل في قرن وهو الحبل الذي يجمع به بين البعيرين..

*** كل أكل الجمال وقم مع أول الرجال.**

*** البعرة تدل على البعير.**

*** القراد يثوّر الجمل.**

القراد حشرة صغيرة تتعلق بالماشية وتتغذى بدمها ويثوّر الجمل أي يجعله يثور.

*** لا ناقة لي ولا جمل.**

*** لا مال ولا جمال.**

*** ما ضرط عند عقالها.**

الضمير في «عقالها» للناقة أي هو لم يضرط عند عقال الناقة للحذر الشديد لأن سرقة الإبل وحل عقالها مسألة صعبة ولأن البعير ينفر ويرغي فيفطن إلى ذلك أصحابه ويكون الموت المحقق، أي يكاد يفقد السيطرة على نفسه عند سرقة الناقة من شدة الخوف..

*** ياما ضاع على الحجاج من جمل.**

أي ما أكثر ما ضاع على الحجيج من الجمال.

* * *

٢ ـ من الأمثال العامية[1]/ الكويت:

*** إذا سَلمت عليَّ ناقتي ما عَلَيّ من جماعتي.**

يقوله من يحصل على بغيته فلا يلتفت إلى سواه.

*** اسْلِمَتْ القافلة ما جاها أحَدْ.**

لم يعترض طريقها معترض.

*** إذا طاح الجمل اكثرت سِكّاكينه.**

إذا سقط الجمل وهوى إلى الأرض تراكض إليه الناس لتمزيقه وتقطيعه.

*** البعرة تدل على البعير.**

*** البعير لو يطالع حدبته انكسرت ركبته.**

(١) من الأمثال العامية، اختارها وشرحها: خالد سعود اليزيد، طبعة الكويت ١٩٦١م.

* **تجازي ناقّت الحج ابْذَبحها.**

* **الجمل جِمل اكْروِي والمِشْعَاب من شجرة.**

الكروي: بمعنى المكاري والمشعاب عصا لها رأس غليظ. يضرب لمن لا يعبأ بما تحت يده من ملك غيره.

* **جازى ناقة الحج ابذبحها.**

يضرب لمن يسيء إلى من يحسن إليه.

* **الخريش من البل يظهر.**

الخريش: البعير الساقط، البل: الإبل.

* **ساق تمشي ولا ساق يظلع.**

ظلع البعير: غمز في مشيته ويضرب في تفضيل النافع على الكثير الذي قد يؤدي إلى الضرر.

* **غَصْب على البل ترْكب جاريات السِّفِن.**

يضرب لمن يبتلى بأمر لا خلاص منه.

* **لا في العير ولا في النّفير.**

مثل عربي قديم ـ أصل العير هي عير قريش التي أقبل بها أبو سفيان من الشام والنفير من نفر من قريش ليدفع عن العير.

* **ما يضرِّ الجمل عضّ النمل.**

* **ما يشد حج وفي البل جمل.**

البل: الإبل. بمعنى لا يقوم بالأمر إلا صاحبه.

* **نوِّخ جمل وكِلْ لَحَمْ.**

نوخ: أي أنخ الجمل إن شئت أن تأكل اللحم.

*** يا شين السَّعَف على الجمل**

أي ما أشين أن يحمل الجمل السعف لأنه غير جائز.

* * *

٣ ـ الأمثال البغدادية[١] العراق:

الجزء الأول:

*** أُكل أكل الجمال وكُوم كَبل الرجال.**

*** الزم الجمل وخذ باجه.**

باجه: باقة، حزمة.

*** اللي إله بالجمل إذن ينوخه.**

صاحب الحق يتصرف منه كما يحب.

*** اللي تجمعه النملة بسنة يشيله البعير بخفه.**

*** الباب يوسع جمل.**

*** بت الجمل بما حمل.**

*** بعد ما جان جَمَل صار جَمَّال.**

*** البعير بفلس والفلس ماكو. البعير بألف والألف أكو.**

بمعنى رخيص عند وجود المال من عدمه.

*** البعير لو يشوف أذانه جان حار بْزمانه.**

إذن البعير لا يتناسب مع ضخامته وهذا البعير لو رأى أذنه لكان أشد عجباً لها من الآخرين..

(١) الأمثال البغدادية، جلال الحنفي، طبعة بغداد ١٩٦٢.

*** البعير لو يشوف حدبته جان انكسرت رُكُبْتُه.**

الحدبة: السنام. البعير المتطاول على الناس بطول رقبته لو رأى حدبته لما تطاول على أحد بشيء..

*** البعير من يوكع تكثر سجاجينه.**

*** البعير بيصير قَزَّاز.**

لا يستطيع أن يشتغل في صناعة القز لأن صنعة القز دقيقة رقيقة..

*** البعير يشيل كل شيء وعالمذْخل يبْرُك.**

يقوم بأعظم الأعمال ومع ذلك يعجز عن القيام بما يهون من الأمور.

*** البعير يضْلَعْ من إذْنه.**

يضلع: يعرج. يضرب لمن يلجأ إلى المعاذير الملفقة.

*** البعير يعرف ربَّه بالزَّلك.**

لا يستطيع البعير أن يمشي على الأرض إذا كانت زلقا إلا بصعوبة.

وفي صياغة أخرى: البعير ميعرف ربه إلا بالزلك..

*** تلاكي الجمل والجمّال.**

يضرب الأمر المستعصي يأتي عليه ما ينهيه على وجه لا يبقى معه ما يدعو إلى تطفل الناس وجدلهم..

*** جا الجمل يسوِّي له كرون كصوا آذانه.**

لمن تطاول على شيء فيحرم ما دونه.

*** حج الجمل والبردعة راح بذنب جا بأربعة.**

الذي حج هو الجمل وليس راكبه.

* **كل الجمال تعارج إلا جملنا بارج.**

ندب حظ وربما أوردته امرأة في زوجها إذا كان متعطلاً عن العمل لا رجاء فيه..

* **كل شيء كِمّل بقى الركوب عالجمل.**

يضرب لتداعي المتاعب على شخص..

الجزء الثاني:

* **لو صاح الجمل ثكّلْ حمله.**

يصيح الجمل تذمراً من عناء الحمل غير أنهم يزيدون من حمله إمعاناً في إذلاله.

* **ليعبُّر بكَهْ يَعبُّر جمل.**

يضرب لدقة الحيلة تستوي عندها كبائر الأمور وصغائرها.

* **ما عنده جبير إلا البعير.**

جبير: كبير.

* **مثل البعير حمله شكره وياكل عاكول.**

أحياناً «حمله ذهب». عن شخص يظهر عليه من الغنى ما لا ينتفع بشيء منه.

* **مثل البعير مَيْذكر الله إلا بالزلَك**

الزلَكَ: الزلق.

* **مثل بول البعير كل ما جاله ليوَرَه.**

* **مَكَدِر عالجمل جا عالجمّال.**

يتضاءل أمام الأقوياء ويتعاظم أمام الضعفاء.

* **من الجمل إذنه.**

مغبون نصيبه أذن الجمل عند تقسيم الجمل.

*** من المال حمِّل جمال.**

*** ناقة الله وسقياها.**

من الكنايات ويضرب للكَلِّ البليد وهو نص قرآني.

*** نَوِّخ بعير واشْبَع لحم.**

نوخ من أناخ.

*** ناقتي ولا جملي.**

*** يضْلع الجمل من إذنه.**

يضلع: يعرج وهم يحسبون أن البعير إذا شكا ألماً في أذنه أخذ يعرج في مشيته تعبيراً عن ذلك. يضرب للمعذرة الملفقة.

*** يعاين البكة ويفوت الجمل.**

البكه: البق. يفوت الجمل أي يتخطاه دون أن يراه. ويضرب للمتشدد في صغائر الأمور المستهين بكبائرها..

*** اليْعَبّر بكه يْعَبّر جمل.**

البكه: البعوضة ويضرب لمن كان دقيق الحيلة في صغائر الأمور فإنه يكون دقيق الحيلة..

*** تعثر بالبعير.**

للذي لا يحسن تبين سبيله فيصطدم بهذا وذاك.

*** فوك الجمل وعضه الجلب.**

تعس تلاحقه المصائب.

* * *

٤ ـ الأمثال البغدادية المقارنة[1].

الجزء الأول:

* **أحقد من بعير.**
* **إذا وَكَع الجمل كثرت سجاجينه.**
* **أكل أكل الجمال وكوم كبل الرجال.**
* **اللي إله بالجمل إذن ينوخه.**
* **اللي تجمعه النملة بسنة يشيله البعير بخفه.**
* **الباب يوسع جمل.**
* **بعت الجمل بما حمل.**
* **البعرة تدل على البعير.**
* **البعير لو يشوف حدبته جان انكسرت ركبته.**
* **البعير يْردّ عالْحداجة.**

الحداجة: رجل البعير بمعنى أن الضرورة تدفعه لبيع مقتنياته الثمينة..

الجزء الثاني:

* **ثلاثة مِتنْضَمْ: الحب، والحبل، وركوب الجمل.**

متنضم: لا تخفى.

* **الجمل بباره غالي وبألف رخيص.**

(١) الأمثال البغدادية المقارنة، عبد الرحمن التكريتي، طبعة بغداد ١٩٦٦.

*** الجمل لو يشوف حدبته جان انكسرت ركبته.**

*** الجمل من جوفه يجتر.**

لمن ينفق من رأسماله.

*** الجمل ميصير قزاز.**

لمن يتكلف أمراً لا يحسنه.

*** الجمل يعرج من بُرْطُمه.**

للأعذار الكاذبة.

*** راح الجمل يدور له كرون كصوا آذانه.**

كرون: قرون: كصوا: قصوا.

الجزء الثالث:

*** غصباً على البل تُعبر جاريات السفن.**

من أمثال البادية والبل: الإبل بلهجة البادية.

*** فوك الجمل وعضه الجلب.**

التعيس يلاحقه الأذى.

*** كل الجمال تعارج إلا جملنا بارج.**

*** لا ناقتي ولا جملي.**

له أصول قديمة.

ـ والأجزاء الثلاثة لهذا الكتاب حتى حرف اللام ومجموع أمثال الأجزاء الثلاثة ١٩٤٢ مثلاً..

* * *

٥ ـ المردد من الأمثال العامية الموصلية[(١)]:

*** أربعة شالوا البعير والبعير ما شالهم.**

عن الذين يفعلون الخير لمن لا يستحق.

*** بفّك الجمل وأشبع لحم.**

بفك: برك أي انخ بمعنى أزل ما يعيقك عن الحصول على مطلبك تحظى بما تريد.

*** الجمل شايل ذهب وياكل عاكول.**

عاكول: شوك. ويضرب لمن بحوزته مال ولا ينتفع به.

*** الجمل شايل الماي وهو عطشان.**

*** الجمل ما يجوز إلا ياخذ تارو.**

الحاقد لا يتغاضى عن ظلمه إنما يترقب الفرص للانتقام.

*** الجمل حملو يقتلوا.**

يتصدى لمن هو فوق طاقته.

*** الجمل لو ايدحّق أبأذانو كان داخ إبزمانو.**

لو نظر الجمل إلى أذنيه لاحتار لعدم التناسب.

*** الجمل إذا وقع تكثغ سكيكينوا.**

تكثغ = تكثر.

*** الجمل بعبع ابحوشي والدهن البيت نعّوشي.**

بمعنى أتحمل أذاهم وفائدتهم لغيري.

(١) المردد من الأمثال العامية الموصلية، محمد رؤوف الغلامي، طبعة بغداد ١٩٦٤م.

*** الجمل ابفلس والفلس ماكو.**

*** كل أكل الجميل وقوم قبل الغجيل.**

الجميل: الجمل، الغجيل: الرجال.

*** كل شيء كمل إلا ركوب الجمل.**

تصدى للأمور الجسام وعجز عن الصغيرة.

*** كل الجمال تعارك إلا جملنا بارك.**

*** مذبوح من مكانين مثل الجمل.**

أصابه الغرور من كل جهة.

*** ما يطبق عالجمل يجي عالجمّال.**

لا يستطيع مقاومة الأقوياء وينتقم من الضعفاء.

*** من هلْ مالْ حمل اجْمال.**

أتمنى أن أحصل على مثل هذا شيئاً كثيراً.

*** مثل بول الجمل كل ما جاله لورا.**

غير قابل للفهم فما زال في تقهقر وتأخر.

*** مثل عقبة الجمل.**

متروٍّ في الأمور.

*** مثل الذي ضيع جمل خالتو إذا لقّانو غنى وإذا ما لقّانو غنى.**

لا يزال فرحاً لا يهتم بأمور الغير.

*** ودّوا الجمل عَلْمّلاّ.**

ودوا: أرسلوا، علملا: إلى الكتاب. للذي يريد أن يفعل

شيئاً لا يناسب سنه ووضعه..

*** يبلغ الجمل وحْداجتو.**

حداجتو: ما يوضع على ظهر الجمل للركب وحمل المتاع.

*** يعمل من البرغوت جمل.**

يهول ويبالغ.

*** اليعبَّغْ كلمى ايْعبَّغ جمل.**

اليعبغ: يتساهل، كلمى: كلمة. من تساهل في الأمور الهينة تساهل في الأمور الهامة.

*** اليحْوي الجمل ايْكبِّغ بابو.**

ايكبغ: يكبر أي يوسع. الذي يتصدى لعمل فليأخذ أهميته له.

* * *

٦ ـ الأمثال الفلسطينية[1]:

*** اللي تجمعه النملة بسنة بياخده الجمل في خفه.**

*** التّعس إذا ركب على ظهر الجمل بيعضه الكلب.**

*** ثلاثة ما بيختفوا: الحب والحبل والرُّكبة على الجمل.**

*** جمل بقطعة وقطعة ما فيه وجمل بألف وألف فيه.**

*** الجمل بيشتر من اللي في بطنه.**

*** عرج الجمل من شفته.**

*** غُبّ غَبَّ الجمال وقوم قبل الرجال.**

---

(١) الأمثال الفلسطينية والسورية واللبنانية والسودانية منقولة من كتاب «الأمثال البغدادية المقارنة»، عبد الرحمن التكريتي.

* الفقير إن ركب عالجمل بتعضه الكلبة العرجا.

* كل الجمال بتعارك إلا جملنا بارك.

* ما لي فيها ناقة ولا جمل.

* * *

٧ ـ الأمثال السورية:

* اللي إله بالجمل ودنه بيبرّكه للأرض.

* اللي إله ذان في الجمل بيبرّخه.

* اللي بتحوشه النملة بيجي الجمل بيغبّه.

* ثلاثة لا يتخبوا: الحب والحبل والركوب على الجمل.

* الجمل إن شاف حردبته يقع ويكسر رقبته.

* الجمل بفلس الفلس ما يلتقى.

* الجمل لو شاف حردبته لوقع فك رقبته.

* الحب والحبل والركوب على الجمل لا يختفوا.

* عرج الجمل من شفته.

* غُبّ غَبّ الجمال وقم قبل الرجال.

* قالوا للجمل: شو صنعتك؟ قال: كباب حرير. قالوا: مبين على أيديك هالطايعين.

* كل أكل الجمال وقم قبل الرجال.

* كل الجمال تعارك إلا جملنا بارك.

* كل الجمال بتعارك من دون جملنا بارك.

* لا ناقة لي فيها ولا جمل.

* المتعس إذا ركب على جمل يعضه الكلب.

* * *

٨ ـ الأمثال اللبنانية:

* اللي إله بالجمل دَيْنه بنَيّخهُ للأرض.
* البعرة بتْدل على البعير.
* ثلاثة ما بيختفوا: الحب والحبل والركوب ع الجمل.
* جمل بدرهم ودرهم ما فيه.
* جمل بمصريّة ومصرية ما في معنا.
* الجمل لا يشوف حردبته بيوقع بيكْسر رقبته.
* عرج الجمل من شفته.
* غبّ غَبِّ الجمال وقوم قوم الرجال.
* الفقير لو ركب ع الجمل بتعضه الكلبة السودا.
* كل الجمال بتعارك إلا جملنا بارك.
* كل الجمال بتعارك من عدا جملنا بارك.
* كول أكل الجمال وقوم قوم الرجال.
* ما لي فيها ناقة ولا جمل.

* * *

٩ ـ الأمثال السودانية:

* أكل أكل الجمال وقم قبل الرجال.
* الجمل إن جاع يقبِّل على حويته.

الحوية: رحل البعير.

* **الجمل ما يِشوف عورة نفسه.**

* **الجمل وما حمل.**

* **لا لي فيها ناقة ولا جمل.**

* * *

١٠ ـ الأمثال الليبية[١]:

* **زكّار محادي قافلة.**

يضرب لمن ليس له تأثير في الأمر. والزكار: ضارب الزُّكرة وهي القربة التي ينفخ فيها الموسيقيون الشعبيون.

* **العريان في القافلة مطمان.**

للدلالة على الذي لا يهمه الأمر ولا ينتظر أن يصيبه خطر.. فهو مطمئن..

* **القافلة رفعت.**

لانتهاء الشيء أو فوات الفرصة.

* **القافلة مشيت والكلب ينبح.**

عمن يتحدث في موضوع بعد فوات الأوان، ولمن لا أثر لمجهوده.

* **قافلة وأربع حمير.**

كناية عن ضآلة الموضوع وقلة العدد.

* **ما يقدرش يقول الناقة.**

ومن عنده المستفيض ويمتلك الثروة الزائدة ويضعها في الكماليات.

---

(١) المجتمع الليبي من خلال أمثاله الشعبية، علي مصطفى المصراتي، طبعة ليبيا ١٩٧٢.

* **نوِّض بعيرك ولا تنوض صغيرك.**

يحذر من الإيقاظ وإزعاج الطفل.

* **ينوض الجمل ويعقب البعر.**

الجمل هنا رمز في التصوير الشعبي للقسوة والتحمل. والمثل يعني أنك إذا شاهدت جباناً ينحدر من سلالة شجعان فلسان المجتمع يصور هذه الحالة مثلاً ظريفاً فيه سخرية اللاذع وتهكم الحقيقة، وتفسيري أنه كما أن الجمل يخلف روثاً فإن البطل قد يخلف جباناً . . .

* * *

١١ ـ الأمثال الجزائرية[١]:

* **اهلبها وما تعرف من يحلبها.**

بمعنى جز الناقة ونظفها ولا تعرف من سيستفيد من حليبها.

* **الضعيف في القافلة معه ربي.**

* **ولات النملة تعشى على البعير.**

أصبحت النملة تتجاسر على الجمل، أي يجسر الذميم الخسيس على البطل الجبار، وعند محمد بن شنب ١٨٩١ «ولات النملة تقود البعير..».

* **اشحط واقف الإبل مرت.**

بمعنى اجلدني واقفاً فقد مرت القافلة. ويروى أن قافلة من الإبل مرت بواحة فسببت بعض الأضرار في جنانها فاشتكى صاحب

---

(١) الأمثال الشعبية الجزائرية، بالفرنسية، قادة بورتان وترجمة عبد الرحمن الحاج صالح ١٩٩١م.

البساتين وحكم على صاحب الإبل بالجلد فلما أمر هذا الأخير أن يستلقي على الأرض لكي يجلد أجاب بهذا لأنه يستعجل الالتحاق بقافلته من واحات الصحراء. .

* **يْتّنُّوا في شارب الجمل يتدلى ما يتدلى.**

بمعنى كنا نتوقع أن تتدلى شفة الجمل فلم تتدل - يشير إلى القنوط إذا طال الانتظار لحادث يترجاه. .

* **شدوا شعيركم وانشدوا بعيرنا.**

بمعنى أمسكوا عنا شعيركم نمسك بعيرنا، أو لسنا بحاجة إلى مساعدتكم ونرفض التعاون معكم. .

* **لا تأمن العرب الرحالة لو كان إنك سارح جمالهم.**

بمعنى أنه يجب ألا يأمن الإنسان على نفسه حتى ولو كان لديه ما يضمن له ذلك من ارتباطات وغيرها. الأعراب معروفون بمفاجآتهم لغيرهم. . وغاراتهم المباغتة وكانوا لذلك لا يؤمنون فيعيش معهم الإنسان في حالة استنفار دائمة.

* **البعير لا يتمهر.**

بمعنى أن الجمل العادي لا يصبح مهري. المهري الأصيل من خيار الإبل وهو جد مقتدر ولا يكل عند الإجهاد. وكان العرب يروضون الحوار العادي ويستفرغون لذلك كل ما عندهم من الجهد والبراعة حتى يجعلوا منه مهرياً إلا أن هذا يتعذر بالنسبة للجمل المسن. بمعنى أن العادات السليمة لا تكتسب إلا في الصغر.

* **الهدية دجاجة ومقابلها بعير.**

وفي محمد بن شنب «جمل محل بعير».

* **الإبل تبرك على كبارها.**

بمعنى أن الإبل تتجمع حول المسنة منها، وبمعنى أن الكبار قدوة للصغار.

*** الجمل ما يطابس على نبقة.**

لا يطابس: لا ينحني ليأخذ. بمعنى آخر إن الرجل ذا الهمة لا يشتغل بالسفاسف وصغار الأمور.

*** يرجع بالرولي كعطن البعير.**

بمعنى يرجع إلى الوراء كبول البعير، الرولي: محرف إلى الوراء.

*** الراجلة درناها والبعير على سيد الحاج بو حفص.**

يحكى أن بدوياً أراد أن يشتري جملاً ولكنه لا يملك مالاً فاشترى السرج وأما الجمل فأوكل أمره للوط (الجار) المجاور. درناها: أحضرناها..

*** البعر ما يعبا غير بدوره صاحبه.**

عن الذي يرى مساوىء غيره ولا يرى مساوئه.

*** كلحم البعير: الكثرة والرباء.**

بمعنى أن هذا مثل لحم البعير: كثير في الكم وقليل في التغذية.

*** لا خيرة لا في البعير ولا في سواقه.**

لذم الأداة ومن يستعملها.

*** اللي تلمه النملة في عام ياكله الجمل في لقمة**[1].

*** شف البعرة تعرف البعير.**

(١) هذا المثل والأمثال التالية نقلاً عن الأمثال البغدادية المقارنة.

*** كل أكل الجمال وقم قبل الرجال.**

*** الكلو في من فوق الجمل كلاه الكلب.**

*** يا بابا الجمل بدرهم قال له: غالي. يا بابا الجمل بمايه قال له: اشوه يا وليدي.**

أمثال ـ جمع ميداني:

*** الجمل ما يشوفش لعرورتو ايشوف لعرورة صاحبو.**

من البويرة/ الشرق الجزائري.

*** اللي جابو الليل ياكلو النهار واللي حرثو الجمل ايدكو واللي طحنتو سفّيتو واللي أبقى كرات عليه.**

البويرة. ايدكو: داسه، سفّيتو: لعق الدقيق بلسانه، كرات عليه: دفعت الكرية لإتمام الباقي.

* * *

٢١ ـ الأمثال التونسية والمغربية[١]:

*** اللي تلمدّه النملة وياكله الجمل في فمه/ تونسي.**

تلمده: تجمعه بمشقة، فم: لقمة واحدة.

*** اللي يركب فوق الجمل ما يخاف من الكلاب يعضوه/ مغربي.**

*** الجمل ماكيشوفشي احدبتو/ مغربي.**

*** الجمل ما كيشوفشي حدبتو كيشوف غير حدبة خاه/ مغربي.**

*** قالوا: الجمل بمتقال قالوا: متقال فاين هو.**

(١) نقلاً عن كتاب الأمثال البغدادية المقارنة.

المصادر والمراجع

أولاً ـ المصادر:

المصادر القديمة:

١ ـ أمثال العرب/ المفضل الضبي/ طبعة أولى ١٣٢٧هـ/ مطبعة التقدم بمصر.

٢ ـ العقد الفريد: ابن عبد ربه. أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي ولد ٢٤٦ وتوفي ٣٢٧ هـ/ تحقيق أحمد أمين، إبراهيم الأبياري، عبد السلام هارون ـ طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٦٥.

٣ ـ مجمع الأمثال/ الميداني. أبو الفضل أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم/ عاش ٤٧٠ هـ ومات ٥١٨ هـ/ طبعة الحلبي ١٩٧٨.

٤ ـ المستطرف في كل فن مستظرف/ الأبشيهي. شهاب بن محمد بن أحمد بن أبي الفتح ولد ٧٩٠ هـ وتوفي ٨٥٠ ـ نشر مكتبة الجمهورية ـ مصر.

مصادر الأمثال المصرية:

١ ـ الجمع الميداني.

٢ ـ الأمثال الشعبية في حياتنا اليومية/ وفاء الخناجري ـ طبعة منشأة المعارف بالإسكندرية ١٩٨٧ م.

٣ ـ الأمثال العامية/ أحمد تيمور/ طبعة دار الكتاب العربي، طبعة ثانية ١٩٥٦..

٤ ـ حدائق الأمثال العامية/ فايقة حسين راغب ـ سفر أول ـ طبعة أولى ١٩٣٩، سفر ثانٍ ـ طبعة أولى ١٩٤٣ ـ مطبعة أمين عبد الرحمن..

٥ ـ الأمثال العامية بمصر والشام في القرن التاسع عشر/اناتول دي ميبوم/ طبعة ١٩٤٨.

ـ ومع كل مثل ترجمة بالفرنسية وله مقدمة بالفرنسية في صفحتين ونصف صفحة..

٦ ـ معجم الأمثال البدوية/ إعداد: يوسف مبارك/ الجزء الأول ـ تراث بادية سيناء..

مصادر الأمثال في العالم العربي:

١ ـ الأمثال البغدادية/ الشيخ جلال الحنفي/ طبعة مطبعة أسعد بغداد جـ١، ٢ ١٩٦٢..

٢ ـ الأمثال البغدادية المقارنة/ عميد متقاعد عبد الرحمن التكريتي، مكتبة المثنى/ بغداد جـ ١ طبعة ١٩٦٦، جـ ٢ طبعة ١٩٦٧، جـ ٣ طبعة ١٩٦٨ م.

٣ ـ الأمثال الشعبية الجزائرية/ قادة بوتارن/ ترجمها عن الفرنسية عبد الرحمن الحاج صالح ـ طبعة دار الحضارة ١٩٨٦ وتمت ترجمتها ١٩٩١م.

٤ ـ الأمثال العامية في نجد/ محمد العبودي طبعة عيسى الحلبي بمصر ١٩٥٩ م.

٥ ـ المجتمع الليبي من خلال أمثاله الشعبية/ علي مصطفى المصراتي مكتبة الفكر ـ طرابلس ـ طبعة ثانية ١٩٧٢ م.

٦ ـ المردد من الأمثال العامية الموصلية/ محمد رؤوف الغلامي/ طبعة مطبعة شفيق ـ بغداد ١٩٦٤ م.

٧ ـ من الأمثال العامية/ اختارها وشرحها ـ خالد سعود الزيد ـ مطبعة حكومة الكويت ١٩٦١.

٨ ـ وحدة الأمثال العامية في البلاد العربية/ محمد قنديل البقلي، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٦٨..

المراجع

أولاً ـ مراجع عربية:

١ ـ أثر الأدب الشعبي في الأدب الحديث/ د. حلمي بدير/ طبعة دار المعارف ١٩٨٦..

٢ ـ الأغنية الشعبية/ د. أحمد مرسي/ طبعة هيئة الكتاب ١٩٩٦ ـ مكتبة الأسرة.

٣ ـ الأمثال الشعبية القديمة/ رودولف زلهايم/ ترجمة د. رمضان عبد التواب/ بيروت ١٩٨٢..

٤ ـ الإنتاج الحيواني/ د. كامل عبد العليم/ مكتبة المعارف الحديثة ١٩٩١.

٥ ـ تهذيب الألفاظ العامية/ محمد علي الدسوقي/ طبعة الرحمانية ١٩١٣.

٦ ـ الثروة الحيوانية وإنتاجها في الدول العربية/ د. محمد يحيى حسن درويش، د. صلاح الدين أحمد فيظي/ طبعة الاسكندرية ١٩٧٨.

٧ ـ الحكم والأمثال في الأدب الفرعوني/ د. سيد كريم/ طبعة هيئة الكتاب ١٩٩٧ ـ مكتبة الأسرة.

٨ ـ الدرة الفاخرة في الأمثال السائرة/ حمزة الأصفهاني ت ٣٥١ هـ تحقيق: عبد المجيد قطامش/ طبعة دار المعارف.

٩ ـ دفاع عن الفولكلور/ د. عبد الحميد يونس/ طبعة هيئة الكتاب ١٩٧٣.

١٠ ـ رحلات بوركهارت في بلاد النوبة والسودان/ د. فؤاد اندراوس طبع ١٩٥٩ م.

١١ ـ رحلة بيرتون إلى مصر والحجاز/ ريتشار. ف. بيركون/ ترجمة د. عبد الرحمن عبد الله الشيخ/ طبعة هيئة الكتاب/ سلسلة الألف كتاب الثانية رقم ١٦١.

١٢ ـ سيناء الحرب والمكان/ محمود المراغي/ سلسلة روز اليوسف ديسمبر ١٩٧٣.

١٣ ـ سيناء وطني/ دراسة في تاريخ سيناء وجغرافيتها وآثارها وصور الحياة فيها/ إعداد قسم الإعلام بالثقافة الجماهيرية/ طبعة أولى ١٩٨٢.

١٤ ـ صفوة التفاسير/ محمد علي الصابوني/ طبعة دار الرشيد، سوريا ١٣٩٩ هـ.

١٥ ـ العادات والتقاليد المصرية في عهد محمد علي/ جون لويس بوركهارت/ ترجمة د. إبراهيم أحمد شعلان/ سلسلة الألف كتاب الثانية رقم ٧٣/ طبعة ١٩٨٩ م.

١٦ ـ عادات المصريين وتقاليدهم/ إدوارد لين/ ترجمة سهير دسوم، طبعة مكتبة مدبولي ١٩٩١م.

١٧ ـ عجائب الآثار في التراجم والأخبار/ عبد الرحمن الجبرتي ولد ١٧٥٤ م وتوفي ١٨٢٥ م وقد حرر هذا الكتاب ١٨٠٥ م = ١٢٢٠ هـ.

١٨ ـ عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات/ زكريا بن محمد القزويني ولد ٦٠٠ هـ وتوفي ٦٨٢/ طبعة دار التحرير للطبع.

١٩ ـ العربان ودورهم في المجتمع المصري في النصف الأول من القرن التاسع عشر/ د. إيمان محمد عبد المنعم/ سلسلة تاريخ المصريين/ طبعة هيئة الكتاب.

٢٠ ـ فقه اللغة وسر العربية/ أبو منصور عبد الملك الثعالبي/ طبعة مطبعة الاستقامة ١٩٥٩ م..

٢١ ـ الفهرست/ لابن النديم ـ أبو الفرج محمد بن إسحاق، ت ٣٨٠ هـ ٩٩٠ م، طبعة الرحمانية ١٣٤٨ هـ.

٢٢ ـ القاموس الجغرافي للبلاد المصرية/ محمد رمزي/ طبعة هيئة الكتاب ١٩٩٤.

٢٣ ـ القول المقتضب فيما وافق لغة أهل مصر من لغات العرب/ محمد ابن أبي السرور الشافعي ١٠٨٧ هـ/ طبعة مؤسسة التأليف والترجمة والنشر.

٢٤ ـ القياس في اللغة/ إبراهيم أنيس.

٢٥ ـ كسوة الكعبة الشريفة وفنون الحجاج/ إبراهيم حلمي/ سلسلة كتاب اليوم، العدد ٣٢٠/ مايو ١٩٩١.

٢٦ ـ الكشكول/ بهاء الدين العاملي ـ ولد ٩٥٣ هـ وتوفي ١٠٠٣ هـ طبعة الحميدية ١٣١٦ هـ.

٢٧ ـ لسان العرب/ ابن منظور المصري/ جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي/ ولد ٦٣٠ هـ وتوفي ٧١١ هـ/ طبعة دار المعارف ١٩٨١ م.

٢٨ ـ مأثوراتنا الشعبية/ د. أحمد مرسي/ طبعة هيئة الكتاب، مكتبة الأسرة ١٩٩٨ م.

٢٩ ـ المواعظ والأخبار ـ بذكر الخطط والآثار/ المعروف بالخطط المقريزية/ تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي المقريزي، ت ٨٤٥ هـ/ طبعة دار صادر/ بيروت.

٣٠ ـ الموالد في مصر/ مكفرسون/ ترجمة د. عبد الوهاب بكر/ طبعة هيئة الكتاب/ سلسلة الألف كتاب الثانية ١٩٩٨م.

٣١ ـ هز القحوف في شرح قصيدة أبي شادوف/ يوسف الشربيني من القرن السابع عشر وذكر أنه حج ١٠٧٥ هـ.

٣٢ ـ الوسيط/ معجم/ إصدار مجمع اللغة العربية/ طبعة دار المعارف ١٩٧٢م.

ثانياً ـ مراجع أجنبية:

1 - Encyclopedia Americana. Vol.5 p. 261 - Camal.

2 - yrzimerk's Animal life Encyclopedia Mammals IV. P. 139, 140.

D.L. Cloudsly - Thompson - University of Khartoum. Sudan.

3 - The new Encyclopedia Britannica Vol. 2 P. 764 - Gamal.

ثالثاً ـ صحف ومجلات.

١ ـ الأهرام: ومصدر المعلومات د. عبد المنعم عمارة سعود ـ خبير الإبل بالفاو والبنك الدولي.

٢ ـ أخبار اليوم.

٣ ـ الوفد.

٤ ـ جريدة الحياة.

٥ ـ مجلة أخبار الأدب ـ تصدر عن دار أخبار اليوم، العدد ٢٢٦.

٦ ـ مجلة الفنون الشعبية/ تصدر عن هيئة الكتاب، العدد الخامس/ فبراير ١٩٦٨م. والعدد ٣٥/٣٦ يناير/ يونيو ١٩٩٢م.

٧ ـ مختارات فصول/ طبعة هيئة الكتاب رقم ١٤.

الفهرس